سلسلة السياسة والمجتمع

الحركات الثورية المقارنة

بحث عن النظرية والعدالة

تأليف:
توماس هـ. جرين

ترجمة:
تركي الحمد



دار الطليعة - بيروت

الحركات الثورية المقارنة

بحث عن النظرية والعدالة

بيروت ـ لبنان
ص . ب : ١١١٨١٣
تلفون : ٣٠٩٤٧٠
٣١٤٦٥٩

الطبعة الأولى
تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٦

توماس هـ. جرين

الحركات الثورية المقارنة

بحث عن النظرية والعدالة

ترجمة:
تركي الحمد

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذه ترجمة كاملة لكتاب

Comparative Revolutionary Movements

Search for Theory and Justice

(Second Edition)

By

Thomas H. Greene
University of Southern California

(Prentice - Hall , Inc. N. J., 1984)

مقدمة المترجم

الثورة ... كلمة ذات بعد عاطفي معين خاصة عند مثقفي العالم الثالث المعانين للضغوط السياسية والاجتماعية والمعايشين بشكل يومي لاختلاف الواقع المرير عن الحلم اللذيذ . هذا البعد العاطفي لكلمة مثل الثورة يعني أن هنالك جذورا مادية لمثل هذا البعد وإلا لما نشأ أساساً .الا أن جزءاً من مشكلاتنا في العالم الثالث،ونحن كعرب جزء منه، اننا ننساق وراء هذا البعد العاطفي ناسين بشكل لا واعٍ أو متجاهلين بشكل واعٍ الجذور المادية ، أو إن شئت ، الواقعية لظاهرة تاريخية مُعاشة مثل ظاهرة الثورة . لذلك تجدنا ، وبشكل ايديولوجي بحت ، أما مع أو ضد الثورة بعمومها أو ثورة بعينها غير عابئين ولا مكترثين بجذورها الاجتماعية ومسارها التاريخي ونتائجها واثر مثل تلك النتائج . ان واجب مثقف العالم الثالث بالذات الا ينساق وبشكل أعمى لا واعٍ وراء مجرد التمنيات أو التقسيمات الايديولوجية دون أن يدرك وبشكل عميق الأساس المادي وراء مثل هذه التقسيمات . انني لا أنكر هنا أن الانقسام الايديولوجي هو وبشكل كبير انعكاس لانقسام مادي يتجلى في تضارب المصالح الاجتماعية . فالمصالح الاجتماعية وتضاربها هي أحد محددات السلوك الاجتماعي الرئيسية . كل ما أريد قوله هنا أن المثقف يجب أن يكون معبراً عن الحقيقة الاجتماعية والتي هي بالضرورة لا بد وأن تكون في صالح مجمل المجتمع لا قطاعاً منه ، سواء صغر هذا القطاع أم كبر ، كذلك فإن الاتجاه الايديولوجي هو بدوره أحد محددات السلوك الاجتماعي ، الا أن ما يجب أن يركز عليه المثقف هو فهم السلوك الاجتماعي أولاً وبشكل موضوعي وذلك قبل الانخراط في مثل هذا السلوك وفق تفضيل ايديولوجي معين قائم على حرارة العاطفة قبل أن يكون قائماً على الحقيقة الموضوعية .

أن كلامي هذا لا يعني رفضاً للالتزام . كلا ، وليس له أن يكون ، فنحن ملتزمون سواء شئنا أم أبينا اذ أن مجرد رفض الالتزام ما هو الا التزام باللاالتزام . نحن نعيش في عالم من الأشياء لا نستطيع التعامل معها والتفاعل واياها الا بناءً على معنىً نحن نسبغه على الأشياء ، الا أننا وقبل أن نسبغ مثل هذا المعنى يجب علينا ادراك الأشياء أولاً وقبل كل شيء . ان التزاماً قائماً على فهم الأشياء هو الأساس الأول لقيام التزام مدرك واعٍ

لحركة التاريخ وصالح الانسان الذي هو المحك الأول لفاعلية الفكر وجدوى الالتزام .

من ذلك فهمنا للثورة كمفهوم وكواقعة اجتماعية . أن الفهم الضيق اللامبني على فهم موضوعي للأشياء ننظر اليها على أنها انفجار منفصل من واقع معين ، بناءً على هذا الفهم تُتخذ المواقف مع أو ضد مثل هذه الواقعة وذلك بشكل أيديولوجي ـ عاطفي ضيق . أما الفهم الموضوعي للثورة فينظر إليها كعملية طويلة الأمد في سبيل واقع على طريق التحقق . مثل هذا الفهم لا يكون الا بناءً على فهمٍ واعٍ للقوى الاجتماعية والأسس المادية الموضوعية المؤدية لمثل هذه العملية وهذه الصيرورة . فهم هذه الأسس ليجعل من المثقف عالماً بمجريات الأمور قادراً على اتخاذ موقف يخدم قضية الانسان بمجملها وليس مجرد ريشة في مهب ريح لا يدري من أين تهب والى أين تسير . إن مجرد واقعة الثورة وفهمها على هذا الأساس قد لا يكون خادماً لقضية الانسان إن لم توضع في نسق اجتماعي معين ومسار تاريخي مُحدد . أما فهم الثورة كعملية وصيرورة فإنه يضع الواقعة في محيطها الاجتماعي وواقعها التاريخي مما يؤدي الى اتخاذ موقف ملتزم ، سواء مع أو ضد ، واعٍ غير خاضع لأهواء أيديولوجية ضيقة وقتية وانما لادراك موضوعي بعيد المدى .

إن الكلمات والمفاهيم ما هي الا تعبير ـ قد يكون صادقاً أو زائفاً ـ عن حركة وعلاقات اجتماعية معينة ، أي عن نسق اجتماعي معين . فهم هذه الانساق بموضوعية هو السبيل الى فهم الكلمات والمفاهيم وليس العكس . لذلك فإن مجرد اطلاق كلمة ثورة على حادثة أو واقعة معينة لا يعني أن مثل هذه الواقعة قد تحولت الى ثورة فعلاً . فالثورة في فهمنا هي انبثاق تاريخي ، يتخذ شكلاً اجتماعياً معيناً ، لقدرات الانسان الخلاقة في سبيل واقع أرقى تحدده عوامل الزمان والمكان وفق وضع تاريخي معين . لذلك فكون حادثة معينة لا تعبر عن انتقال ارتقائي للانسان ولا تطلق العنان لبعض أو كل القدرات الانسانية الخلاقة لا يمنحها الحق في اكتساب صفة الثورة .

الكتاب الذي بين أيدينا هذا محاولة لفهم الثورة كواقعة اجتماعية وحدث تاريخي له مسبباته ـ المادية والروحية ـ وله نتائجه . كاتبه أستاذ للعلوم السياسية في جامعة جنوب كليفورنيا في الولايات المتحدة . وقد نتفق وقد نختلف مع تحليل المؤلف ولكننا يجب الا ننسى أنه يحاول جاداً الحصول على شيء من المعرفة حول الثورة كحدث وعملية في نفس الوقت . ومن هنا تنبع اهمية الكتاب للمكتبة السياسية العربية . فمعظم ما كتب وما يكتب عن ظاهرة الثورة في وطننا العربي غالباً ما يكون ذا أهداف ايديولوجية أوملتزماً بأيديولوجية معينة مما يجعل من مثل هذه الكتابات أما دعوة الى الثورة أو تحذيراً منها حسب الموقع الايديولوجي للكاتب . ما أقوله هذا ليس نقداً بقدر ما هو تعبير عن نقص في المكتبة العربية لكتاب حول دراسة الثورة لا دعوةً لها ولا تحذيراً منها . وكما قلت سابقاً فإن تحليل الكاتب ما هو الا محاولة ويجب أن تؤخذ وينظر اليها على هذا الاعتبار .

هنالك نقاط اجد أنني لا أتفق مع المؤلف فيها وذلك مثل دور لورنس في وطننا العربي مع بدايات هذا القرن في ما يسمى بالثورة العربية الكبرى . بطبيعة الحال فإن المؤلف

غربي ولذلك نجده متأثراً بالكتابات الغربية حول لورنس والتي تجعل منه بطلاً أسطورياً قاد الثورة وصنعها. إلاّ أن الكتابات الغربية تغفل دور لورنس كعميل للمخابرات البريطانية وتغفل أن الثورة العربية الكبرى كانت قد بدأت قبل وصول لورنس وأن دور لورنس فيها كان توجيه مسار الثورة لضرب المصالح التركية في المنطقة وذلك لإضعاف الدولة العثمانية حليفة المانيا في الحرب ، وقد نجح في ذلك . أما القول بأنه هو من صنع الثورة وقادها فإنه قول يفتقر الى البراهين التاريخية .

كذلك أجد أنني اختلف مع المؤلف حول حتمية الاصلاح الديني البروتستانتي . فالمؤلف يرى أنه كان بالامكان تجنب حركة الاصلاح الديني لو أن الكنيسة الكاثوليكية قبلت محاولات الاصلاح المتعددة من داخلها . في هذا المجال أجد أن ذلك قول مرفوض . فحركة الاصلاح الديني كانت مرتبطة بتغيرات اقتصادية ـ اجتماعية معينة كانت حركة الاصلاح الديني أحد التعبيرات الايديولوجية عن هذه التغيرات . لذلك فإنني أجد أن الحركة كانت حتمية وذلك لارتباطها بعوامل أخرى غير دينية ، فالاصلاح الديني لم يكن مطلوباً في ذاته ولكن لنتائجه البعيدة المدى في مجالي الاقتصاد والاجتماع .

ملاحظة أخيرة حول الترجمة ، هنالك كلمات انجليزية واجهت صعوبة في ترجمتها الترجمة الملائمة وذلك مثل كلمة Nationalism ، هل أترجمها قومية أو وطنية ، لذلك وجدت أن أفضل طريقة هي أن أترجمها باللفظتين معاً وذلك حسب المعنى الذي تعطيه الجملة وحسب الموقع الجغرافي والواقع التاريخي الذي تمارس فيه الحركة الثورية دورها .

وفي النهاية ، ارجو أن أكون قد وفقت في نقل المعنى الذي يريد أن يقوله الكاتب وفي تقديم خدمة لدارسي ظاهرة الثورة في وطننا العربي والظواهر الاجتماعية بشكل عام .

تركي الحمد

لوس انجلس ـ كليفورنيا

« كل شيء يتغير ، كل شيء يتخلى عن مكانه ويمضي » .

يوربيدس

« ان شيئاً من التمرد ، من حين لآخر ، شيء جيد ، وضروري في الحياة السياسية مثلما العواصف في الطبيعة » .

توماس جفرسون

« ما هو أصعب شيء في الحياة ؟ التفكير » .

رالف والدو ايمرسون

الجزء الأول

مفاهيم وتسلسل تاريخي

الفصل الأول

التحدي المفاهيمي

مُثل العدالة

تبدأ الثورة في العقل . فهي تعبير عن مُثل عليا وآمال كبيرة وثقة تامة مطلقة في قدرات الطبيعة الانسانية والامكانات الخلاقة لجزء من أو كل الجنس البشري . إنها الإجلال والتقدير لتفاؤل الروح الانسانية المطلق . إنها محاولة لتثبيت وتجديد الذكريات ، والأسطورة والحلم عن عهد ذهبي يعيش فيه الجميع بانسجام وتناغم مع بعضهم البعض حيث يحدد كل منهم مصلحته أو مصلحتها الذاتية وفقاً لمصلحة الجميع .

تبدأ الثورة في العقل لأنها استلهام لفكرة العدالة . ومع أنها تبدأ في العقل ، ولكن أفكارنا عن العدالة انما تتحدد وتتعين بناءً على العالم الحقيقي للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فالثوري يسعى ، نتيجة ايمانه وعمله ، الى بناء نهج جديد للحياة ، وتدمير النهج القديم . وأية محاولة لاصلاح المجتمع القائم مهما كانت مجدية فانها تعتبر مستحيلة بالنسبة للثوري الذي لا يقبل التسويات وانصاف الحلول وذلك اذا كان فعلاً مخلصاً لقناعاته . لذلك ، بالنسبة للثوري ، فإن الأشخاص والمؤسسات التي تقف في طريق العدالة يجب أن تدمر ، اذ أنه لا مجال لانصاف الحلول فإما عدالة أو لا عدالة . بهذا المعنى فإن الثوري يُعتبر متطرفاً . فالسعي المطلق نحو العدالة ليس من خصائص اللاواثقين وليس من خصائص أولئك الذين يضعون الاجماع والاتفاق في الرأي ، ولو كان بسيطاً في منزلة أعلى من الحقيقة المطلقة . الحقيقة المطلقة والعدالة التامة الكاملة هما الهدفان والغايتان اللتان تبرران تطرف الثوري في الفكر والعمل . لذلك، فإنه ليس في الحياة السياسية ما يحبس الانفاس وما هو اجرأ من عمل ثوري مُلهم برؤيا عن العدالة التامة الكاملة . سيجد الكثيرون في الثورة دافعاً للاحتفال كما أن آخرين سينظرون اليها برثاء وأسى على أنها أحد نواقص الشرط البشري .

مُثل النظرية

تبدأ الثورة في العقل ولكن هدفها تغيير العالم. والدافع لفهم ومعرفة طبيعة ومعنى

الثورة كذلك يبدأ في العقل ولكن العقل يجب أن يسبر أغوار العالم وذلك في سبيل اشباع الرغبة في هذه المعرفة والفهم .

قد يكون من الأسهل القيام بثورة أكثر من فهم مثل هذه الثورة . فكما أن القيام بعمل ثوري يتطلب الالتزام الايديولوجي والشجاعة فكذلك كتابة كتاب عن الثورة يتطلب جراة ثقافية . فالعالم الاجتماعي ، واعياً بالفجوات والتناقضات والغموض المحيطة بالمعلومات المتوفرة لديه ، قد يحس برهبة وخشية عند كتابة كتاب اكثر من الثوري الذي يبدأ هجوماً على معاقل اللاعدالة .

لماذا ؟ لأن العالِم الاجتماعي يتميز بطبيعة شكاكة تجاه الادعاءات بامتلاك معرفة معينة لتفسير الأحداث التاريخية والعلاقات الاجتماعية وهذا صحيح بوجه خاص عندما تكون مثل هذه الأحداث وهذه العلاقات أكثر تعقيداً وأكثر شمولاً زمنياً . أما الثوري ، على الطرف الآخر ، فإنه يميل لأن يكون نموذجاً للثقة الذاتية والتفاؤل . إن الايمان الدوغمائي الديني الساعي الى خدمة الارادة الالهية يمكن فقط أن يضارع اقتناع الثوري بالحق المطلق في السعي نحو العدالة الكاملة . ان الثقة والجراة المطلقتين للثوري تشكلان النقيض لرهبة وشكوكية العالِم ـ وخاصة العالِم المعاصر ـ الذي يدرس الثورة . لماذا ؟ لأن مراجعة الكثير من الكتابات والأدبيات عن الثورة تُري أن محاولات كثيرة لتفسير نجاح حركة ثورية قد يعني الرجوع الى كل أو بعض مظاهر المجتمع من سياسة واقتصاد وثقافة وسوسيولوجيا وكذلك السيكولوجيا الاجتماعية . ونفس الشيء صحيح بالنسبة لفشل الثورة : قيادة غير مناسبة ، تنظيم ضعيف ، ايديولوجية نائية ، ضيق قاعدة العضوية (membership) للحركة ، ظروف اقتصادية واجتماعية غير مناسبة ، شرعية وفعالية الحكومة القائمة ـ كل هذه الأمور من الممكن أن تُورد لتفسير لماذا كانت هزيمة الثوار حتمية . أن نظرتنا وتفسيرنا مُحددان الى حد بعيد بمصير الحركة الثورية كما أن تصميماتنا لن تتعدى تحليل الواقعة (Fact) بعد حدوثها ، ومن المحتمل الا تتجاوز نواقص مثل هذا التحليل .

الثورة في الولايات المتحدة ؟

في سبيل اعطاء صورة عما يعنيه هذا العنوان ، خذ في الاعتبار الأمثلة التالية . خلال أوائل ومنتصف السبعينات كان هنالك بعض دعاة الحقيقة المطلقة والعدالة الكاملة الذين كانوا يعتقدون أن الولايات المتحدة قد أصبحت على شفير الثورة . وقد كان هذا الاعتقاد يحظى بتأييد دراماتيكي الى حد بعيد .

لقد قام الاتحاد العالمي لرؤساء الشرطة بتقديم تقرير مفاده أن عام ١٩٧١ كان الأسوء من حيث حوادث التفجير . فأكثر من ٢٥٠٠ من المتفجرات والقنابل المحرقة أدت الى اصابة ٢٠٧ وقتل ١٨ شخصاً . الباعث الظاهري لأكثر هذه الحوادث كان سياسياً ، غالباً ذا علاقة بالصراع العنصري . وبعد عام ١٩٦٨ ، لاحظ رجال الدولة زيادة ملحوظة

في الجرائم ذات الباعث السياسي كما أن التورط الأمريكي في جنوب شرق آسيا كان يتصاعد .

وفي تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية صدر في أواخر السبعينات يؤشر على أن الكثير من حوادث التفجير والنشاط الاجرامي لم يكن مردّه الى أعمال عشوائية فردية . وينسب التقرير حوادث الشغب والعنف في المدن والجامعات الأمريكية الى التدريب الثوري الذي تلقاه أكثر من الف أمريكي في كوبا منذ عام ١٩٥٩ . في الحقيقة ، كان البلاغ الرسمي الصادر عن الثوريين الذين قاموا بتفجير مركز الرياضيات في جامعة ويسكونسن Wisconsinعام ١٩٧٠ يعترف بكل صراحة بعلاقة أعمالهم بالثورة الكوبية وعصابات التوبامارو (Tupamaro) في الأورغواي وكذلك الفيتكونغ في جنوبي فيتنام .

لقد كان الكثيرون من رجال الدولة يتفقون مع دعاة الثورة ـ منهم مارك رود ، بيد ناردين دوهرن ، جيري روبن ، وتيموثي لاري ـ الذين تنبؤا جميعاً بأن النشاط الثوري في الولايات المتحدة سيتصاعد . ففي شهر أكتوبر من عام ١٩٧٠ افاد س . سوليڤان (أحد مساعدي مدير المباحث الفدرالية FBI) بأن أعضاء تنظيم رجال العاصفة Weathermen وبعض الراديكاليين الأمريكيين الآخرين كانوا ينظمون خلايا حرب عصابات سرية وذلك في سبيل القيام بأعمال تخريب وتفجير واختطاف واغتيال . رسميون آخرون ادعوا بأن منظمة الفهود السود Black Panthers كانت تنظم وتدرب عناصر عسكرية في العديد من المدن الأمريكية وفق مباديء ماوتسي تونغ في حرب العصابات . ويبدو أن الحوادث اللاحقة كانت تؤيد مثل هذا الادعاء وهذه المخاوف .

وقد أبدى رؤساء الشرطة في كلٍ من لوس انجلوس ونيويورك شيئاً من القلق تجاه زيادة حوادث الهجوم على رجال الشرطة الذين كانوا يقومون بواجبهم المعتاد . ففي كانون ثاني (يناير) من عام ١٩٧٣ وفي مدينة نيويورك ، أفاد مفوض الشرطة باتريك ف . مورفي بأنه يعزو حادثتي هجوم وقعتا خلال ٧٢ ساعة ماضية الى أنشطة جيش التحرير الأسود. وفي محاولة منهم لاثارة الفقراء ضد الأغنياء والمضطهدين ضد حكامهم ، قامت منظمة جيش التحرير المتكافل ببعض الأعمال وذلك في سبيل شد انتباه العامة . فقد قام أعضاؤها باغتيال مفتش مدارس مدينة أوكلاند في كاليفورنيا ، وفي الرابع من شباط (فبراير) قاموا باختطاف باتريشا هيرست وريثة أمبراطورية أبيها الصحفية . وبفعل هذا الاختطاف قامت وسائل الاعلام بالمساعدة على انتشار حمى الثورة بين كافة تنظيمات حرب العصابات الأمريكية . ففي خلال الأسابيع التالية قامت جماعة تسمي نفسها « أمريكيون في سبيل العدالة » بالقاء القنابل على وحدتين تابعتين لشركة شل للبترول في كاليفورنيا . في نفس الوقت قامت وحدة النساء التابعة لرجال العاصفة بتفجير المكتب التابع لوزارة الصحة والتعليم والرفاهية في سان فرانسيسكو .

هذه الأمثلة وغيرها المعبرة عن شروخ على سطح المجتمع الأمريكي غالباً ما تفسر

على أنها جزء من أزمة عامة يعاني منها جزء كبير من الشعب الأمريكي . ففي شهر ديسمبر من عام ١٩٧١ قام مُقدر الضرائب لمحافظة لوس انجلوس بالتنويه بالتهكم العام على أعمال الحكومة المحلية كما أنه وبشكل غير جدي تنبأ بثورة ان لم يُفعل شيء لتخفيف الضرائب عن كاهل المواطنين . وبنظرة أشمل ، قام وليام ب . بوندي ـ موظف كبير سابق في وزارة الخارجية الأمريكية ـ بالرجوع الى ما سماه « تحرر الأمريكيين من الوهم » وتنبأ بـ « بحر من الاضطرابات » وذلك في المستقبل القريب . وقد قام بوندي بالرجوع الى النتائج التي بينها استطلاع للرأي العام قامت به بوتوماك اسوسياتس في واشنطن العاصمة والذي بين أن الثقة العامة في رجال الأعمال والحكومة قد قلت الى حد كبير كما أن الاستطلاع قد بين الاحساس العام بأن النظام الأمريكي في طريقه الى الانهيار[1] . وقد تأكدت هذه النقطة خلال السنوات التالية عن طريق استطلاعات متعددة للراي العام . ففي استطلاع للويس هاريس في أواخر عام ١٩٧٥ تبين أنه خلال العقد السابق انخفضت الثقة العامة بقطاع الأعمال من ٥٥ بالمائة الى ١٨ بالمائة وبالرئاسة من ٤١ بالمائة الى ١٤ بالمائة ، وبالنسبة للكونغرس [مجلس الشيوخ] من ٤٢ بالمائة الى ١٤ بالمائة[2] كما أنه وخلال عام ١٩٦٦ فإن ما يقارب ثلث الجمهور الأمريكي كان موافقاً على فحوى مقولة أن « ما تفكر به لم يعد له قيمة كبيرة » ، الا أنه في عام ١٩٧٦ كان الثلثان متفقين على المقولة وكذلك فإنه ما يقرب من ٨٦ بالمائة من الأمريكيين كانوا متفقين مع وجهة النظر القائلة بأن « المسؤولين في الحكومة يخشون معاملة الجمهور كراشد واخباره الحقيقة القاسية عن التضخم والطاقة والمواضيع الأخرى »[3] .

ولكن وعلى الرغم من ذلك وبناء على الحالة في الثمانينات فان المؤشرات والنبؤات بأن ثورة أمريكية كانت تلوح في الأفق خلال السبعينات قد دُحضت بناءً على واقع الأحداث الجارية .فالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي للولايات المتحدة ما زال سليماً كما أن الخصائص الأساسية للأسلوب الأمريكي في الحياة ما زال مستمراً والاستقرار ما زال هو السائد . باختصار ، فالحالة ما زالت كما هي . اذاً ، وبكل وضوح ، فقد تبين أن أنبياء الثورة الأمريكية في السبعينات مزيفون حيث اضلوا أنفسهم كما أضلوا أتباعهم وهذا يبين أنه ليس من السهولة بمكان التنبؤ باحتمالات وامكانات الثورة بشكل صحيح في مجتمع ما .

ولكن القضية ليست مجرد خطأ في الاستنتاج بناءً على الامنيات واذا كان القارىء يملك بعض التفسيرات حول فشل وعدم تحقق الثورة في الولايات المتحدة خلال السبعينات ، فان من الأفضل له أو لها أن يتحقق من هذه التفسيرات بناءً على ما يلي :

---

(1) William P. Bundy, «The Missing Center,» **Newsweek,** October 1971, P.46.
(2) As reported in the **Los Angeles Times,** November 23, 1975.
(3) Ibid., November 21, 1976.

الثورة في المكسيك ؟

قد يساعد النظر وراء حدود الولايات المتحدة على اعطاء نظرة أكثر موضوعية حول الامكانية الثورية لمجتمع ما في زمن معين وخاصة بالنسبة للطلاب الأمريكيين . في هذا المجال ، لتكن المكسيك هي القضية وذلك في أوائل الثمانينات .

ليس هنالك من شك بأن المجتمع المكسيكي يختلف أشد الاختلاف عن المجتمع الأمريكي . فأكثر مواطني الولايات المتحدة يعيشون في بيئة مدينية كما أن معظم مواطني المكسيك يعيشون في قرى ريفية . والاقتصاد الأمريكي على درجة عالية من التصنيع ويشق طريقه بصلابة نحو المرحلة ما بعد الصناعية ، نحو المرحلة التكنولوجية ، أما الاقتصاد المكسيكي ، وبالرغم من اكتشاف كميات هائلة من النفط عام ١٩٧٧ ، فانه لا يزال زراعياً بشكل أساسي. أما معدل التعليم فانه في الولايات المتحدة أعلى منه في المكسيك وكذلك الدخل الفردي واقتناء بعض السلع الكمالية - الضرورية الحديثة كالتلفونات والتلفزيونات والسيارات . ولعل القارىء اليقظ قد بدأ الآن في تمييز بعض المقولات التي بمقدورها المساعدة على سبر اغوار وتبيان الملامح الأساسية لمجتمعين أو أكثر - وذلك في سبيل فهم أفضل للاختلافات في الانماط السياسية (بما في ذلك الامكانية الثورية) .

في كل من الولايات المتحدة والمكسيك كان هنالك اضطرابات طلابية خلال الستينات كما أن الارهاب ونشاط حرب العصابات سواء في المدينة أو الريف قد ازداد خلال السبعينات . ولكن درجة العنف السياسي المنظم في المكسيك كانت وما زالت أكبر منها في الولايات المتحدة . ففي أوائل الثمانينات ، كانت المكسيك منحدرة الى شفا ثورة محرقة لم يكن يلزم لها كي تنفجر الا شرارة بسيطة . ما هي الوقائع التي من الممكن أن تسند مثل هذا التعميم ؟

كانت بعض الجماعات التابعة لتنظيمات مدينية وريفية ، بما في ذلك عصبة ٢٣ أيلول (سبتمبر) الشيوعية، في غاية التنظيم والأمن وخاصة في ولايات المكسيك الجنوبية وفي المناطق المدقعة في الفقر المحيطة بمدينة المكسيك العاصمة . وقد استفادت هذه الجماعات واستغلت نتائج الوقائع التالية : الانفجار السكاني الحديث في المكسيك ، المعدلات العالية للبطالة ، التضخم المتسارع ، الفساد المتفشي في أجهزة الدولة وقطاع الأعمال والاتحادات العمالية ، سوء التغذية المتفشي بين أغلبية سكان الريف ، ضعف انتاجية الأرض نتيجة تكالب ما يقارب أربعة ملايين فلاح عليها ، وأخيراً الوعود غير المُنفذة لنخب المكسيك الحاكمة - وعود من الممكن أن تُرجع الى الثورة المكسيكية التي ابتدأت عام ١٩١٠ .

وقد قام ثوريو المكسيك في الثمانينات بتقوية الدعم الشعبي عن طريق انتقاد الحزب السياسي الحاكم واحتكاره للسلطة وذلك بانتقاد الانتخابات والصحافة المُتلاعب والمُتحكم بها من قِبل الحكومة ،والاحتكام الى طبقة متوسطة متزايدة مشوشة ، وبالتركيز على النحو

الاقتصادي الذي أعقب اكتشاف النفط والذي لم يستفد منه الا الذين كانوا أغنياء أصلاً ، وأخيراً بمناقشة تأثير المصالح المصرفية والاستثمارية الأمريكية على الاقتصاد المكسيكي المضطرب .

هل كانت المكسيك في أوائل الثمانينات ناضجة للثورة ؟ قد تأتي الشرارة التي ستفجر الوضع في المكسيك من نيران الثورة المشتعلة في الجنوب ، في نيكاراغوا والسلفادور وغواتيمالا . ولكن الى أي حد من الممكن جعل تنبؤ معين اكثر من مجرد تـخمين عقلي ؟

بعض العوائق المفاهيمية :

كيف نبعد عملية التخمين من مسألة دراسة الثورة ؟ بلا شك فان البداية تكون بالايضاح لدارسي الثورة الجدد بأنهم أمام جُدران عالية . أولاً هناك جدار التعريف يتلوه جدار التصنيف والذي بدوره متبوع بمتاهة من الطرق ذات الجُدران العالية والمتعلقة بعملية جمع المعلومات . وبعد ذلك يلوح أضخم الجدران ، ذلك الجدار المسمى « النظرية » والذي يعد من عليائه باعطاء نظرة واضحة لأفق الثورة . أن تسلق هذا الجدار الأخير أكثر صعوبة أكثر تحدياً ، وأكثر خطراً من تسلق الجدران التي سبقته .

يسعى الثوري الى العدالة ، أما دراسة الثورة فتسعى الى النظرية وقد نعود خالي الوفاض من سعينا هذا كما أننا قد نعود بنذر يسير نتشبث به ولكن في كل الأحوال فإن المعاناة تكون أكثر من القناعة . وهذا ، حقيقة الأمر ، جزء من الوضع الانساني وذلك لأنه كلما كان التزامنا بالعدالة أقوى كلما كان احساسنا باللاعدالة أحدّ وكلما كان السؤال ذا معنى كلما كان الجواب أقل تأكيداً .

الفصل الثاني

مفاهيم اساسية

فلنقبل محدوديتنا

من الممكن للطلاب المتخصصين في الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء أو في أي فرع من فروع العلوم الطبيعية أن يضمنوا الدقة العلمية لحقل دراستهم اذ أن هنالك الكثير من الوقائع والنظريات المثبتة والمطلوب استيعابها كما إن الرغبة في سبر غور الافتراضات الفلسفية والتي تقف وراء تعريف الوقائع والنظريات غير كبيرة .

أما في العلوم الاجتماعية فإن الاهتمام المستمر بالطريقة المناسبة وكذلك المنهج والنظرية علامة ـ بنفسها ـ على محدودية الامكانية النظرية للعلوم الاجتماعية وخاصة علم السياسة . فالذين يتحدثون كثيراً عن طبيعة النظرية هم غالباً من الذين يعملون في حقول من المعرفة أقل حساسية لتطور النظرية . لمَ ذلك ؟

في العلوم الطبيعية هناك اتفاق جماعي على ما يلي :

١ ـ التعريفات المناسبة للظواهر المراد دراستها .

٢ ـ نماذج التصنيف (Classification Schemes) المناسبة لتنظيم المعلومات والتي تمنح البحث والتحليل التماسك المنطقي .

٣ ـ المناهج المناسبة لتنفيذ البحث ولفحص الفرضيات التي تُعتبر الباعث على البحث وكذلك نتيجة البحث في نفس الوقت .

كما أنه من الصحيح أيضاً أنه في الغلوم الطبيعية:

١ ـ الظواهر المراد دراستها خاضعة لملاحظة مباشرة أو غير مباشرة من واحدة أو أكثر من حواسنا الخمس .

٢ ـ يمكن التعبير غالباً عن الملاحظات على شكل قياس كمي .

٣ ـ من الممكن تأكيد (أو عدم تأكيد) صحة النتائج عن طريق اعادة التجارب التي أدت الى مثل هذه النتائج .

٤ ـ نتيجة لأمكانية التجارب المُتحكم بها، فإن دقة القياس بالنسبة للمتغيرات (Variables) المنتقاة في ظرف معين ممكنة .

هذه التعميمات تصف بايجاز الحالة التي عليها دراسة الثورة كما أنها أيضاً تصف ما لا يتوفر لمثل هذه الدراسة[١] .

الثورة : هل هي ظاهرة عادية ومنتظمة ؟

حتى لو قمنا بتأجيل تعريف الثورة حتى الوصول الى اكتشاف معناها في الاستعمال العام ، فاننا مع ذلك سنُواجه بجدل لا يزال مستعراً وغير محسوم . فعلى سبيل المثال ، هل لنا أن نعتبر الثورة والأحداث التي تسببها شيئاً عادياً ام شيئاً طارئاً وغير عادي بالنسبة للتطور السياسي والاجتماعي ؟

فالمؤمنون مثلاً بالتوازن كنموذج للنظام الاجتماعي ، ومن ضمنهم شالمرز جونسون ، يعتقدون ، ضمناً على الأقل ، بأن الثورة والعنف السياسي عبارة عن انحراف عن المعايير الأساسية للتغير والمسيرة الاجتماعية[٢] . دارس بارز آخر للثورة ، هاري ايكستن ، يعتبر أيضاً العنف والمميزات الأخرى **للحرب الداخلية** شيئاً مضاداً للمُثل والتعبير اللاعنفي للتنظيم والعملية الاجتماعية[٣] . كما أن كراين برينتون ـ الذي قد يكون أفضل المعروفين من كُتاب الثورة ـ عبر عن تحليله لمراحل الثورة بشكل دراماتيكي وذلك بتشبيه تلك المراحل بالحمى التي تصيب الجسم البشري . هذا وقد استخدم في وصفه للعملية الثورية في أعلى مراحلها حيث تحاول أن تستعيد العافية أوصافاً وتشبيهات مثل: « الهذيان » ، « النقاهة » ، « الانتكاسة » وأخيراً « المناعة » . ما يريد برنتون التعبير عنه وبكل وضوح هو أن الثورة ليست علامة من علامات الصحة بالنسبة للجسم السياسي .

كارل ماركس بدوره كان موافقاً على استعمال المجاز والتشبيهات في البحث الاجتماعي العلمي (وقد كانت مرحلة الطفولة أفضل مجاز لديه) ، ولكن ماركس رأى أن الثورات ، والصراع الطبقي المُحدِد لها ، إنما هي عبارة عن شيء متأصل في المجتمعات نتيجة للتوزيع اللامتكافيء لملكية وسائل الانتاج . كما أن توماس هوبز وذلك بقرنين قبل ماركس كان يرى نفس الرأي بالرغم من أن وحدة التحليل الاجتماعي كانت بالنسبة له الفرد وليس الطبقة الاقتصادية . أما في الوقت الحاضر ، فإن رالف داهر يندورف ، محاولة منه تعديل وتحديث ماركس ، يقول بأن المجتمعات الصناعية من الممكن أن تفهم بناءً على ما أسماه « النظرية القهرية للبنية الاجتماعية » ، وبأن صراع الجماعات شيء ملازم متأصل للتنظيم الاجتماعي[٥] .

---

(١) الممكن هنا للطالب ان يسبر اغوار مفهوم اساسي لعلم السياسة ورئيسي بالنسبة للثورة : القُدرة Power كيف يمكن ان تعرف ، كيف يمكن تصنيف مختلف ظواهرها ، كيف يمكن أن تُلاحظ وتُقاس ، وإلى اي مدى يمكن السيطرة على المتغيرات المتعلقة بها تجريبياً ومدى امكانية تكرار نتائج باحث معين بنتائج باحث آخر ؟

(2) C. Johnson, 1966.

(3) Eckstein, 1964; Eckstein, 1965.

(4) Brinton, 1965, pp. 16-17.

(5) Dahrendorf, 1959, p. 237.

عالم اجتماعي الماني بارز آخر هو جورج سيميل كتب في العقد الأول من القرن العشرين بأن الصراع الاجتماعي ليس فقط عالمياً شاملاً كما أنه ليس من المحتمل أن يختفي بل أنه يلعب دوراً ايجابياً ووظيفياً في التنظيم الاجتماعي(٦) . ومن دراسة بيتيرم ا . سوروكين العميقة للاضطرابات الداخلية في احدى عشرة مجموعة سياسية ـ من اليونان في القرن السابع الى روما في القرن السادس قبل الميلاد الى أوروبا الغربية وروسيا في عام ١٩٣٣ ـ يتبين أنه من الصعوبة بمكان الاستنتاج بأن الثورة والصراع الداخلي العنيف شيء شاذ وتعبير غير سوي للتنظيم الاجتماعي والتغيير . فمن خلال ١٦٢٢ حالة اضطراب درسها سوروكين وجد أن ٧٠ بالمائة من الحالات « تضمنت عنفاً واراقة للدماء بشكل كبير » ، كما أنه وجد أنه لكل خمس سنوات من الهدوء فإن هنالك سنة واحدة من « الاضطراب الاجتماعي »(٧) .

وبالرغم من أن سوروكين أنهى دراساته قبل الحرب العالمية الثانية ، فإن ملاحظته بأن القرن العشرين كان « الأكثر دموية واضطراباً » في التاريخ قد تأكدت من خلال الأحداث التالية . فمنذ نهاية الحرب وحتى عام ١٩٦٩ ، اربعون من حوالي مائة دولة في اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تعرضت على الأقل لانقلاب عسكري واحد(٨) . بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، تقريباً كل دول أمريكا اللاتينية وثلثي دول آسيا ونصف الدول الأفريقية والتي استقلت عام ١٩٦٢ سجلت محاولة أو أكثر فاشلة أو ناجحة لتغيير الحكومة وذلك بسبل غير دستورية(٩) . في أفريقيا وحدها وابتداءً من مرحلة الاستقلال التي ابتدأت مع استقلال غانا عام ١٩٥٧ ، كان هنالك أكثر من خمسين محاولة انقلابية ناجحة ـ تقريباً ثلاثة أضعاف المحاولات الانقلابية الفاشلة ـ وعلى الأقل حوالي دزينة من رؤساء الدول الأفارقة اغتيلوا(١٠) . بل وأنه وخلال فترة أقصر (١٩٤٦ ـ ١٩٥٩) ولكنها تتضمن الكثير من نماذج عدم الاستقرار السياسي ، قام ايكستن بالرجوع الى تقرير جريدة نيويورك تايمز والمتضمن أنه كان هنالك أكثر من ١٢٠٠ حالة من الحروب الداخلية بما في ذلك الحروب الأهلية وحروب العصابات ، والمظاهرات المحلية ، والأزمات الحادة ، والارهاب المنظم وغير المنظم والتمردات، والانقلابات العسكرية(١١). والمستقبل لا يبشر بالخير ولا يبعث على التفاؤل .

فالكساد العالمي الناتج عن اقتصاديات غير مستقرة والمقترن بالنقص الممثل في

---

(6) Simmel, 1955, p. 41.
(7) Sorokin, 1970, pp. 126-27 and 130.
(8) Von der Mehden, 1969, p. 90.
(9) Taylor, 1970, p.6.

(١٠) لا تستطيع اجهزة الاعلام المسيطر عليها من قبل الحكومة في بلدٍ ما من الاعلام عن محاولة انقلابية فاشلة ، وذلك جزئياً في سبيل الحفاظ على اسطورة الشرعية المطلقة للحكومة ، وكذلك في سبيل حماية سمعة الحكومة المالية في اوساط البنوك والأعمال العالمية .

(11) Eckstein, 1964, p.3 .

الطاقة والطعام والمرافق لعدم الاستقرار السياسي الذي يشكل باعثاً أساسياً على اضطرابات العالم المعاصر ، كل ذلك لا يبعث على التفاؤل بالنسبة للمستقبل . وكما يبدو ، فإن العنف السياسي ليس خاصاً ولا قاصراً على الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

تعريف الثورة

ولكن القول « بالعنف السياسي » لا يعني القول « بالثورة » وذلك اذا أردنا الدقة ولا ريب أن القارىء اليقظ قد لاحظ وفرة التعابير التي يتبادر الى الذهن صلتها بدراسة الحركات الثورية وذلك مثل : ثورة ، حرب داخلية ، اضطراب داخلي حرب أهلية ، حرب ضد الاستعمار ، حروب الاستقلال ، حرب العصابات ، تمرد ، ثورة مجهضة ، عصيان ، شغب ، انقلاب ، ثورة قصور ، تمرد فلاحي ، اضراب عام، هياج ، تحرك الجماهير ، تمرد الجند ، وأخيراً ارهاب . هذا التشوش والارتباك المفاهيمي هو أحد العوامل التي دفعت البعض للقول بأن العلم الاجتماعي ليس علماً . فعلى سبيل المثال ، حادثة معينة وجدت تصنيفين مختلفين من كاتبين مختلفين : فما حدث في المجر عام ١٩٥٦ صُنِّف على أنه « ثورة » من أحدهم(١٢) وعلى أنه « تمرد » من قبل الآخر وذلك لأنه ، وفقاً للتعريف ، فإن الثورة عبارة عن حركة ناجحة يتفق الكُتاب على معيار معين للتفريق ما بين الثورة وما بين الانماط الأخرى للعنف السياسي ، فانهم قد يختلفون حول تصنيف حادثة معينة وموقعها من التعريف . فمثلاً ، يتفق كل من بارنغتون مور وصموئيل هونتينغتون على أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أعقبت انفصال المستعمرات الأمريكية عن بريطانيا العظمى بعد عام ١٧٧٦ لا يمكن أن تعتبر ثورة(١٤) . بينما نجد أن ج . فرانكلين جامسون خلال بحثه التاريخي (الذي كان متاحاً لمور وهونتينغتون) يرى أن ما حدث كان ثورة فعلاً . فالثورة الأمريكية ، كما يناقش جامسون ، قامت وبشكل أساسي بأضعاف المكانة والدور والثروة التي كانت تتمتع بها الطبقة الاستعمارية العليا وكذلك بتعجيل بروز طبقة وسطى من العامة (Middle Class gentry) استفادت من مصادرة املاك المؤيدين لأنجلترا سواءالذين بقوا أو الذين هاجروا الى كندا ، وكذلك من ازالة قيود التاج على استعمار الأراضي لقاء قاعدة كون الابن البكر هو الوارث الوحيد(١٥)

كما ذُكر سابقاً ، فأن هاري ايكستن قام بإدخال مصطلح **الحرب الداخلية** وذلك كمحاولة جديرة بالثناء في سبيل تقليل التشويش والارتباك ولكن ايكستن استثنى من تعريفه للحرب الداخلية حالات « حيث يكون العنف السياسي مُزمن ومتوقع »(١٦) والذي

(12) C. Johnson, 1966, p.102.
(13) Kecskemeti, 1961, p.2.
(14) Moore, 1966, P.112; Huntington, 1968, p. 304.
(15) Jameson, 1956, p.16-20 and 32-35.
(16) Eckstein, 1964, p.14.

(كما رأينا سابقاً) يستبعد من التحليل غالبية بلدان أمريكا اللاتينية ، آسيا ، افريقيا ، والشرق الأوسط سواء بالنسبة للماضي القريب أو المستقبل القريب . لذلك فإن وليام كورنهاوسر ـ أحد الدارسين البارزين لأعمال ايكنستن ـ رفض الأخذ بتعبير **الحرب الداخلية** كمنطلق واستعاض عنه بتعبير **التمرد** كمنطلق وأساس حيث تبقى التعبيرات الأخرى من « ثورات ، حروب أهلية ، عصيان عسكري ، انقلابات عسكرية ، انتفاضات ضد الاستعمار ، وشغب واضرابات ضد الدولة »[١٧] مجرد فروع لمثل ذلك الأساس . وكما سنرى في فصل قادم ، فإن أحد المتغيرات الجذرية في نجاح أو فشل الحركات الثورية هو الدرجة التي تتلقى بها حركة معينة مساندة من دول أجنبية ومتعاطفين أجانب وهذا مما يقلل من دقة تعبير ايكنستن .

ولكن الارتباك الذي تثيره المشاحنات حول التعريف المناسب يجب ألا يكون طويل الأمد وخاصة في العلوم الاجتماعية حيث تعريف المفاهيم الأساسية لأي بحث أو نظرية دائماً مفعم بالجدل ولكن ذلك ، وكما يبدو ، لا يعيق مواصلة البحث أو حتى تطوير نظرية . فمثلاً ، قام اثنان من علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) البارزين بتلخيص ما عدده ١٦٤ تعريفاً لمفهوم **الثقافة أو الحضارة** (Culture) وذلك فيما يقارب ٢٢٣ صفحة رافضين في النهاية اضافة تعريفهما الخاص[١٨] . وفي دراستهما للثورة ، قام كل من كارل ليدن وكارل م . شميت بفحص أكثر من دزينة من تعاريف الثورة وانتهيا الى القول : « نحن قانعان بابقاء السؤال مفتوحاً » [١٩] . ولكن وبالرغم من ذلك فإنه ليس من العدل أن ينتهي الأمر عند هذا الحد فمما لا ريب فيه أن تعبير **الثورة** [في الانجليزية] قد استقي من علم الفلك كما أن الفلاسفة استعملوا المصطلح كتعبير عن العملية الدائرية أو التكرارية لأحداث الانسانية وكذلك فإنه مما لا ريب فيه أن المصطلح دخل مجال المحادثة السياسية بعد ثورة ١٧٨٩ الفرنسية[٢٠] . كما أن هنالك شبه اجماع بين الكتاب في هذا الموضوع على أن **الثورة** تعني أيضاً تغييراً في الجهاز الاداري للحكومة وبنيتها وأسطورتها المساندة (Supporting Myth) أخيراً وظائفها وذلك بطرق غير مجازة وفقاً للدستور القائم . هذه الطرق تتضمن الى حد بعيد ممارسة العنف أو التهديد بممارسة العنف ضد النُخب السياسية (Political elites) أو المواطنين أو ضدهما معاً كما أن معظم الدارسين يرون أن **الثورة** تعني الانقطاع النسبي والتغير الأساسي في توزيع الثروة والأوضاع الاجتماعية[٢١] . كذلك فإن بعض دارسي الثورة قد حددوا المصطلح أيضاً ليعني عملية « التحديث » وعلى ذلك فإنهم استبعدوا من العملية الثورية الحقيقية تلك الحركات ذات الطابع الديني التبشيري

---

(17) Kornhauser, 1964, p.142.
(18) Kroeber and Kluckhohn, 1952 .
(19) Leiden and Schmitt, 1968, p. 9.
(20) Arendt, 1965, pp. 35-36; Schrecker, 1966, p.34; Kamenka, 1966, p. 125.
(21) Stone, 1966, pp. 159-64; Hunter, 1940, p.x; Neumann, 1949, pp. 333-34.

وكذلك تلك التي ينقصها بُنى تنظيمية متماسكة وتلك التي ينقصها أو تفتقد التعبير الواضح عن مصالحها ومطالبها(٢٢) . ولكن وكما يبدو فإن القليل من الدارسين يتفقون مع حنا ارندت وطرحها المتضمن أن **الثورة** يجب أن تقتصر على تلك الحركات الحديثة غير المنتظمة نسبياً والتي ساعدت على اتساع دائرة الحرية الانسانية(٢٣) . وكما يبدو فإن مثل هذا التعريف محدود جداً رغم أنه مبني على فهم معين للتجارب الشيوعية والفاشية في القرن العشرين .

الثورة كعملية

بالامكان القول أن الجدل الدائر حول معنى **الثورة** ما هو الا نتيجة جزئية للخلط وعدم الوضوح بين **غايات** الحركات الثورية وبين **أساليبها** المحددة في العملية الثورية . فالثوريون ، وفق التعريف ، يسعون الى تغيير أساسي في التوزيع السائد للثروة والوضع الاجتماعي والسلطة ولكن أساليبهم تتراوح ما بين الارهاب مروراً بحرب العصابات الفلاحية والاضرابات العامة الى الانقلاب العسكري . هذه الأساليب قد تنفذ بشكل متعاقب أو متتال ولكن غالباً ما تتشابك عدة أساليب وذلك خلال مسار التعبئة الثورية . وفي الحقيقة فإن افضل تصنيف للحركات الثورية هو ذاك الذي يركز على الوسائل أو الأساليب اكثر من تركيزه على الغايات حيث تصبح غاية النظرية في هذا المجال لتحديد العلاقة بين أساليب معينة والظروف الموضوعية التي تعمل فيها الحركة(٢٤) . وهذا أيضاً يعني أن « الثورة » يجب أن تُفهم على أنها عملية Process أكثر من كونها حادثة event . ففي الدراسات المفصلة لحركات ثورية معينة لوحظ بأن « الثوريين » يبادرون بالعمل دون أن يكون لديهم هدف ثوري . ولكن ووفقاً لاستجابة أو رد فعل النظام للتعبير الأول عن المقاومة أو العنف وكذلك بناءً على تعبئة الحركة بموارد غير متوقعة ينبثق الهدف الثوري وكذلك تتخذ الحركة تعريفاً محدداً(٢٥) . اذاً هنالك سند منطقي وواقعي empirical للادعاء القائل بأن الثورة يجب أن تفهم على أنها جزء من سلسلة متصلة من نماذج السلوك الجماعي المنحرف عن المعايير السائدة . فنفس الأوضاع المرافقة لزيادة معدلات الانتحار والعنف الاجرامي والاحياء الديني والتململ العمالي والحركات الدستورية الرامية سواء الى اصلاح سياسي أو اجتماعي هي في نفس الوقت مرافقة لتلك الأنماط من العنف السياسي الذي يجد تعبيراً له آخر الأمر في الحركات الثورية(٢٦) .

في هذا المجال ، من الواجب التركيز على التجاوز الخطر الذي تقع فيه الكثير من

---

(22) Hobsbawm, 1959, Chap. 1; Huntington, 1968, p. 264.
(23) Arendt, 1965, Introduction.
(24) Janos, 1964; Smelser 1963, p. 315; Kornhauser, 1964; Rosenan, 1964; Stone, 1966.
(25) Gusfield, 1968, p. 447; Lemarchand, 1968, p. 37.
(26) Smelser, 1963, pp.49, 120-21, 227, 271, and 317; Parsons, 1951, p. 72; Iglitzin, 1972, p. 29; Leiden and Smelser,1968,p. 44; Gurr, 1970, pp. 5 and 334; Geschwender, 1968, pp. 129-30.

الدراسات حول الثورة . فالدراسات السابقة ركزت على ما يسمى بـ « الثورات الكبرى » للعالم الحديث والتي تشمل الثورات البيوريتانية والأمريكية والفرنسية والروسية . وقد قامت الدراسات اللاحقة بتوسيع الاطار ليشمل الثورات المكسيكية والصينية والكوبية والثورات الأخرى لفترة ما بعد الحرب . ولكن لفهم خصائص الثورة وظروف تطورها فإنه يجب علينا أيضاً أن ندرس تلك الحركات الثورية التي فشلت في الوصول الى السلطة . فلا فرضيات أو نظرية للثورة يمكن أن تدعي الصحة اذا كانت مستخلصة أو مستنتجة بشكل أساسي من دراسة للحركات الثورية الناجحة فقط . والقبول بالأهمية النظرية للحركات الثورية غير الناجحة يدفعنا الى القبول بمصطلح للثورة وفق تعبير **العملية** . وفي هذا المجال ، كتب جيمس أ . جيشويندر يقول « أن الظروف التي تنتج الثورة لا تختلف من حيث المبدأ عن تلك التي تنتج شيئاً أقل أو حتى احتجاجاً غير ناجح »[٢٧] . كما أن كارلتون بيلز علق على الحركة الطلابية الراديكالية في الولايات المتحدة كذلك حركات السود والسلام بقوله « أنها بعيدة عن تكوين ثورة حقيقية ولكنها بالرغم من ذلك تعتبر مقدمات نموذجية للثورة »[٢٨] .

ومما يؤيد الأطروحات السابقة ملاحظة أن حوادث الانتحار والاجرام العادي غالباً ما تنخفض خلال مراحل التململ الثوري[٢٩] . وكذلك مما يؤيد هذه الأطروحات البحث الاحصائي حول العلاقة بين مختلف أشكال العنف السياسي ، ففي تحليل بُني على عامل ر . ج . رومل في ١١٣ بلداً ما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٩ وجد أن هنالك علاقة قوية بين متغيرات بُعدين للصراع المحلي . بناءً على مقولات رومل ، فان متغيرات البعد الأول تشمل الانقلابات ، المؤامرات ، الحرب الداخلية ، تمرد العسكر ، والارهاب الواسع المدى . أما متغيرات البعد الثاني فهي تشمل حوادث الشغب ، الارهاب ضيق المدى ، العنف شبه المنعزل ، والاضطراب[٣٠] . أما دراسة دوغلاس بوي للصراع الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي في أمريكا اللاتينية فقد وجدت علاقة أوثق بين المقولات المتعددة « للاضطراب » (اضرابات ، مظاهرات ، شغب) و « الحرب الداخلية » (الارهاب ، حرب العصابات ، الحرب الأهلية ، الغزو الثوري) . هذا لا يعني أن هنالك تتابعاً معيناً من شكل معين من أشكال العنف السياسي الى شكل آخر ولكنه يعني أن هذه الأشكال وثيقة الصلة بالعوامل المساهمة والتي تتضمن درجة شرعية النظام وطبيعة استجابة الحكومة لعدم الاستقرار[٣١] .

نخلص من ذلك الى أنه بغرض تعريف دوغمائي للثورة ، مع الأخذ في الاعتبار تعقيد المعلومات ، فإننا انما نقوم بتشويه موضوع بحثنا والافراط في تبسيطه . فالتعريفات انما

---

(27) Geschwender, 1968, p. 128.
(28) Beals, 1970, p. 12.
(29) Brinton, 1965, p. 174.
(30) Rummel, 1966.
(31) Bwy, 1968; Midlarsky and Tanter, 1967; p. 279; Feierabend and Feirabend, 1966.

تفرض أسئلة تستوجب الاجابة بـ « نعم » أو « لا » بينما المعلومات تستوجب معاملة وفق مصطلحات « أما ـ او » . ولكن الثورة ، ومن المحتمل أكثر الظواهر السياسية ، انما تستوجب مقولات اجاباتها تدور في مدى « أكثر » أو « أقل » وذلك في سبيل المساعدة على توضيح مشكلات بحثنا وفق الدرجة بدلاً من تعتيمها بوهم النهائية.

أين نقف

« أكثر » أو « أقل » .

نحن اذن مهتمون بامكانية Potential المجتمع للثورة[٣٢] . نحن نلاحظ معدلات تغير العنف السياسي في المجتمع بدون ، على سبيل المثال ، الاحساس بضرورة اعطاء « نعم » أو « لا » كاجابة محددة للتساؤل حول ما اذا كانت الثورة في المجتمع حتمية أو مستحيلة . فمن الكافي أن نكون قادرين على دراسة الارتفاعات والانخفاضات في امكانية المجتمع الثورية بدون الادعاء بالمقدرة على التنبؤ بالخطوط العريضة لمستقبله السياسي .

هذا يعني أن محاولتنا لفهم العملية الثورية يجب الا تكون مقصورة فقط على دراسة تلك المجتمعات التي خبرت رياح الثورة . فإذا كان بناؤنا المفاهيمي للعملية الثورية والامكانية الثورية للمجتمع يتخذ صفة الشمول فإننا يجب أن نتعلم شيئاً مفيداً عن الثورة حتى بدراسة الظواهر السياسية التي ليس لها علاقة مباشرة بالثورة . لذلك فإننا نكدح في الكثير من حقول ومجالات البحث وذلك في سبيل حصاد شيء جوهري لتغذية شهيتنا للمعرفة والفهم .

ولعله من المفيد التكرار بأن نوعية فهمنا للعملية الثورية تؤدي الى التزامنا أيضاً بدراسة الحركات الثورية التي فشلت مثلما ندرس تلك التي نجحت وذلك كما نحاول أن نفهم عوامل النجاح في قطاع الأعمال عند دراسة الشركات التي أفلست والتي ازدهرت . الافلاس والازدهار ، الفشل الثوري والنجاح ، امكانية ثورية منخفضة وعالية ، كل هذه الأمور ما هي الا كفتا ميزان متقابلة .

إن استراتيجية الكاتب لانماء فهم مترابط لدى القارىء عن العملية الثورية سيكون كالتالي . الفصل القادم يناقش الثورة في كل بلدٍ على حدة وفق التسلسل الزمني التاريخي للحوادث . هذا الأسلوب القصصي وفق التسلسل الزمني صُمم في سبيل اثارة الفضول المفاهيمي لدى القارىء أكثر من كونه محاولة للإجابة عن أي سؤال عن طبيعة الثورة .

في القسمين الثاني والثالث من الكتاب، سيكون التركيز متخطياً حدود كل بلدٍ على حدة متخذاً كل البلدان وحدة واحدة حيث سنقوم بتحديد المتغيرات المرافقة للعملية الثورية

---

(32) Gurr, 1970, pp. ix-x, 8; Feldman, 1964, pp. 115-21.

كلا الكاتبين يشير الى العلاقة الوطيدة بين مختلف اشكال العنف السياسي ، وبالتالي يقترح فائدة قياس الامكانية الثورية بدلاً من الحادثة الفعلية للحركات الثورية .

وفحص علاقاتها مع متغيرات أخرى في محيطات ومجالات متعددة . فالقصص التاريخي يزودنا بالمعلومات كما أن فحص الفرضيات على نحو عالمي يزودنا بالفهم .

إننا على هذا النحو نقوم بفحص واختبار امكانية الحقل (علم السياسة) في مجال بناء النظرية والتي ، في هذا الكتاب ، لا يقصد بها « الفلسفة » أو « التأمل » ولكنها تعني تـعميم معين أو مجموعة من التعميمات المترابطة منطقياً والمتضمنة سلسلة من الفرضيات القابلة للفحص أو الاختبار فالنظريات غير قابلة للاختبار بشكل مباشر ، الفرضيات فقط هي التي تملك هذه القابلية . لذلك فإن بامكاننا بناء النظرية وفقاً للفرضيات كما أن الفرضيات من الممكن أن تُستنتج من النظرية . على أية حال ، نحن مهتمون بالتعميمات المبنية على الوقائع (أو ما يبدو أنه وقائع) . نحن نحاول أن نفحص امكانية الحقل في مجال بناء النظرية وذلك باستخلاص واختبار الفرضيات المبنية على الدراسة ذات النحو العالمي للعلاقة بين المتغيرات ذات العلاقة بعملية الثورة .

رغم ذلك فإنه لا يزال الكثير لم يقل إذ أنه حتى لو اتفقنا على أن دراسة العملية الثورية تكون بشكل أفضل فيما لو قسمناها الى **خصائص** الحركات الثورية (القسم الثاني من هذا الكتاب) ، ودراسة **الوضع** أو المحيط الذي منه انطلقت الحركات (القسم الثالث من هذا الكتاب) ، فإنه ما زال علينا أن نقرر وأن نحدد مخطط التصنيف Classification Scheme الذي من خلاله يمكن تحليل « الخصائص » و « الوضع » .مخطط التصنيف المُتبنى في هذا الكتاب بسيط ومن الممكن تبيانه من خلال قائمة المحتويات وكذلك من مقدمة كل فصل .

ولكن القارىء مدعوّ أولاً لانشاء مخططه (أو مخططها) التصنيفي . ما هي خصائص الحركات الثورية ، سواء انتهت بالنصر أو المأساة ؟ وما هي خصائص الوضع الذي ، في كل مجتمع وعند لحظة زمنية ، معينة ، سيزودنا بمقياس لامكانية المجتمع الثورية ؟ مواد الفصل القادم تشمل عيِّنة مفيدة لحركات ثورية نجحت وفشلت ذات اتجاهات ايديولوجية تتراوح من اليسار الى الوسط والى اليمين وفي مجتمعات تراوحت وتقلبت امكانياتها الثورية عبر الزمن بشكل رئيسي .

وعلى ذلك فإن موضوع الفصل الثالث ما هو الا مجموعة من الأدوات لمساعدة دارس الثورة اذ أنه من الغالب أن يتعلم الانسان أكثر من خلال الجهد المفاهيمي الخاص به الذي قد يقود الى التعثر والاضطراب أكثر مما لو قيل له من البداية ما يُفترض أنه الحق . اقرأ اذاً واجعل انتباهك منصباً على كيفية عمل عقلك ـ كيف يناضل في سبيل الانتقال من الخاص الى العام وذلك في سبيل تحويل المعلومات الى فهم أو معرفة .

الفصل الثالث

تسلسل تاريخي : معلومات تاريخية أولية

المستعمرات الأمريكية : ١٦٦٠ - ١٧٨١ :

١٦٦٠

يقوم البرلمان بتأكيد حقه الدستوري في التشريع لمستعمرات انجلترا وذلك بإصدار قانون الملاحة الأول . هذا القانون وغيره من قوانين الملاحة اللاحقة يفرض على المستعمرات بيع منتجات زراعية محددة لانجلترا (بما في ذلك القطن والتبغ) . هذا يعني أن تجار المستعمرات وأصحاب المصالح في الشحن البحري ممنوعون من التعامل مع أسواق أجنبية اخرى قد يكون معدل الربح فيها أعلى منه في انجلترا . كما أن قانون برلماني آخر عام ١٦٦٣ يفرض على السلع المستوردة من قبل المستعمرات أنْ تمر أولاً على انجلترا وتشحن من موانئها مما يعني ارتفاع تكاليف السلع المستوردة من قبل التجار الأمريكيين . وأيضاً يفرض قانون الملاحة قيوداً معينة على نمو الصناعة والتجارة في المستعمرات وذلك لصالح المصالح الصناعية الانجليزية .

١٧٣٣

يقوم البرلمان باصدار قانون الدبس Molasses الذي يفرض على سكان المستعمرات استيراد السكر من مستعمرات بريطانيا في جزر الهند الغربية . قبل ذلك ، كان سكر أمريكا يأتي من جزر الهند الغربية الفرنسية والذي كان اقل كلفة من سكر جزر الهند الغربية البريطانية . خلال العقود التالية ، نمت تجارة التهريب بشكل كثيف وقد حاولت بريطانيا القضاء على التهريب وذلك بمصادرة السفن المملوكة من قبل التجار الأمريكيين بعض الأحيان مما زاد في درجة العداء للسيطرة الاستعمارية البريطانية .

١٧٦٣

تُنهي معاهدة باريس الحروب الفرنسية والهندية والتي ابتدأت عام ١٦٨٩ . هذا يعني انتهاء السيطرة الفرنسية على بعض أجزاء كندا وبروز بريطانيا العظمى كالقوة الأمبراطورية الأولى في شمال أمريكا . وكذلك فإنْ التهديد الهندي للمخافر الأمامية لسكان المستعمرات الأمريكية ينخفض نتيجة هذه المعاهدة مما جعل الأمريكيين اقل اعتماداً على

بريطانيا العظمى في سبيل الحماية وأكثر أمناً مما جعلهم أكثر توقاً لإظهار الروح التي انبثقت فيهم من احساس بالعزلة والاستقلال .

١٧٦٥

تقوم الادارة الجديدة في بريطانيا العظمى بمحاولة تنفيذ سياسات تهدف الى (١) زيادة الدخل من المستعمرات بحيث (٢) تصبح تكاليف الدفاع وادارة المستعمرات واقعة على كاهل سكان المستعمرات أنفسهم . من ذلك أن ضرائب اضافية على الدبس والسكر تُفرض ، ولكن تجار المستعمرات كانوا حذرين من وعيد حكومة بريطانيا بتنفيذ قوانين الضرائب بشدة . وفي عام ١٧٦٥ يقر البرلمان قانون الطوابع والذي يعتبر أول قانون يفرض الضريبة على مواطني المستعمرات من الأمريكيين بشكل مباشر . وفقاً للقانون فإن كل الصحف والاعلانات والكتيبات والوثائق القانونية والمعاملات الأخرى والصادرة في المستعمرات التي يجب عليها أن تحمل طابعاً ـ والنقود المدفوعة لشراء هذه الطوابع تذهب الى بريطانيا العظمى . هذا القانون الجديد شُجب بشدة من قبل العديد من الأشخاص الأكثر تعليماً وكذلك من قبل أثرياء المستعمرات والمتأثرين اكثر من غيرهم من ضريبة الطوابع . هذه الفئة تشمل كلاً من التجار والمحامين والناشرين وكذلك الصحفيين . وقد قامت مجموعات من سكان المستعمرات البارزين بتشكيل معارضة منظمة لقانون الطوابع وقد أطلقت هذه المجموعات على نفسها اسم أبناء الحرية وحافظت على نوع من الاتصال فيما بينها بواسطة « لجان المراسلة » . وفي تشرين أول (اكتوبر) قامت هيئة قانون الطوابع بالاجتماع في مدينة نيويورك بممثلين من تسع من المستعمرات الثلاث عشرة . هذا وقد تبنت الهيئة اعلاناً للحقوق والمظالم يتضمن انه لا يحق للبرلمان فرض ضرائب على المستعمرات بدون موافقة مباشرة من ممثلي المستعمرات في البرلمان (لا ضرائب بلا تمثيل) . وقد قام قطاع الأعمال في المستعمرات مؤيداً من قبل أبناء الحرية بالتهديد بمقاطعة كل المستوردات البريطانية .

١٧٦٦

يقوم البرلمان بإلغاء قانون الطوابع ولكن المقاومة (ايديولوجياً وتنظيمياً) للسلطة البريطانية كانت قد أُسست في المستعمرات . كما ان البرلمان عاد فأكد بشكل رسمي حقه القانوني في فرض الضرائب على المستعمرات (اعضاء البرلمان هم « الممثلون الفعليون » لكل الرعايا البريطانيين سواء ارسل هؤلاء الرعايا او لم يرسلوا ممثلين منتخبين الى البرلمان) .

١٧٦٧

يقوم البرلمان بإقرار قوانين التاونشند والتي بمقتضاها تُفرض مكوساً معينة على بعض الواردات المُقنعة الآتية الى المستعمرات والتي تشمل الشاي ، الورق ، الرصاص وكذلك الزجاج . هذا وقد قام بعض سكان المستعمرات البارزين من امثال صموئيل ادامز

و جون ديكنسن بقيادة حملة الرفض للضرائب الجديدة كما ان التجار في مدينة بوسطن قاموا بمقاطعة المستوردات البريطانية .

١٧٦٨

محاولة منها لتنفيذ قوانين التاونشند ، تقوم السلطات البريطانية بمصادرة احدى السفن (ليبرتي) والعائدة لجون هانكوك ، ابرز رجل اعمال وتاجر في مدينة بوسطن ، مما ادى الى حادثة شغب وفي النهاية أُحرقت السفينة . هذا وقد حُل المجلس التشريعي لماساتشوستس من قِبَل الحكومة الاستعمارية البريطانية وذلك لأن المجلس كان قد بعث برسالة الى بعض مشرعي المستعمرات الآخرين شارحاً فيها المصاعب التي تمر بها المستعمرة وطالباً المساعدة .

١٧٧٠

تحتل القوات العسكرية البريطانية مواقع في مدينة بوسطن للمحافظة على النظام ولتحصيل الرسوم الجمركية المقررة بموجب قوانين التاونشند . وقد كانت هذه القوات تتعرض بشكل متكرر للتهديد بالإيذاء البدني وللسخرية والتهكم من قبل سكان مدينة بوسطن . ففي الخامس من آذار (مارس) لم تستطع القوات البريطانية اخماد مظاهرة عنيفة الا بعد اطلاق النار على الجماهير المتظاهرة . وقد كانت نتيجة ذلك قتل ثلاثة رجال واخرين توفيا لاحقاً بتأثير الجراح (مذبحة بوسطن) . وقد تحولت جنازة هؤلاء الشهداء الخمسة الى مظاهرة معادية للبريطانيين (او ، حسب وجهة نظر اخرى ، تجمع وطني) .

١٧٧٣

رغم ان البرلمان كان قد قام بحل قوانين التاونشند عام ١٧٧٠ إلا أنه اكد حقه في فرض الضرائب على المستعمرات وذلك بالإبقاء على ضريبة الشاي . (وقد كان للضريبة هدف آخر هو المساعدة المالية لشركة الهند الشرقية البريطانية والتي كانت تعاني من المتاعب في ذلك الوقت) . وقد قام بعض القياديين من سكان المستعمرات بتنظيم مقاطعة ناجحة للشاي الا ان السلطات البريطانية في بوسطن رفضت السماح لثلاث سفن محملة بالشاي بمغادرة ميناء بوسطن قبل دفع ضريبة الشاي . الا ان بول ريڤير وصموئيل ادامز قاموا بالتنكر على شكل هنود حمر وتسللوا الى سفن الشاي وقاموا بقذف الصناديق في مياه الميناء وذلك في ليلة السادس عشر من كانون اول (حفلة شاي بوسطن) .

١٧٧٤

يقوم البرلمان بإقرار قانون كويبك والذي كان الهدف منه تقوية السيطرة البريطانية على كندا وخصوصاً مقاطعة كويبك . ففي سبيل ضمان ولاء الكنديين الفرنسيين ، اكد قانون كويبك على سلطة القانون المدني الفرنسي في كويبك كما ضمن الحرية الدينية . هذا وقد اثار هذا التنازل للكثلكة الرومانية غضب البروتستانت في المستعمِرات الامريكية . وما

اثار غضب سكان المستعمرات من القانون بشكل خاص هو مد الحدود الإقليمية لمقاطعة كويبك جنوباً حتى نهر اوهايو وغرباً حتى المسيسيبي . وعلى ذلك فإن العديد من الادعاءات الاقليمية الغربية للمستعمرات كان قد ابطل كما ان جزءاً اساسياً من التخوم اغلق في وجه التوسع الامريكي .

وقد اثمرت مقاومة المستعمرات لقانون كويبك والقوانين الأخرى (تدعى بـ « القوانين اللامحتملة ») التي كانت غايتها عقاب المستعمرات على مقاومتها السلطة البريطانية عن اجتماع المجلس القاري الأول في مدينة فيلادلفيا وذلك في ايلول (سبتمبر) وتشرين اول (اكتوبر) . وقد اشترك في هذا الاجتماع اثنتا عشرة مستعمرة من المستعمرات الثلاث عشرة . وقد صاغ مندوبو المستعمرات عريضة من المظالم ارسلت الى الملك كما اتفقوا على مقاطعة الاستيرادات البريطانية كما انهم حرموا التصدير من المستعمرات ولم يشذ عن هذا الاتفاق الا قلة قليلة حبذت اجراءات اكثر جذرية .

١٧٧٥

تقوم وحدات من ميليشيات ولاية ماساتشوسيتس ببناء مخازن التموين العسكري في كونكورد . وقد قام القائد البريطاني في بوسطن ، محاولة منه لنزع الوسائل التي من الممكن ان تستخدم في تمرد مسلح وذلك في التاسع عشر من نيسان (ابريل) بإرسال كتيبة من المشاة الملكية الى كونكورد لمصادرة مستودعات الذخيرة . وقد كان بول ريڤير واحداً من وطنيّي المستعمرات الذين قاموا بنشر خبر تقدم البريطانيين . وقد تصادمت مفرزة متقدّمة من البريطانيين مع جماعة من ميليشيات ماساتشوسيتس وذلك في ليكسينغتون حيث تُبودل اطلاق النار الذي اسفر عن مقتل عدد من افراد الجماعة وانسحبت البقية بينما واصل البريطانيون زحفهم . وفي كونكورد تبودل اطلاق نار آخر حيث دُمر بعض العتاد الحربي لسكان المستعمرات واصيب حوالي ٢٠٠ جندي بريطاني وذلك اثناء انسحابهم المتعثر الى بوسطن .

وفي العاشر من ايار (مايو) قامت مجموعة من الكولونيلات المسلحين بقيادة ايثان آلن وبنديكت ارنولد بانتزاع حامية تيكونديروغا (الواقعة في الشمال الشرقي من ولاية نيويورك) من ايدي البريطانيين .

وفي نفس الوقت قام المجلس القاري الثاني بالاجتماع في فيلادلفيا ولكن المندوبين كانوا منقسمين حول قضية ما اذا كان من الضروري الانفصال الكامل عن بريطانيا العظمى . ولكن وعلى اي حال فقد قام المجلس بتشكيل جيش قاري . وفي الخامس عشر من حزيران (يونيو) قام المجلس بتعيين جورج واشنطن كقائد اعلى للجيش . وفي السابع عشر من نفس الشهر اسفر الحصار البريطاني لمدينة بوسطن عن نصر غالي التكاليف وذلك في معركة بونكرهِل .

في شهر آب (اغسطس) قام المجلس بإرسال وحدات عسكرية الى كويبك وذلك في

سبيل حماية الحدود الغربية للمستعمرات وكذلك لإثارة المشاعر ضد البريطانيين بين الكنديين .

١٧٧٦

كانت وجهة نظر الموالين لبريطانيا قوة دافعة للمصالحة وذلك في كافة المستعمرات تقريباً وخاصة وبشكل كبير بين ملاك الأراضي ورجال الأعمال والمهنيين والانجليكان الذين وُلدوا في بريطانيا العظمى والذين كانوا من رجال الدولة في الإدارة الاستعمارية البريطانية . وقد يكون من المحتمل ان ثلث السكان كان لامبالياً او محايداً بالنسبة لقضية الانفصال عن بريطانيا العظمى ولكن الاقلية الناطقة المحبذة للثورة كانت قد ازدادت ايماناً باقتناعاتها وذلك بعد صدور كتيب توماس بين Paine **الحس العام** والذي نشر في كانون ثاني (يناير) . ولكن الجنود المتطوعيين من افراد الجيش القاري كانوا بحاجة الى اكثر من مجرد اقتناع . فحملة الجيش على كويبك انتهت بكارثة . كما ان الجنود كانوا سيئي التدريب والاعداد .

كذلك فإن المجلس القاري كان الى حد بعيد لا يملك سلطة على الحكومات المختلفة للمستعمرات مما جعل من الصعب جمع الأموال اللازمة لمواصلة الحرب . ومع ذلك فإن اغلبية مندوبي المجلس استطاعت في النهاية الاقتناع برأي جون ادامز وجون هانكوك وصموئيل ادامز وآخرين باتخاذ الخطوة المصيرية . فالمسودة النهائية لإعلان الاستقلال (المسودة الأولى كانت من انشاء توماس جفرسون) تُبنيت من قبل المجلس وذلك في الرابع من تموز (يوليو) . وفي آب (اغسطس) قامت تشكيلة من القوات البرية والبحرية البريطانية بجر واشنطن الى القتال في سلسلة خاسرة من المعارك بينما كان يجلي قواته من لونغ ايلند وجنوب نيويورك .

١٧٧٧

خلال شتاء ١٧٧٦ ـ ١٧٧٧ استطاعت قوات واشنطن ان تحرز بعض الانتصارات الطفيفة ضد الجنود المرتزقة الالمان والذين كانوا مستخدمين من قبل البريطانيين . وفيما بعد وخلال السنة استطاع البريطانيون الانتصار في معارك هامة في برانديواين وجرمنتاون واحتلوا فيلادلفيا . ولكن الخطة البريطانية لتقسيم المستعمرات على طول وادي نهر هدسون فشلت وفي السابع عشر من تشرين اول (اكتوبر) قام احد الجيوش البريطانية بالاستسلام نتيجة قلة العدد وعدم البراعة في المناورة وذلك في ساراتوغا (ولاية نيويورك) .

١٧٧٨ ـ ١٧٨١

تثبت معركة ساراتوغا بأنها النقطة الفاصلة في الحرب . فالإنتصار الأمريكي اثبت للفرنسيين شرعية الثورة ، كما اثبتت الايام في النهاية ان المساعدة العسكرية الفرنسية

كانت ذات اثر حاسم . وبالرغم من ان معارك عديدة ما زالت يجب ان تخاض ، وبالرغم من ان مسرح العمليات في آخر الأمر امتد من الشمال الى الجنوب ومن المحيط الاطلسي الى التخوم ، وبالرغم من ان قوات واشنطن كان يجب عليها ان تواجه العديد من المصاعب ، فإن المستعمرات الامريكية الآن أخذت تشق طريقها بنجاح لأن تصبح الولايات المتحدة الامريكية . وقد كان استسلام الجنرال كورنواليس في يوركتساون (فرجينيا) الى قوات فرنسية ـ امريكية في التاسع عشر من تشرين اول (اكتوبر) سنة ١٧٨١ خاتمة المقاومة العسكرية البريطانية للاستقلال الامريكي .

فرنسا : ١٧٧٦ ـ ١٧٩٤

١٧٧٦

كان تورغو قد اصبح مراقب النفقات المالية العام في فرنسا منذ ١٧٧٤ وقد حاول ادخال اصلاحات اقتصادية رئيسية بما في ذلك اطلاق حرية التجارة وفرض الضرائب على مُلاك الأراضي وكذلك الغاء بقايا القيود الاقطاعية على التجارة والزراعة . وهذا يعني ان تورغو قد اثار عداوة طبقة النبلاء الفرنسية القوية وكذلك فئة رجال الدين التي لم تكن اقل قوة وتأثيراً وذلك باتباع مبدأ التسامح مع البروتستانت ـ الذين كانوا احد المصادر الهامة لقطاع الأعمال والتحديث الاقتصادي في فرنسا . ولكن ، وبناء على ضغوط النبلاء ورجال الدين ، قام الملك لويس السادس عشر بإجبار تورغو على الاستقالة وذلك في شهر ايار (مايو) من عام ١٧٧٦ .

١٧٨٧

كانت الحكومة مهددة بالإفلاس نتيجة دين عام كبير . وقد كان احد الاسباب الجزئية لأزمة الحكومة الاقتصادية هو مساعدتها لحرب الاستقلال الامريكية والذي يظهر بجلاء مدى المعارضة الفرنسية الطويلة للمصالح البريطانية في اوروبا والعالم الجديد . وقد حاول شارل كالون ، مراقب النفقات المالية العام منذ عام ١٧٨٣ ، حل المشكلات الاقتصادية للحكومة وذلك بفرض ضرائب مباشرة على الأرض وادخال ضريبة الطوابع وكذلك بتخفيض الامتيازات الاقتصادية للنبلاء ورجال الدين . وفي سبيل تأمين تبني هذه الاصلاحات ، قام كالون بإقناع الملك بإنشاء مجلس تشريعي للوجهاء . ولكن المجلس رفض مقترحات كالون واقنع الملك بطرده حيث حل محله كمراقب عام للنفقات المالية دي بريين والذي كان احد خصوم كالون في مجلس الوجهاء . وقد قام دي برين بتبني مشروع كالون بالنسبة لفرض ضريبة مباشرة على الأرض . ولكن بعض رجال الدولة كانوا يرون ان مثل هذا البرنامج لا يمكن أن يُقر الا بواسطة مجلس الطبقات وقد قام دي برين بإقناع الملك بعقد اجتماع لمجلس الطبقات لأول مرة منذ ١٦١٥ .

١٧٨٩

الأول من أيار (مايو)

يجتمع مجلس الطبقات في فرساي ، وقد كان يتكون من ثلاث طبقات منفصلة : الطبقة الأولى كانت تشمل ممثلين عن رجال الدين ، والطبقة الثانية كانت تشمل ممثلين عن النبلاء ، اما ممثلو الطبقة الثالثة ـ العامة ـ فقد اختيروا من المواطنين الاثرياء والذين لا القاب لهم . وقد امر الملك كل مقاطعة ان تقوم بوضع لائحة للتظلمات تكون اساساً لجدول اعمال مجلس الطبقات . وقد كان الرأي العام يبدو مقتنعاً ان هنالك تغيراً اساسياً في طريقه الى الحدوث .

السابع عشر من حزيران (يونيو)

كان التصويت في مجلس الطبقات بناءً على الممتلكات العقارية لذلك فإن الاغلبية الفعلية (والتي كانت تحتل مقاعد العامة) لم تكن قادرة على تغيير سياسة الحكومة . الا ان بعض النبلاء والكثير من رجال الدين الممثلين للطبقة الأولى اتفقوا مع الطبقة الثالثة على ضرورة ادخال اصلاح جذري . وقد كوّن اعضاء مجلس الطبقات هؤلاء تحالفاً واعلنوا انفسهم كمجلس للأمة . وقد اعتبروا مجلس الأمة هذا ممثلاً لكامل الأمة الفرنسية .

العشرون من حزيران (يونيو)

يأمر الملك بإغلاق القاعة التي كان يجتمع فيها مجلس الأمة الا ان الاعضاء اعادوا الاجتماع في بناية تقع على الأرض التابعة لقصر فرساي والتي كانت تحتوي على ساحة تنس داخلية ، حيث اقسم اعضاء مجلس الأمة على عدم الانفضاض قبل كتابة دستور جديد .

السابع والعشرون من حزيران (يونيو)

يقبل الملك على مضض مطلب مجلس الأمة بسلطة برلمانية مما عنى انحلال مجلس الطبقات . الا ان الملك امر قواته بمحاصرة فرساي .

الحادي عشر من تموز (يوليو)

تقوم الملكة ماري انطوانيت بقيادة زمرة من نبلاء البلاط المعادين لأي نوع من الاصلاح واقنعت الملك بطرد جاك نيكر وزير الخارجية والمراقب المالي العام الذي كان من انصار الاصلاح الجذري والمؤيد للمصالح الممثلة بالطبقة الثالثة .

وقد كان طرده تأكيداً على رفض الموناركية لأي تغيير في العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الطبقات الاجتماعية الرئيسية في فرنسا .

الرابع عشر من تموز

تقوم الجماهير بالإنقضاض على الباستيل وذلك بحثاً عن السلاح . وقد كان الباستيل

عبارة عن حصن وسجن بالإضافة الى كونه رمزاً للملكية المطلقة والقهر السياسي . هذا وقد شكل الانقضاض على الباستيل العملية التعبوية الأولى للجماهير في الثورة الفرنسية . وقد اعاد الملك تعيين نيكر ، المؤيد من قبل جماهير باريس ، في منصبه السابق في الحكومة . كما ان الملك اقر ايضاً تنظيم « كومونة باريس » على انه الشكل الجديد لادارة المدينة . وتشكل حرس قومي تحت قيادة المركيز دي لافاييت وذلك في الخامس عشر من الشهر . كما ان لافاييت ـ احد مندوبي الطبقة الثانية لمجلس الطبقات ـ انتخب ايضاً نائباً لرئيس مجلس الأمة .

تموز ـ آب

تنفجر الاضطرابات العمالية في معظم المدن الفرنسية ويقوم الفلاحون بسلب وحرق الكثير من مزارع النبلاء ..

الرابع من آب (اغسطس)

يقوم اعضاء من مجلس الأمة ، بما في ذلك ممثلين من رجال الدين والنبلاء ، بالتنازل عن امتيازاتهم الاقتصادية . وفي دورة تشريعة واحدة تُلغى بقايا النظام الاقطاعي في فرنسا . وفي الوقت نفسه ، كانت جماعات من المواطنين المتطرفين والمنظمين على شكل اندية سياسية تقوم باكتساب العديد من الأفراد والنفوذ وخاصة في باريس . وقد كان اهم هذه النوادي نادي اليعاقبة والذي كان مقره في باريس . وقد قام نادي اليعاقبة المكون اساساً من العامة والبورجوازية ، بإنشاء روابط مع جماعات شابة مشابهة في كل انحاء فرنسا .

السادس والعشرون من آب

يقوم المجلس (الذي اخذ يدعو نفسه الآن المجلس التأسيسي) بتبني « إعلان حقوق الانسان والمواطن » . وقد كان الكاتب الأساسي للإعلان الأب سييه الذي كان احد رجال الدين ذوي المرتبة الدنيا في الاكليروس ولكنه كان منتخباً لمجلس الطبقات كأحد ممثلي الطبقة الثالثة . وبتأثير من اعلان الاستقلال الامريكي ، دعى اعلان حقوق الانسان والمواطن الى حقوق الفرد الثابتة في « الحرية والملكية والأمن ومقاومة الاضطهاد » . كما اعلن ايضاً ان كل الناس سواسية (كان الغرض من ذلك رفض الامتيازات الارستقراطية) وجعل الشعب مصدر السيادة (السلطة للحكم) .

الخامس من تشرين اول (اكتوبر)

كان هنالك نقص في المواد الغذائية في باريس كما ان الطبقات الدنيا كانت تعاني وبشدة من الكساد الاقتصادي . وقد كانت الاشاعات رائجة ومفادها ان الملك يعد العدة لإرسال قواته لتشتيت شمل المجلس التأسيسي . فاتجهت الجماهير الباريسية الى فرساي حيث غادر الملك والملكة مرافقين بلافييت وتحت تأثير التهديد بالموت الى قصر تويلري

في باريس حيث اصبحوا فعلياً سجناء كومونة باريس . وفي نفس الوقت كان المجلس ايضاً يتحرك الى باريس حيث بدأ اعضاؤه بالاعداد لمسودة دستور جديد يحد من سلطة الملكية .

١٧٩٠

كانت ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية قد أممت من قِبل المجلس التأسيسي وذلك منذ ١٧٨٩ . وفي عام ١٧٩٠ قام المجلس بتوسيع هجومه على مؤسسات فرنسا الدينية . ففي تموز (يوليو) أمر المجلس أفراد الأكليروس بأداء قسم يتعهدون فيه بالاخلاص للدولة . الا أن هذا الأمر قوبل بمعارضة شديدة من قبل أفراد الأكليروس المؤيدين من قبل القطاعات الأكثر تديناً من السكان مما أدى الى اندلاع العنف في الكثير من المناطق الريفية الفرنسية والمسيطر عليها من قبل الأكليروس .

١٧٩١

أكمل المجلس التأسيسي مسودة الدستور الذي دعا الى ملكية مقيدة ذات مسؤولية أمام برلمان ذو مجلس واحد . أما حق الانتخاب فقد اقتصر على المواطنين المتمتعين بقدر أساسي من الملكية . أما الملك والملكة فقد قررا الانضمام الى النبلاء الذين فروا الى الخارج وذلك في سبيل الحصول على دعم خارجي يساعد على عودة السلطة الملكية . وقد غادرا باريس ولكنهما اعتقلا في ڤارين في الشمال الشرقي من فرنسا وذلك في الحادي والعشرين من حزيران . وقد أجبرا على العودة الى باريس حيث قبل الملك الدستور الجديد . ولكن الرغبة في الحرب كانت تنمو بين مؤيدي الملكية سواء في داخل فرنسا أو خارجها وذلك في سبيل إعادة الملكية الفرنسية الى حالها السابق من السلطة المطلقة . وفي الأول من تشرين اول اجتمع مجلس منتخب حديثاً في باريس . وقد كان المجلس الجديد مسيطراً عليه من قبل الجيروندديين ، تلك المنظمة السياسية المكونة بشكل أساسي من المحامين والصحافيين والتجار الذين يمثلون الطبقات المتوسطة المتعلمة في المناطق .

١٧٩٢

العشرون من نيسان (ابريل)

يقوم المجلس والمسيطر عليه من قبل الجيروندديين باعلان الحرب على النمسا التي أكدت عزمها ، بالتعاون مع دول أوروبية أخرى ، على إعادة النظام القديم (ancien régime) الى فرنسا . هذا وقد قامت النمسا بالتحالف مع بروسيا حيث غزا جيشاهما فرنسا وواصلا المسيرة نحو باريس .

العشرون من حزيران

يؤدي الفشل العسكري للجيوش الفرنسية اللامنظمة وكذلك الإشاعات حول خيانة الملك الى تعبئة جماهير باريس والى محاولة عصيان مسلح فاشلة .

آب (اغسطس)

عصيان مسلح آخر لجماهير باريس يطيح بالكومونة وقد كان أبرز أعضاء الكومونة الجديدة جورج دانتون المحامي الباريسي والخطيب المُقنع الذي يتمتع بتأييد شعبي واسع . تحت ضغط من الكومونة الجديدة ، عُلّق أمر الملك من قبل المجلس وكذلك سجنت العائلة المالكة . وحدد موعد لانتخاب هيئة تشريعية وطنية جديدة اتفق على تسميتها بالجمعية الوطنية .

ايلول (سبتمبر)

اعتقالات جماعية لمؤيدي الملكية الحقيقيين والمزعومين كانت تنفذ . ففي ليلة الثاني من أيلول ، قامت الجماهير المعادية للملكية باقتحام السجون في كل انحاء فرنسا حيث تم قتل المئات من رجال النظام الملكي والمتعاطفين (مذابح أيلول) . وفي العشرين من أيلول ، أوقعت الجيوش الثورية الفرنسية الهزيمة بالغزاة النمساويين والبروسيين وذلك في موقعة ڤالمي وقد كان أحد القادة الفرنسيين الجنرال دوموربيز كما أن الفضل في النصر يرجع بشكل جزئي الى نيران المدفعية المكثفة التي شكلت حاجزاً أمام تقدم الغزاة . وفي الحادي والعشرين من أيلول اجتمعت الجمعية الوطنية المنتخبة حديثاً في باريس حيث قامت بالغاء الملكية واعلان الجمهورية الفرنسية الأولى وقامت باتخاذ اجراءات قضائية ضد الملك المُتهم بالخيانة .

تشرين ثاني (نوفمبر)

قامت الجيوش الفرنسية بقيادة دوموربيز بالتقدم نحو الأراضي المنخفضة النمساوية (بلجيكا) وهزمت النمساويين في معركة جيماب وذلك في السادس من الشهر ، كما أن جيشاً فرنسياً آخر قام باحتلال ميتز (المانيا) وأخذ في التقدم نحو فرانكفورت .

١٧٩٣

كانون ثاني

أدين الملك لويس السادس عشر بالخيانة من قبل الجمعية الوطنية (بأغلبية مطلقة بصوت واحد) وقد أعدم في الحادي والعشرين من الشهر . وقد كان إعدام الملك وكذلك اعلان الجمعية الوطنية عن بذل المساعدة الفرنسية لكل من يثور ضد الطغيان بالإضافة الى مناورات فرنسا العسكرية والتجارية في الأراضي المنخفضة النمساوية ، كل هذه الأمور دفعت الى تشكيل تحالف ضد فرنسا من قبل القوى الأوروبية . وقد كان من الدول التي انضمت الى النمسا وبروسيا في اعلان الحرب على فرنسا الثورية كل من بريطانيا العظمى واسبانيا وكذلك هولندا .

آذار (مارس)

يُهزم دوموربيز من قبل النمساويين ويرتد الى صفوف الملكيين وذلك في الثامن عشر

من الشهر . كما أن ثورة ضد الجمعية الوطنية كانت قد ابتدأت في غرب فرنسا وذلك في مقاطعة ڤيندي . وبتأييد جيش قوامه ٥٠٠٠٠ (خمسون الف) رجل أخذت الثورة المضادة بالمسيرة شمالاً حيث استطاعت هزيمةالقوات الحكومية في مقاطعات بريتاني وماين ونورماندي .

حزيران (يونيو)

يفقد الجيروندیون المعتدلون السلطة في الجمعية الوطنية وذلك لصالح الراديكاليين من اليعاقبة .

تموز ـ آب

تقوم الجمعية بتأسيس اللجنة الثانية أو العظمى للأمن العام، وقد كان من قادتها البارزين كل من روبسبيير وسانت جوست وكارنو . وقد عنى ذلك أن « عهد الارهاب » قد ابتدأ : ديكتاتورية جماعية تصارع ازمات اقتصادية واجتماعية وسياسية بالاضافة الى الحرب والثورة المضادة . وبتأييد من الطبقات الباريسية الدنيا ، قامت الجمعية بتنظيم الاقتصاد القومي وبسجن واعدام المشاركين في الثورة المضادة وكذلك في انشاء جيوش جديدة للقتال في سبيل فرنسا الجمهورية . العديد من الآلاف من المشاركين الحقيقيين والمزعومين في الثورة المضادة أُعدموا بالمقصلة بما في ذلك الملكة ، واكثر من ذلك سُجنوا . هذا وقد قام كارنو بإعادة تنظيم جيوش الجمهورية لتصبح مؤسسة على التجنيد الاجباري العام .

تشرين اول ـ كانون اول

تُهزم قوات الثورة المضادة من قِبل جيوش الجمهورية وقد أعقب ذلك عمليات انتقام ضد المتمردين بما في ذلك الاعدام الجماعي بواسطة الاغراق في نهر اللوار (في مدينة نانت) حيث قُتل ما بين ثلاثة الى خمسة الاف انسان . وفي نهاية عام ١٧٩٣ استطاعت جيوش الجمهورية هزيمة الغزاة الأجانب وبذلك انتقلت فرنسا في أوائل ١٧٩٤ الى موقع الهجوم فيما وراء حدودها .

١٧٩٤

آذار

يحاول جاك هيبير ومتطرفون آخرون تنظيم عصيان شعبي مسلح لجماهير باريس الا أنه ومشاركيه اعتقلوا وأعدموا .

نيسان

اعتقل دانتون وأعدم هو وآخرون مَن الداعين الى تخفيف الاجراءات المتطرفة المتخذة من قبل لجنة الامن العام .

تموز

يقوم أعضاء الجمعية الوطنية ـ الأكثر اعتدالاً من لجنة الأمن العام ـ باعتقال روبسبيير (كان التاريخ بناءً على التقويم الثوري هو التاسع من ثيروميدور) . وقد أُعدم روبسبيير بالمقصلة في الثامن والعشرين من الشهر مسدلاً الستار على عهد الارهاب.وقد كانت العناصر الجديدة القادمة الى السلطة مكونة من البرجوازية القديمة والأثرياء الجدد الذين استفادوا من المضاربة والتضخم . وتوصف هذه الفترة على أنها « عهد الرجعة الثيروميدوري » .

المكسيك : ١٨٠٨ ـ ١٩٣٤

١٨٠٨

تقوم جيوش نابليون باحتلال أجزاء من اسبانيا حيث يقوم نابليون بتنصيب أخاه جوزيف بونابرت ملكاً على اسبانيا . وحيث أن المكسيك كانت مستعمرة اسبانية منذ أوائل الأعوام ١٥٠٠ فإن انتصارات نابليون وكذلك الثورتين الأمريكية والفرنسية أعطت الأمل لشعب المكسيك في الاستقلال الوطني .

١٨١٠

قام قس مكسيكي ، الأب هيدالغو ، والذي كان منفياً في قرية دولوريس بإعلان الثورة على اسبانيا وذلك بنشر بيان ثوري دعي بـ « غريتو دي دولوريس » (صرخات دولوريس ، صرخات الألم) .وقد دعا البيان الى الاستقلال والى تغيير اجتماعي اساسي بما في ذلك المساواة بين التجمعات العرقية الثلاث في المكسيك : البيض (المتحدرون من أصل اسباني) ، الهنود الأصليون ، والميستيزوس (خليط من البيض والهنود) . وقد كانت معظم ثروة البلاد وأراضيها وسلطتها السياسية مسيطراً عليها من قبل البيض بينما كانت الطبقة العاملة النامية والمكونة من عنصري الهنود والميستيزوس تعمل في ظروف عصيبة كئيبة سواء في الأرض أو في المناجم أو في مصانع النسيج . كما أن البيض أنفسهم كانوا منقسمين الى قسمين : أولئك الذين ولدوا في اسبانيا (غاشوبينز) وأولئك الذين ولدوا في المكسيك (غريولوس) . وقد كان رجال الدولة في الغالب غارقين في الفساد كما أن الجزء الأكبر من ثروة البلاد الوطنية كان يحول الى اسبانيا وذلك وفقاً للسياسة الميركانتلية التي كان يتبعها الاستعمار الاسباني . هذا وقد دعا البيان الثوري الى عملية اصلاح زراعي اساسية وذلك لصالح فلاحي المكسيك المدقعين .

١٨١٥

بعد احرازها نجاحات أولية ، تُهزم جيوش الثورة (والمكونة بشكل أساسي من الهنود وطبقة دنيا من الميستيزوس) وذلك من قبل القوى الملكية . وفي أوروبا كان نابليون قد هُزم في معركة واترلو . وقُلبت موجة مبادىء الثورة الأمريكية في الليبرالية والاستقلال الوطني

لتصبح لصالح القوى القائمة . وقد عنى هذا في المكسيك أن هذه المبادىء اصبحت تعمل لصالح الكنيسة واصحاب الرتب العليا العسكرية وكذلك ملاك الأراضي (حيث كانت الأغلبية للبيض في كل من هذه الفئات) .

١٨٢١

خشية منهم أن تقود حركة الاستقلال أخيراً الى تغيير في توزيع السلطة والأوضاع الاجتماعية ، يقوم المحافظون المكسيكيون بالتفاوض بنجاح مع اسبانيا حول استقلال المكسيك . وقد حُقق الاستقلال ولكن بدون اصلاح تحرري . وقد أصبح قائد المحافظين ، أوغسطين دي اتوربيد ، رئيساً للحكومة الجديدة والتي تحولت بعد وقت قصير الى ديكتاتورية . وفي عام ١٨٢٢ ، أصبح اتوربيد وبقوة السلاح امبراطوراً .

١٨٢٣

يجبر اتوربيد على التنازل ومن ثم تُعلن الجمهورية . وقد كان أول رئيس للمكسيك هو غوادالوب فيكتوريا ولكن المسيطر الأساسي في السياسة المكسيكية وللعقود الثلاثة القادمة كان الجنرال انطونيو دي سانتا آنا . فقد كانت نُخب المكسيك المتنافسة من الجيش اساساً حيث يقوم الضباط الكبار بتجميع المخلصين من مؤيديهم والذين كان برنامجهم مجرد الاثراء الشخصي . وقد كانت الحكومة فاسدة وغير ذي فعالية أو كفاية كما أن الاضطراب وعدم الاستقرار في أجهزة الدولة كان عالياً ولم يكن هنالك محاولات لعلاج عدم الانصاف والجور في المجتمع المكسيكي .

١٨٤٦ - ١٨٤٨

انتهت الحرب بين المكسيك والولايات المتحدة بخسارة المكسيك لخُمسي أراضيها . فقد شُلت المجهودات الحربية المكسيكية بعدم الاستقرار السياسي وبرفض بعض الولايات المكسيكية التعاون مع الحكومة المركزية .

١٨٥٥

كان سانتا آنا يحكم « كديكتاتور دائم » ولكن وفي هذا العام أطيح به في ثورة بقيادة مجموعة من المصلحين الليبراليين . وقد كان من ضمن قادة الثورة بينيتو هوريز ، الذي كان محامياً هندياً وحاكماً سابقاً لولاية اوكساكا كما أنه سبق له وأن سجن في عهد سانتا آنا وذلك في عام ١٨٥٣ لمعارضته ديكتاتورية المذكور .

١٨٥٧

يُتبنى دستور فيدرالي جديد وتوضع ملكية الكنيسة تحت اشراف الدولة كما تبتر سلطة الجيش ، وتنتقل السلطة السياسية من الغريوليس الى الميستيزوس . وبدأ الشعور بالوعي الاجتماعي والذاتية الوطنية بالنمو لدى طبقات المكسيك الدنيا .

١٨٥٨

معارضة شديدة من قبل المحافظين للدستور والاصلاحات في عام ١٨٥٧ تؤدي الى حرب أهلية (تعرف بحرب الاصلاح) . هوريز وحكومته يضطران الى الهرب الى غوانا هواتو ومن ثم الى غوادالاهارا وأخيراً الى فيراكروز وذلك قبل أن تُهزم جيوش المحافظين في عام ١٨٦١ .

١٨٦٤

ينجح المحافظون في الفوز بدعم أجنبي لثورتهم المضادة . ففي فرنسا كان لويس نابليون (نابليون الثالث) يسعى لإقامة أمبراطورية استعمارية ويرسل قوات فرنسية لدعم القوى المضادة لهورايز في المكسيك . وتنتقل حكومة هورايز من العاصمة الى ايل باسو دل نورت (عرفت لاحقاً بـ سيوداد هوريز) . تدخل عسكري أمريكي يُحبط وذلك فقط لانشغال الحكومة الأمريكية بالحرب الأهليـة . وفي المكسيك ، تقـام الأمبراطـورية على يـد ماكسيميليان أحد أمراء عائلة هابسبورغ والمعتمد بشكل كبير على الدعم الفرنسي . وقد أدى حكم ماكسيميليان الى عزلة النُخب الأهلية سواء المحافظين أو الليبراليين .

١٨٦٧

انسحاب القوات الفرنسية يؤدي الى اضعاف الأمبراطورية بشكل مصيري. فيقوم ماكسيميليان بقيادة بقية قواته شخصياً الا أنه يهزم وذلك بعد حصار كويريتارو حيث يأسر ماكسيميليان ويعدم. هواريز ، ذو الدعم الشعبي من قبل معظم سكان المكسيك ، يعاد انتخابه رئيساً .

١٨٧١

يعاد انتخاب هواريز مرة أخرى للرئاسة . غير أن برنامجه الطموح للاصلاح يحبط نتيجة الانقسام السياسي في صفوف الليبراليين . مرشح الرئاسة المهزوم ، بورفيريو دياز يحاول الاطاحة بحكومة هواريز . وقد كان دياز من قبل محسوباً على الليبراليين .

١٨٧٢

تنجح الحكومة في القضاء على انتفاضة بورفيريو دياز ، الا أن هواريز يموت .

١٨٧٦

يفشل دياز مرة أخرى في انتخابات الرئاسة ومرة أخرى يقود ثورة ضد الحكومة وينجح هذه المرة . وباستثناء الفترة ما بين ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤ ، فإن دياز يحكم المكسيك كرئيس للجمهورية حتى عام ١٩١١ . حيث السلطة السياسية أصبحت متركزة في يدي دياز والأوليغاركية المؤيدة له بالرغم من وجود المؤسسات الديموقراطية كمظهر زائف . التنمية الاقتصادية تسير بشكل حيثي ووسائل النقل والمواصلات تزداد اتساعاً . ولكن ثروة المكسيك ، وخاصة الثروة المعدنية ، تُستغل من قبل شركات مملوكة لأجانب . أما الربح

العائد الى المكسيكيين فإنه يُسلب تقريباً بشكل شامل من قِبل الطغمة الحاكمة . فالملايين من هكتارات الأراضي بيعت الى اتباع دياز : فالأرض أصبحت جزءاً من نظام شامل لكبار مربي الماشية . وفلاحو المكسيك يطردون من أراضيهم بشكل متزايد : فيما يقارب ٨٠ ـ ٩٠ بالمائة من السكان الريفيين لا يملكون أرضاً البتة . والكثير من أراضي الفلاحين المشاع ، والتي تحتل تراثاً مشاعياً من الممكن أن يتتبع تاريخياً الى أيام الأزتك ، كانت هي الأخرى تمتص الى نظام المزارع ـ المراعي ذي الملكية الخاصة . وبذلك يصبح نصف سكان المكسيك الريفيين مستعبدين بالدّين ومقيدين بالسخرة في سبيل تسديد ديونهم (العامل بالسخرة حر من الناحية القانونية ولكنه في الحقيقة مجبر على العمل لدى مُلاك الأراضي) .

١٩٠٠ ـ ١٩١٠

تستمر السلطة في التركز في أيدي أوليغاركية ضيقة كما أن الازدهار يتزايد بالنسبة لفئة قليلة الا أن السخط بين معظم السكان يزداد .

١٩٠٨

يعلن الرئيس دياز بأن المكسيك أصبحت جاهزة لديموقراطية حقيقية . التوقعات الشعبية باصلاح أساسي أخذت في التزايد . كاستجابة لاعلان دياز ووعده بعدم ترشيح نفسه لانتخابات ١٩١٠ ، يقوم فرانسيسكو ماديرو بنشر كتاب ينتقد فيه نظام حكم دياز . وفي كتابه هذا ، يطالب ماديرو ـ ابن أحد ملاك الأراضي الأثرياء ـ باصلاحات ديموقراطية واجتماعية تؤدي الى تحسين أوضاع الفلاحين . وقد جلب له كتابه شهرة شعبية مما جعله يعلن عن ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة ويدعو الى انتخابات شريفة وفترة رئاسة محددة غير قابلة للتجديد .

١٩١٠

بالرغم من وعده السابق ، يقوم دياز بترشيح نفسه للرئاسة مرة أخرى . ويسجن ماديرو ، منافسه ، ويدبر نصراً انتخابياً آخر . ولم يكن هنالك أي مؤشر بعد الانتخابات على أن دياز ينوي ادخال اصلاحات ديموقراطية . وفي نهاية الأمر يطلق سراح ماديرو الذي يهرب الى تكساس حيث يعلن عن الثورة في المكسيك . ويعود ماديرو الى المكسيك مؤيداً من قبل العديد من الجماعات الثورية المسلحة بما في ذلك أولئك الذين في الشمال تحت قيادة فرانسيسكو « بانشو » ڤيلا .

١٩١١

يقوم الثوار في التاسع من أيار بأسر سيوداد هواريز . وفي الجنوب يقوم جيش ثائر تحت قيادة ايميليانو زاباتا بمصادرة أراضي زراعية لتوزيعها على الفلاحين . وتكسب

الثورة دافعاً في كل انحاء المكسيك . وفي الخامس والعشرين من أيار يستقيل دياز ويفر من البلاد وينتخب ماديرو رئيساً ويباشر اعماله في تشرين ثاني (نوفمبر) .

١٩١٢

يبدأ الهجوم على حكومة ماديرو سواء من قبل المحافظين الذين كانوا ضد الحكومة لتحبيذها الاصلاح أو من قبل الراديكاليين الذين كانوا ضد الحكومة لعدم تنفيذ اصلاح جذري (بما في ذلك ارجاع الأراضي الى الهنود) . كما أن الحكومة كانت تحت ضغط مستمر من قبل الولايات المتحدة (من خلال السفير الأمريكي هنري لين ويلسون) وذلك في سبيل مصالح قطاع الأعمال الأمريكي في المكسيك . وقد أثبت ماديرو أنه اداري سيء . ويشتعل عصيان مسلح في كل البلاد . وقد كانت مبادىء بعض الجماعات المتمردة ليست اكثر من الخروج على القانون واللصوصية .

١٩١٣

ينضمّ فيكتور يانو هويرتا ، أحد جنرالات دياز السابقين وقائد الجيش الحكومي الآن ، بشكل سري الى قوى التمرد ويخطط للإطاحة بماديرو . وتؤيد المؤامرة من الولايات المتحدة عبر سفيرها في المكسيك . ويقوم هويرتا بقتل شقيق ماديرو كما يستولي على السلطة ويسجن ماديرو . ويُقتل ماديرو بينما كان يحاول الهرب حسب الزعم . وتقام ديكتاتورية تتميز بالفساد واغتيال وسجن معارضي الحكومة . وتتخذ المعارضة ضد حكم هويرتا شكل عصيان مسلح في أجزاء مختلفة من البلاد . وقد كان أبرز زعماء العصيان كل من ڤيلا وزاباتا وڤينوستيانو كارانزا . اما بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة ودرو ويلسون فقد كان معادياً لحكومة هويرتا ويهدد بالتدخل العسكري .

١٩١٤

يستقيل هويرتا في تموز ويفر من البلاد وذلك نتيجة الضغط العسكري المتزايد . ويصبح كارانزا رئيس البلاد الا أن ڤيلا وزاباتا يرفضون الاعتراف بشرعية حكومته وتشتعل الحرب الأهلية .

١٩١٥

بختام عام ١٩١٥ يقوم كارانزا بتثبيت سيطرة حكومته على معظم البلاد . وقد كان القائد العسكري هو الڤارو أوبـريغون الذي كان من المؤيدين القدامى لفرانسيسكو ماديرو واحد اكثر الجنرالات ليبرالية في الثورة .

١٩١٧

بضغط من الجنرال أوبـريغون يقوم الرئيس كارانزا بإعلان دستور جديد حيث تؤمم الموارد المعدنية والتي كانت تحت سيطرة المصالح الأجنبية (والأمـريكية بشكـل اساسي) ، كما أن الفصل بين الكنيسة والدولة يتم ، وتقترح اصلاحات ثقافية وعمالية كما

أن نظام السخرة يلغى وكذلك تتخذ تدابير مسبقة في سبيل اعادة نظام مشاعية الأرض (ايجيدو) الى هنود المكسيك . ولكن كارانزا يرفض تنفيذ الاصلاحات المنبثقة عن دستور ١٩١٧ التي كان معادياً لها من الأساس . وفي سبيل تقوية وضعه ، يقوم كارانزا بتدبير اغتيال زاباتا في عام ١٩١٩ .

١٩٢٠

يحاول كارانزا الحيلولة دون أن يصبح أوبريغون رئيساً . ولكن أوبريغون يقود عصياناً يجبر كارانزا على الفرار من العاصمة حيث يُقتل فيما بعد ويصبح أوبريغون رئيساً . ويتم خلال عهده (١٩٢٠ ـ ١٩٢٤) بناء مدارس واعادة توزيع الأراضي على الفلاحين .

١٩٢٣

يتحالف أوبريغون مع زعيم سياسي وعسكري آخر هو بلوتاركو كاليز حيث يقوم الاثنان بقمع حركة عصيان مسلح ضد الحكومة .

١٩٢٤

يُنتخب كاليز رئيساً ويواصل برنامج أوبريغون التعليمي والزراعي . ولكن الكثير من أعمال العنف تنفجر في البلاد كما أن الصراع يتزايد بين الحكومة والكاثوليك المسلحين (المعارضين لفقدان الكنيسة لامتيازاتها وللفصل ما بين الكنيسة والدولة) .

١٩٢٨

يعاد انتخاب أوبريغون رئيساً الا أنه يغتال من قبل أحد العناصر الكاثوليكية المسلحة وذلك قبل أن يستلم منصبه . ويبقى كاليز الشخصية السياسية الأكثر أهمية في المكسيك وذلك حتى عام ١٩٣٤ وفي عام ١٩٢٩ يقوم كاليز بتنظيم وتأسيس الحزب الثوري الوطني ـ الذي تعاد تسميته عام ١٩٤٦ بالحزب الثوري التأسيسي ـ ويمارس الحزب احتكاراً فعلياً للسلطة السياسية . وتبدأ الروح الاصلاحية السابقة لدى كاليز بالاضمحلال بقدر ما يحرز من أرض وثروة وتبدأ حكومته بالتحول الى ديكتاتورية محافظة .

١٩٣٤

ينتخب لازارو كارديناس رئيساً وتقوم حكومته (١٩٣٤ ـ ١٩٤٠) بتوسيع رقعة الاصلاحات الليبرالية في المكسيك . فنظام مشاعية الأرض (ايجيدو) يوسع ، وتقوى الحركة العمالية المكسيكية ، كما أن قراراً تشريعياً صدر يهدف الى ادماج الهنود بشكل كامل في بنية المكسيك الاجتماعية ، وكذلك فإن الخدمات التعليمية والطبية يوسع مداها ، والعلاقات مع الكنيسة استقرت ، وتصبح سكك الحديد ومصادر النفط تحت سيطرة الحكومة الوطنية ، كما أن الكثير من الاصلاحات ادخلت وذلك في سبيل الوفاء بوعود وتوقعات ثورة ١٩١٠ . ولكن مدى الاصلاح كان يتناقص تحت حكم الرؤساء المتعاقبين .

فالسلطة والثروة تصبح مركزة في أيدي الأوليغاركية كما أن النخبة في الحزب الثوري التأسيسي تصبح ثابتة .

روسيا : ١٨٦١ ـ ١٩٢٠

١٨٦١

يقوم القيصر الاسكندر الثاني بالغاء القنانة في روسيا وذلك رغبة منه في وضع روسيا على طريق التحديث الذي سارت عليه الدول الأكثر تطوراً في أوروبا الغربية . ولكن الغاء القنانة في روسيا يسير وفقا لمصالح الطبقة الثرية من النبلاء ، اللهم الا اقلية صغيرة من فلاحي روسيا تستطيع الحصول على شيء من الأرض وتحسين وضعها الاقتصادي . أما الغالبية العظمى منهم فتستمر في العيش في ظروف قاسية من البؤس ، من فقر مدقع لا يمكنهم من شراء الأرض التي يفلحون ، الى استغلال من قبل ملاك الأرض والمرابين ، وعجز سياسي ، وتديّن بالاضافة الى كونهم متعلقين بالخرافات مما يجعلهم أقل تطوراً ثقافياً بشكل كبير من اقرانهم من الطبقات العاملة في أوروبا الغربية .

١٨٨١ ـ ١٨٩٤

يواصل القيصر الاسكندر الثالث سياسة أبيه التحديثية ، وتحث الأوتوقراطية نمو الصناعة الممولة بشكل كبير من قبل الاستثمارات الأجنبية . تتركز المصانع الروسية الحديثة في حفنة من المدن الكبيرة وبخاصة في سانت بطر سبورغ . (عاصمة روسيا القيصرية) وفي موسكو . ويعيش في المناطق الصناعية لهذه المدن اعداد كبيرة من أفراد الطبقة العاملة . ولكن ، وبينما يحاول القيصر اسكندر الثالث مواصلة عملية التحديث التي ابتدأها أبوه ، الا أنه يقوم بقلب النزعات الليبرالية اليتيمة التي استهلها الأب . أي أن روسيا تسير على دروب التطور الاقتصادي ولكن بدون اضعاف سلطة الدولة الأوتوقراطية . فسلطات الشرطة على الشعب توسع ، والرقابة والتحكم في التعليم تشتد ، كما أن سلطة الحكومات الزيفية الأقليمية (زيمستڤو) وكذلك سلطاتها القضائية تحدد ـ وذلك لصالح الأوتوقراطية المركزية . وكذلك فـإن اضطهاد الأقليات الدينية والثقافية (Cultural) يكثف . ويخلف نيقولا الثاني أباه كقيصر وذلك في عام ١٨٩٨ ويواصل سياساته الاضطهادية . وتنمو المنظمات التآمرية الملتزمة بالعنف والثورة بشكل متسارع .

١٨٩٨

يؤسس حزب العمل الديموقراطي الاجتماعي الروسي ويعقد مؤتمره الأول (بصورة سرية) في مدينة مينسك الروسية . وقد كان برنامج الحزب مبنياً على كتابات ماركس وانجلز حسبما قدمها جورجي بليخانوف الى الأنتلجنسيا الروسية . ووفقاً لماركس ، يعارض بليخانوف الارهاب كأسلوب للتغيير السياسي ويجادل بأن على روسيا السير في طريق التطور الراسمالي قبل أن يصبح بالامكان بناء ديموقراطية واشتراكية فيها .

١٩٠٣

يجتمع حزب العمل الديموقراطي الاجتماعي الروسي للمرة الثانية وذلك في بروكسل أولاً ومن ثم في لندن . وينقسم الحزب الى جناحين : البولشڤيك (والتي تعني الأكثرية) والمنشفيك (والتي تعني الأقلية) . ويحبذ البلشفيك تنظيم الحزب على أسس تآمرية على رأسه ثوريون محترفون غير مقيدين بانتظار التطور الرأسمالي في روسيا قبل البدء بثورة اشتراكية . وقد كان لينين ، قائد البولشفيك ، يعيش في أوروبا الغربية وذلك منذ عام ١٩٠٠ ، حيث أنه سبق له وأن نفي مرتين الى سيبيريا بتهمة النشاط التخريبي ضد الدولة القيصرية ، وذلك ضمن العديد من اللاجئين السياسيين والمثقفين الفارين من اضطهاد القيصر .

١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

تعلن روسيا الحرب على اليابان وذلك في فبراير (شباط) ١٩٠٤ . وقد كان القيصر يأمل في دفع الأمبريالية الروسية الى منشوريا وكوريا ، وبهزيمة المطامع الأمبريالية اليابانية في نفس المنطق ، وكذلك بتشتيت شمل قوى الثورة التي تعمل في روسيا (وقد كان هنالك العديد من الظواهر الدالة على وجود تآمر ومعارضة للدولة القيصرية) وخلافاً للتوقعـات بنصر سهل على عدو آسيوي ، الا أن القادة الروس يواجهون بسلسلة من الكوارث العسكرية (بلغت ذروتها في أيار بتحطيم الأسطول الروسي عند توشيما) . وبالرغم من محاولة القيادة نشر بلاغات مغالطة عن الحرب ، الا أن ثورة فلاحية انفجرت وكذلك اضراب عمالي . وفي التاسع من كانون ثاني ١٩٠٥ ، قامت مظاهرة سلمية من العمال بالتجمع أمام قصر الشتاء في سان بطرسبورغ الا أن النيران فُتحت عليها من قبل قوات القيصر وقد كان على رأس المظاهرة أسقف ، الأب غابون ، وقد أصبحت هذه الحادثة تعرف بـ « الأحد الدامي ») . ويعقـب هذه الحادثة سلسلة من الاضرابات والمظاهرات العنيفة والاغتيالات وعصيان البحارة وعنف فلاحي سرعان ما ازدادت بأخبار هزيمة روسيا واستسلامها لليابان وذلك في منتصف ١٩٠٥ . ويندلع اضراب عام في تشرين أول وتقام سوڤييتات (أو مجالس) للعمال في المصانع للتنسيق بين انشطة المضربين . ويلعب مجلس سوڤييت سان بطرسبورغ ، وعلى رأسه ليون تروتسكي احد رفاق لينين السابقين ، دوراً بارزاً في الاعداد لعصيان عمالي مسلح . ويندلع العصيان في كانون أول الا انه يُقمع ويُعتقل أعضاء مجلس السوفييت . (ويُنفي تروتسكي الى سيبيريا الا انه ينجح في الهرب لاحقاً) . وقد بقي جيش القيصر مخلصاً للحكومة كما أن القيصر أخذ يعد باصلاحات تؤدي الى حكومة تمثيلية وحريات مدنية اساسية . وتهمد الجذوة الثورية .

١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

يُنتخب الدوما الأول (البرلمان) وذلك بحق اقتراع محدود . وبالرغم من ذلك ، يعارض نواب الدوما سياسات القيصر والحكومة فيقوم القيصر بحل الدوما ويدعو الى

انتخابات جديدة . الا أن النواب المنتخبين الى الدوما الثاني يكونون أكثر عداوة للقيصر وحكومته فيقوم القيصر بحل الدوما الثاني ويأمر بتغييرات في قانون الانتخاب . أما نواب الدوما الثالث فإنهم وبيسر يسلمون أنفسهم للقيصر ووزرائه المعينين ويرضخون لأوامرهم .

١٩٠٧ - ١٩١١

رئيس وزراء القيصر ووزير الداخلية في هذه المرحلة هو بيوتر ستوليبين الذي يقوم بمزج اضطهاد النشاط الثوري المستمر والعنف الفلاحي مع اصلاحات اقتصادية اساسية . فاصلاحات ستوليبين الزراعية تهدف الى خلق طبقة فلاحية مالكة للأرض (طبقة فلاحية متوسطة ذات اكتفاء ذاتي معقول) ، ولكن بدون المساس بسيطرة نبلاء الأرض الروس . وقد كان من ضمن الآثار الرئيسية للاصلاحات تمزيق المشاعة القروية (مير) والتي كانت تزود الفلاحين الروس بنظام بدائي للأمن الاجتماعي والعدالة .

١٩١٢

يقوم البلاشفة ، والذين يعيش معظم زعمائهم في المنفى الأوروبي ، بقطع صلاتهم رسمياً بالمنشفيك والزمر الأخرى من الديموقراطيين الاجتماعيين . وبذلك فان البولشفيك يؤسسون أنفسهم الآن كحزب ثوري منفصل ومستقل .

١٩١٤ - ١٩١٦

تدخل روسيا الحرب العالمية الأولى وذلك في آب من عام ١٩١٤ . وفي البدء ، يقوم البولشفيك فقط بمعارضة الحرب - على أساس أنها صراع بين قوى امبريالية أوروبية يحجب استغلال الطبقات العاملة الأوروبية ، ونتيجة للهزائم المتكررة على جبهات القتال وكذلك العجز الاداري لحكومة القيصر ، بالاضافة الى النقص الشديد في المواد الغذائية والتضخم وأخيراً العداء الشعبي لبلاط القيصر ووزرائه ، كل هذه الأمور في النهاية تؤدي الى انخفاض مؤيدي الأوتوقراطية الى اقلية صغيرة .

١٩١٧

اذار (مارس)

في أوائل آذار (أو في منتصف شباط حسب التقويم الروسي القديم) كان معظم العمال في بتروغراد وموسكو مضربين ومطالبين بحصص أكبر من الطعام . قوات القيصر ترفض المحافظة على النظام . العصيان ينتشر بين جنود حاميات العاصمة . مجلس الدوما يحث القيصر على تقديم تنازلات ولكنه في الحادي عشر من آذار يأمر بحل الدوما الا أن النواب يرفضون . وفي الثاني عشر من الشهر يسيطر العمال والجنود على مدينة بيتروغراد وقد كان التنسيق بين انشطتهم يتم جزئياً بواسطة نواب مجالس سوفيت الجنود والعمال المشكل حديثاً . وفي الخامس عشر من الشهر يتنازل القيصر الذي أمسك مقاليد قيادة

جيوشه على الجبهة شخصياً عن العرش لصالح الدوق الكبير ميخائيل . الا أن ميخائيل يرفض أن يصبح قيصراً . فيقوم مجلس الدوما بتعيين حكومة مؤقتة من الساسة المعتدلين برئاسة الأمير لفوف وتشمل القائد الاشتراكي اسكندر كيرنسكي . وتدعو الحكومة المؤقتة الى اصلاحات ليبرالية وانتخاب مجلس تأسيسي وفق حق الاقتراع العام . ولكن الحكومة المؤقتة تضغط أيضاً في سبيل مواصلة الحرب كما تعد باصلاح زراعي أساسي ولكنها ترفض تنفيذه .

نيسان (ابريل)

أخذ مجلس سوفيت بتروغراد ـ والذي كان مسيطراً عليه في البداية من قبل الثوريين الاجتماعيين والمنشفيك ـ يعمل على أساس أنه منافس للحكومة المؤقتة . فهو مسيطر على وسائل النقل والمواصلات وكذلك حركة القوات . كما أنه يدعو الى انهاء حالة الحرب وتوزيع عاجل للأرض على الفلاحين . ويقوم مجلس سوفييت بتروغراد بتوسيع تأثيره وفاعليته وذلك بانشاء مجالس سوفييت بين الجنود ، بما في ذلك جنود الجبهة ، وبين العمال والمثقفين في المدن الأخرى ، وكذلك بين الفلاحين . وتقوم الحكومة الألمانية ، رغبة منها في تخريب أو انهاء المجهود الحربي الروسي ، بتمكين لينين من السفر بالقطار من سويسرا الى السويد حيث يواصل سفره الى بتروغراد .

أيار (مايو)

يصل تروتسكي الى بتروغراد قادماً عبر البحر من نيويورك وذلك بعد أن وصلته أخبار ثورة شباط . وبالرغم من انه لا يعلن نفسه بلشفياً الا أنه يشارك لينين الرأي بأن ثورة شباط وبرنامج الحكومة المؤقتة يمثلان مرحلة الثورة البورجوازية في روسيا . ويقوم تروتسكي والبولشفيك بدعوة العمال والجنود والفلاحين الى الامساك بالسلطة عن طريق نظام مجالس السوفييت . ويقوم منظمو البولشفيك ومحرضوهم بنشر برنامج لينين شعبياً عن طريق شعارات : « انهوا الحرب » « كل الأرض للفلاحين » ، وأخيراً « كل السلطة للسوفييت » .

حزيران (يونيو)

يجتمع مجلس عموم روسيا للسوفييت في بتروغراد ، وهو مشكّل من نواب يمثلون العمال والجنود والفلاحين . وقد كان البلاشفة يعدون بـ ١٠٥ نواب فقط من ٦٠٠ نائب الا انهم أخذوا بأحراز قوة متصاعدة نتيجة انضمام بعض مؤيدي المنشفيك والثوريين الاجتماعيين لهم .

تموز (يوليو)

في سبيل مواصلة الحرب حتى النهاية ، تقوم الحكومة المؤقتة بشن هجوم عسكري على الجبهة الا أن الهجوم يفشل مما يترتب عليه انشقاق الجنود وفرارهم من الجبهة حيث أخذ الكثير منهم يجتمع في بتروغراد مما أدى الى فوضى عامة أخذت تشجع البلاشفة على

محاولة الانتفاضة . وتفشل الانتفاضة ويلجأ لينين عبر الحدود الى فنلندا أما تروتسكي وبعض الزعماء البلاشفة الآخرين فيقادون الى السجن . ويستقيل الأمير لفوف كرئيس للوزراء ويحل محله كيرنسكي بوزارة ائتلافية مرتكزة على أغلبية اشتراكية في مجلس الدوما . وتقوم الحكومة بمحاكمة السجناء البلاشفة بتهمة التآمر والتجسس لصالح المانيا .

آب - أيلول

يحتشد المحافظون وبعض المعتدلين وراء الجنرال كورنيلوف ، القائد العسكري العام ، الذي يعتبر من أشد المعارضين للثورة . فيقوم كورنيلوف بارسال قواته الى بتروغراد بهدف إعادة بناء الحكومة المؤقتة ولكن على أسس أقل راديكالية . وبهدف حماية الحكومة والثورة ، يقوم كيرنسكي باستدعاء البلاشفة والاشتراكيين (حيث يطلق سراح الذين في السجون منهم بما في ذلك تروتسكي) وذلك للمساعدة على دحر هجوم كورنيلوف . وتفشل قوات كورنيلوف في الوصول الى بتروغراد ويعتقل كورنيلوف نفسه (الذي ينجح في الهرب فيما بعد حيث يصبح احد الجنرلات البيض خلال الحرب الأهلية) . وفي أواخر آب تضطر الحكومة الى مضاعفة أسعار الحبوب وذلك بسبب النقص في المواد الغذائية . وفي هذا الوقت يسيطر البلاشفة على مجلسي سوڤييت بتروغراد وموسكو وتصبح غالبية النواب في أيديهم .

تشرين اول (اكتوبر)

ينتشر النفوذ البلشفي في كافة مجالس السوڤييت ، بين العمال والفلاحين والجنود . ويقوم الجنود المسلحون العائدون من الجبهة بجعل الفلاحين أكثر راديكالية حيث الثورة منتشرة . ويقوم الفلاحون بالاغارة على العقارات والاستيلاء على الأرض من النبلاء . ويتصاعد عدد الاضرابات الصناعية وكذلك يتزايد مدى مشاركة العمال في هذه الاضرابات .

تشرين ثاني - كانون اول

يعود لينين الى بتروغراد ويساند مبادرة تروتسكي في تنظيم عصيان . وتحت قيادة تروتسكي ، تقوم اللجنة الثورية العسكرية لمجلس سوفييت بتروغراد باحتلال المباني الحكومية ووسائل النقل والاتصالات وكذلك قصرالشتاء وذلك في ليلة السابع من تشرين ثاني (الخامس والعشرين من تشرين أول بناءً على التقويم القديم) . ويفر كيرنسكي ويُعتقل آخرون من أعضاء الحكومة المؤقتة ، ويقيم البلاشفة مجلس سوڤييت لمفوضي الشعب برئاسة لينين ويصبح تروتسكي مفوض الشؤون الخارجية. يجتمع مجلس السوفييت الثاني لعموم روسيا حيث يقوم بإلغاء الملكية الخاصة ويمنح كل الأراضي الخاصة وأراضي الكنيسة الى مجالس سوفييت القرى وذلك لاعادة توزيعها على الفلاحين . كما أن موسكو يُستولى عليها بالقوة من قبل البلاشفة . وفي وقت عاجل ، تقوم مجالس السوفييت المحلية

بالسيطرة على معظم المدن الروسية وتعلن تأييدها للبلاشفة .

١٩١٨ - ١٩٢٠

ينعقد المجلس التأسيسي الموعود وذلك في كانون ثاني من عام ١٩١٨ إلا أن البلاشفة كانوا أقلية فيه ، فيقوم الجنود بإجباره على الانفضاض وذلك في مساء اليوم الأول لاجتماعه . ثم يقوم البلاشفة بتغيير اسمهم رسمياً الى الحزب الشيوعي الروسي . يؤدي الخوف من عدوان الماني الى دفع الحكومة الى نقل العاصمة من بتروغراد الى موسكو . وفي آذار من سنة ١٩١٨ ، يجبر لينين وتروتسكي زعماء الحزب والحكومة الآخرين على قبول معاهدة برست - ليتوفسك ، والمعقودة مع ألمانيا وامبراطورية النمسا والمجر ؛ وهي مجحفة جداً بروسيا ، الا أنها في النهاية تنهي تورط روسيا في الحرب . ولكن انتصار الحلفاء في تشرين ثاني (نوفمبر) من عام ١٩١٨ ، ينقذ الحكومة السوفيتية من تنفيذ الشروط القاسية للمعاهدة . وما بين أواخر عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٠ ، تنشغل الحكومة السوفيتية في حرب أهلية مدمرة حيث يقاتل الجيش الأحمر - بتنظيم وقيادة تروتسكي - جيوش البيض للثورة المضادة . وقد كانت العمليات العسكرية للبيض متركزة في البداية في الجنوب بين قوات بقيادة الجنرال كورنيلوف . وفي أوقات مختلفة خلال الصراع ، ينشغل الجيش الأحمر في الغرب بقتال قوات بولندية ، وفي الشرق بمقاتلة اليابانيين والبيض المدعومين من الفيلق التشيكي ، وفي الشمال بمقاتلة البيض المدعومين بعناصر عسكرية بريطانية ، وفرنسية وأمريكية . وتتدخل القوات الأمريكية أيضاً في الشرق الأقصى الا أنها لا تشارك في القتال الفعلي . ومع عام ١٩٢٠ ، تنجح الحكومة السوفيتية في توطيد سيطرتها على معظم روسيا وذلك ، جزئياً ، بفضل قيادة تروتسكي وكذلك بفضل فشل جيوش البيض العديدة في تنسيق عملياتها العسكرية . ويفشل البيض في كسب تأييد الفلاحين الذين يخشون عودة الأوتوقراطية القيصرية وضياع الأرض التي أحرزوها بفضل الثورة .

المانيا : ١٩١٨ - ١٩٣٤

١٩١٨

آذار (مارس)

تنهي اتفاقية برست - ليتوفسك الحرب بين روسيا السوفيتية والقوى المركزية (المانيا وحلفائهما) . وتصبح المانيا الآن قادرة على تركيز كامل مجهودها الحربي على الجبهة الغربية .

نيسان (ابريل)

تتأسس قيادة عسكرية موحدة لجيوش الحلفاء . فتواجه ألمانيا وحلفاؤها الآن القوة العسكرية المشتركة لفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة .

تموز ـ آب

هجوم الماني كبير ـ معركة مارن الثانية ـ يُكبح بالقرب من باريس . ويقوم الحلفاء بهجوم مضاد ويجبرون الجيوش الألمانية على انسحاب شامل مع تكبيدهم خسائر فادحة .

أيلول

تغزو قوات الحلفاء بلغاريا ، احدى القوى المركزية ، وتستسلم الحكومة البلغارية .

تشرين اول (اكتوبر)

تقوم تركيا ، احدى القوى المركزية أيضاً ، بمحادثات هدنة مع الحلفاء .

٣ ـ ٤ تشرين ثاني (نوفمبر)

تستسلم امبراطورية النمسا والمجر ـ الحليف الأساسي لألمانيا ـ للحلفاء وذلك في أعقاب النصر الايطالي في فيتوريو فينيتو . وتستمر المانيا في تكبد خسائر فادحة على الجبهة الغربية كما أن مواردها العسكرية والاقتصادية تنفذ بشكل فعلي . ويصل انهيار معنويات الألمان الى الذروة بعصيان البحارة وذلك في كييل ، القاعدة البحرية الأساسية لألمانيا .

السابع من تشرين ثاني

يُخلع ملك باڤاريا لويس الثالث وذلك بعد انتفاضـة شعبية في ميـونخ وتعلن الجمهورية . ويراس الحكومة الباڤارية الجديدة كورت ايسنر الاشتراكي الثوري الذي أدين حديثاً بالخيانة لحثه عمال مصانع الذخائر على الاضراب .

الثامن من تشرين ثاني

تنتشر ثورة شعبية ويُخلع الأوتوقراطيون الملكيون في بادن ، ڤورتمبدرج ، ثورنجيا ، ومسكونيا من الولايات الألمانية .

التاسع من تشرين ثاني

يجبر الأمير ماكسيمليان ، امير بادن ومستشار المانيا منذ تشرين أول ، القيصر ڤيلهلم الثاني على التنازل . وبناءً على توصيات القيادة العسكرية الألمانية العليا ، كان ماكسيمليان قد ابتدأ محادثات هدنة مع الحلفاء لانهاء الحرب (وقد جعل رئيس الولايات المتحدة ودرو ويلسون تنازل القيصر شرطاً أساسياً لمحادثات السلام) . وبضمان تنازل القيصر عن العرش ، يستقيل ماكسيمليان من منصبه كمستشار .

العاشر من تشرين ثاني

يصبح فردريك ايبرت مستشار المانيا الجديد ، وهو ديمقراطي اجتماعي واحد قادة نقابات العمال .

الحادي عشر من تشرين ثاني

تتوصل حكومة فريدريك ايبرت الاشتراكية الى هدنة مع الحلفاء منهية بذلك الحرب العالمية الأولى . ويعلن الغاء معاهدة برست ـ ليتوفسك وتطالب المانيا باخلاء منطقة ما غرب الراين . وتستسلم المانيا للحلفاء ، وذلك بدون هزيمة عسكرية حاسمة على أرض المعارك ، مما سيمنح أرضية لادعاء القوميين بأن خسارة الحرب لم تكن بسبب الجيش ولكن سبب السياسيين الخونة (والاشتراكيين) .

كانون اول (ديسمبر)

يقوم مؤتمر وطني لعصبة سبارتاكوس ـ مجموعة من الثوريين الاشتراكيين الألمان أُسست عام ١٩١٦ ـ بتغيير اسم العصبة الى الحزب الشيوعي الألماني. ويتزعم الحزب كل من روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنيخت . وبتأييد من العناصر الأكثر راديكالية في الطبقة العاملة الألمانية ، يدعو الحزب الشيوعي الى إقامة ديكتاتورية البروليتاريا . وكان رأي روزا لوكسمبورغ بأن الديكتاتورية البروليتارية غالباً ستكون حصيلة انفجار عام وعفوي للجماهير يبلغ ذروته بإضراب عام .

١٩١٩

كانون ثاني (يناير)

في الخامس من الشهر ، يباشر الحزب الشيوعي عنفاً سياسياً وتحركاً جماهيرياً وذلك في برلين ومدن المانية رئيسية اخرى وذلك بهدف الاطاحة بالحكومة واقامة دولة عمال اشتراكية . وفي السادس من الشهر وفي برلين ، تُنظم مظاهرة عمالية واسعة الا أن اغلبية المشاركين غير راغبة في القيـام بمحاولة للثورة . ويُسيطر على المظاهرة من الشرطة والجيش ويُقبض على زعيمي الحزب الشيوعي ، كـارل ليبكسنيخت وروزا لوكسمبورغ حيث يقتلا من قبل الجنود وهما في طريقهما الى السجن .

شباط ـ آذار :

موجة من الاضرابات الصناعية تجتاح المانيا ويكبح الجيش محاولة للإضراب العام في برلين . وفي الحادي والعشرين من الشهر يُغتال الرئيس الباڤاري ، الاشتراكي كورت ايسند .

نيسان (ابريل)

يحاول الشيوعيون البافاريون القيام بثورة الا ان الجيش الالماني يكبحها . وتُنهي الحكومة البافارية استقلالها الرسمي وتنضم الى جمهورية ڤيمار الالمانية .

حزيران (يونيو)

تُوقع معاهدة فرساي وذلك بعد محادثات طويلة ومريرة بين الحلفاء المنتصرين .

وتنهي المعاهدة الحرب رسمياً كما أنها تدين المانيا والقوى المركزية الأخرى بمسؤولية بدء الحرب وتفرض تعويضات كبيرة على المانيا كما انها تقيد حجم الجيش والبحرية الالمانية . وتوضع مستعمرات المانيا السابقة تحت انتداب عصبة الأمم المنظمة حديثاً . وكذلك تخسر المانيا الالزاس واللورين لصالح فرنسا ومعظم غرب بروسيا لصالح بولندا . كما ان معاهدة فرساي تفرض استفتاءً عاماً يجري في الاقاليم التي ستفقدها المانيا في النهاية لصالح بلجيكا ، بولندا ، والدانمارك . وفي الغرب ، تتخلى المانيا عن اقليم السار لفرنسا ولمدة خمسة عشر عاماً وكذلك تُحتل اراضي الراين من الحلفاء لنفس المدة . وتساعد شروط معاهدة فرساي للسلام على تقويض واضعاف شرعية جمهورية فيمار وتساهم في نمو القومية المتعصبة والعسكرتارية Militarism .

تموز (يوليو)

يتبنى الدستور الديموقراطي الالماني الأول وذلك في مدينة فيمار من قبل اعضاء الجمعية الوطنية الالمانية (المنتخبة في كانون ثاني). ويمنح الدستور حق الاقتراع العام ، بما في ذلك النساء ، وكذلك انتخابات مقامة على مبدأ التمثيل النسبي. ويساهم النظام الانتخابي المقام على مبدأ التمثيل النسبي في التقليل من امكانية جمهورية فيمار على الاستقرار وذلك بالمساهمة في تطوير نظام متعدد الاحزاب وسلسلة من الحكومات الائتلافية التي تنقصها الفاعلية وخاصة بعد ١٩٢٩ . وقد اضعف الأساس الديموقراطي في نهاية المطاف وذلك لصالح الاحزاب المتطرفة اليسارية واليمينية على السواء ـ والتي استفادت كثيراً من القانون الانتخابي .

١٩٢٠

شباط (فبراير)

يسيطر ادولف هتلر على حزب صغير من المتطرفين وهو حزب العمال الالماني والذي اسس في ميونخ والذي تزعمه في السابق غوتفريد فيدر . ويقوم هتلر بتغيير اسم الحزب الى حزب العمال الالماني الاشتراكي الوطني («النازي» «Nazi» وذلك بأخذ النطق الالماني لمقطعي كلمة «National») . وقد كان النازيون احدى الجماعات المتطرفة الكثيرة والتي استفادت من السخط العام للمواطنين الالمان وذلك في اعقاب الحرب . ويمزج البرنامج النازي بين مبادىء اقتصادية اشتراكية مع قومية عسكرية وتعصب شديد للتنظيم السلطوي Authoritarian . ويزيد هتلر من ذلك بالهجوم العنيف على اليهود والشيوعيين وبالتركيز على الرفض القومي الالماني لمعاهدة فرساي . وفي نهاية المطاف يُقلل المحتوى الاشتراكي لبرنامج الحزب ويصبح التركيز على النظام والعظمة القومية والصفاء العِرقي .

آذار (مارس)

يتزعم ولفغانغ كاب ـ سياسي يميني متطرف ـ تمرداً مسلحاً ـ من مؤيدي الملكية

وضباط الجيش ويستولي على السلطة في برلين . ويهزم « انقلاب كاب » فقط بواسطة اضراب عام لعمال برلين مـما يوضح للجميع مدى ضعف حكومة فيمار . كما ان الحكومة غير قادرة على القضاء على العنف السياسي الممارس من الجيوش الخاصة للمنظمات المضادة للديموقراطية .

١٩٢٣

في كانون ثاني (يناير) تحتل القوات الفرنسية والبلجيكية المراكز الصناعية لمنطقة الـرور . وقد كان الاحتلال هادفاً الى تنفيذ شروط التعويضات التي اقرتها معاهدة فرساي . وتحتد المشاعر القومية الالمانية.

ويرد العمال والموظفون على الاحتلال بمقاومة سلبية وسلسلة من الاضرابات العامة المؤيَدَة من الحكومة . وفي سبيل ضمان الامن الاقتصادي للعمال في وجه الاحتلال الاجنبي والانهيار الصناعي ، تقوم الحكومة بطبع كميات كبيرة من النقود الورقية . ويؤدي هذا الى تفاقم هائل للتضخم الذي كان احد خصائص فترة ما بعد الحرب . فمع نهاية عام ١٩٢٣ ، اصبح دولار امريكي واحد يساوي اكثر من اربعة تريليونات من الماركات الالمانية ، مما يدمر المدخرات والديون الشخصية . وقد كانت الطبقات المتوسطة الالمانية الأكثر تضرراً بشكل خاص حيث افلس العديد من المواطنين والغالبية تتخبط في الفوضى مما يؤدي الى ازدياد التأييد للجماعات المتطرفة في المانيا بما في ذلك النازيين . ففي الثامن من تشرين ثاني (نوفمبر) ، تقوم « قوات العاصفة » النازية بالهجوم على اجتماع لرجال الدولة في الحكومة البافارية المنعقد في احدى قاعات البيرة في ميونخ.وقد كان هتلر يهدف من وراء « **فتنته** » إلى اخضاع المانيا لسيطرة القوميين والجيش . وبعد اداء القسم بالإخلاص « للثورة » ، يقوم رجال الدولة الطلقاء بقمع « **الفتنة** » وذلك بمساعدة الجيش . ويفر هتلر الا انه يقبض عليه لاحقاً ويحكم عليه بخمس سنوات في السجن . وبرغم عدم تعاطف الحكومة البافارية مع قضية القوميين المتطرفين ، الا ان هتلر يقضي تسعة اشهر فقط من مدة حكمه حيث يكتب كتابه **ماين كامبف** (كفاحي) ، الذي يصور خططه لانتقام المانيا وسيطرتها على العالم .

١٩٢٤ - ١٩٢٩

في سبيل تسوية مشكلة تعويضات الحرب واعادة ترميم الاقتصاد الالماني ، يتبنى مشروع داوز وذلك في عام ١٩٢٤ . وقد سمي المشروع بهذا الاسم نسبة الى تشارلز داوز وهو مصرفي امريكي يرئس لجنة التعويضات الدولية . وبناءً على شروط الخطة فإن القوات الفرنسية والبلجيكية تقوم بإخلاء منطقة الرور في عام ١٩٢٥ كما ان التعويضات الالمانية تُخفض . ويفسح المجال للإستثمارات الاجنبية في الصناعة الالمانية التي تشكل رؤوس الأموال الامريكية الخاصة الجزء الأكبر من هذه الاستثمارات . وخلال السنوات العديدة التالية يستقر الاقتصاد الألماني ويؤدي النمو المضطرد في الانشاءات والتنمية الصناعية

الى حد لا بأس به من الازدهار بالنسبة للمواطنين الالمان . ويبدأ نجاح النازيين والجماعات المتطرفة الأخرى بالانتكاس . الا ان اعتماد المانيا على القروض الاجنبية يجعلها بشكل خاص قابلة للتأثر بالكساد الاقتصادي العالمي الذي يبدأ في اواخر عام ١٩٢٩ .

١٩٣٠ ـ ١٩٣٢

يؤدي الكساد الى انهيار شامل في قطاع الاعمال وكذلك الى بطالة واسعة . وتنعكس ذروة السخط في المانيا بتقطب التأييد الانتخابي بين الحزبين الشيوعي والنازي . ويصبح النازيون اكبر حزب في الريختاغ وذلك في اعقاب انتخابات تموز ١٩٣٢ . وتضغط حكومة فيمار بشكل كبير وذلك في سبيل تأليف اغلبية ديموقراطية في الهيئة التشريعية الا ان الحكومة تكف عن اداء وظيفتها بشكل فعال .

١٩٣٣

كانون ثاني (يناير)

يُواجه رئيس الجمهورية المسن الجنرال فون هيندينبرغ خطر الحرب الأهلية وتعريض سمعة الحكومة للخطر من خلال معرفة العامة لفسادها . ويجد أن الخيار الوحيد لديه اذا لم يعين هتلر مستشاراً هو وضع الحكومة بين يدي الجنرال فون شليخر . ولكن شليخر يدعو علانية الى اقامة ديكتاتورية عسكرية فيجد هيندينبرغ نفسه مجبراً تحت ضغط مستشاريه على القبول بأنه من الممكن السيطرة على هتلر والنازيين . وفي الثلاثين من الشهر يعين فون هيندينبرغ هتلر مستشاراً . ويدعو هتلر الى انتخابات وطنية جديدة وحدد ذلك في آذار .

شباط (فبراير)

في السابع والعشرين من الشهر وقبل اسبوع من الانتخابات ، يقوم النازيون بإحراق مبنى الرايخستاغ . وينسب النازيون الحريق الى الثوريين الشيوعيين . وبإعلان حالة الطوارىء العامة وبادعاء ان هنالك مؤامرة شيوعية للاستيلاء على السلطة ، تُعلق حكومة هتلر حريتي الحديث والصحافة . وتقوم منظمة القمصان البنية النازية بمسيرات في شوارع مدن المانيا بهدف ارهاب المعارضة وحشد الدعم لهتلر وحلفائه .

آذار (مارس)

بالتحالف مع الحزب القومي اليميني ، يخرج النازيون بأغلبية برلمانية ضئيلة في انتخابات الخامس من آذار (٤٤ في المائة من الاصوات العامة) . ويُبعد النواب الشيوعيون من الرايخستاغ ، وفي الثالث والعشرين من الشهر يُصدر الرايخستاغ تشريعاً يعطي هتلر سلطة ديكتاتورية . ويُعلن النازيون كالحزب الشرعي الوحيد في المانيا . وتُقمع المعارضة العلنية من قبل الغستابو وتلغى سلطات حكومات الولايات ، كما ان العناصر اليسارية في الحزب النازي تصفى وذلك في عملية « تطهير الدم » في حزيران ـ مما يساعد

هتلر على السيطرة وتوطيد سيطرته على فيلق الضباط اليميني في الجيش . وبموت الرئيس فون هيندينبرغ ، تدمج الرئاسة والمستشارية في شخص هتلر والذي اصبح يُدعى الزعيم الأوحد ، او الفوهرر ، لألمانيا . وتقوم حكومة هتلر بتقوية الاقتصاد الالماني وتبدأ بتعبئة الأمة للحرب .

الصين : ١٨٣٩ - ١٩٤٩

١٨٣٩ - ١٨٤٢

تهاجم بريطانيا العظمى عدة مدن ساحلية صينية . ووفقاً للبريطانيين فإن « حرب الافيون » عبارة عن انتقام لتدمير كميات من الأفيون التابع لتجار بريطانيين وذلك في مدينة كانتون . كما ان البريطانيين كانوا معارضين لقيود الصين على التجارة الاجنبية .

١٨٤٢ - ١٨٦٠

تؤدي العمليات العسكرية على طول الساحل الصيني من قبل بريطانيا العظمى وقوى امبريالية اخرى الى اجبار الحكومة الصينية على اعطاء تنازلات تجارية واقليمية واسعة وذلك لحساب المصالح الاجنبية .

١٨٤٨ - ١٨٦٥

بعنف ملحوظ ، تقوم ثورة التايبنغ بتعبئة العديد من جماهير الصين البائسة ضد حكم عائلة مانشو شينغ . ويطالب الثوار بتبني قيم دينية جديدة وتغييرات اساسية في تنظيم الصين السياسي والاجتماعي - الاقتصادي . ويستطيعون بسط سيطرتهم من شرق وادي اليانغشي الى نانكين، والتي سقطت في عام ١٨٥٣. وخشية من انهيار التجارة الأجنبية ، تتدخل القوى الغربية وتعين المانشو على قمع الثورة .

١٨٩٤ - ١٨٩٥

تفقد الصين اجزاء اكثر من اراضيهاولكن هذه المرة لليابان وذلك في اعقاب الحرب الصينية - اليابانية الأولى .

١٨٩٩

يحاول جون هاي وزير الخارجية الامريكية الحصول على تأييد القوى الغربية الأخرى على سياسة « الباب المفتوح » في الصين . وتهدف المبادرة الامريكية الى ضمان حرية المصالح التجارية الامريكية في التعامل مع الصين وذلك في وجه الاحتكار المتنامي لليابان والقوى الغربية على الاراضي والتجارة الصينية .

١٩٠٠

تقوم ثورة البوكسر (الملاكمين) ، مدفوعة من قبل زمرة حربية في بلاط المانشو متزعمة من قبل الامبراطورية الارملة ، بالهجوم على الاجانب والمسيحيين الصينيين .

ويقوم الثوار باحتلال بكين (العاصمة) لمدة ثمانية اسابيع من حزيران الى تموز . وفي آب تُقمع الثورة بهجوم عسكري غير متوقع من بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا وروسيا واليابان والولايات المتحدة . وتُجبر الحكومة الصينية على دفع تعويض خسائر مقداره ٣٣٣ مليون دولار وكذلك السماح للقوات الاجنبية بالعسكرة في العاصمة واخيراً تعديل المعاهدات التجارية القائمة وذلك بما يضمن مصالح اكبر للقوى الأجنبية .

١٩٠٥

يُنظم « الحلف الثوري » بين الصينيين المقيمين في اليابان . ويتزعم الحلف صن يات ـ سين الطبيب الذي تلقى جزءاً من تعليمه في الغرب . وقد سافر صن كثيراً في انحاء العالم جامعاً الاموال والدعم للثورة في الصين . وتعتبر المبادىء الاساسية لصن يات ـ سين ، كما عرّفها ، القومية والاشتراكية والديموقراطية .

١٩١١

يستهل مؤيـدو صن يات ـ سين ثورتهم وتعلن الجمهورية في الإقليم المحتل من الثوار . وفي كانون اول (ديسمبر) يُنتخب صن يات ـ سين رئيساً للجمهورية .

١٩١٢

يشير يوان شيه ـ كاي ـ اقوى اسياد الحرب في الصين ـ على الامبراطور بالتنازل عن العرش حيث يتنازل الامبراطور وذلك في الثاني عشر من شباط مُنهياً بذلك نظام الحكم الملكي الذي حكم الصين منذ القرن الثالث قبل الميلاد . ويستقيل صن يات ـ سين من رئاسة الجمهورية وذلك لصالح يوان الذي يباشر العمل على بناء ديكتاتورية عسكرية . ويحول صن « الحلف الثوري » الى « الكومنتانغ » (الحزب الشعبي الوطني) .

١٩١٣ ـ ١٩١٥

ثورات متقطعة وغير ناجحة من اتباع صن يات ـ سين وآخرين من المعارضين لديكتاتورية يوان . فيقوم يوان بقمع الكومنتانغ الذي يحتل غالبية المقاعد في الجمعية الوطنية الأولى ويقوم بحل الجمعية وذلك في عام ١٩١٤ ، وفي عام ١٩١٥ يعلن نفسه امبراطوراً .

١٩١٦

يموت يوان شيه ـ كاي وتعاد الجمهورية . الا ان الصين ممزقة بالصراع الدائر بين اسياد الحرب شبه المستقلين وبين الامتيازات التجارية والاقليمية المُسيطر عليها من الدول الاجنبية .

١٩١٧

تندلع الحرب الاهلية بين الكومنتانغ في الجنوب وبين الحكومة المركزية مع حلفائها من اسياد الحرب في الشمال .

١٩٢١

يحتل زعماء جيوش الكومنتانغ كانتون ويعلنون حكومة وطنية ويُنتخب صن يات ـ سين رئيساً . بتأثير كبير وسيطرة واسعة من موسكو والأممية الشيوعية ، يُؤسس الحزب الشيوعي الصيني على يد شن تو ـ هسيو و لي تا ـ شاو الأستاذ في جامعة بكين .

١٩٢٣ ـ ١٩٢٥

يتحالف الحزب الشيوعي الصيني رسمياً مع الكومنتانغ ويحتل الشيوعيون مناصب حساسة في تنظيم الكومنتانغ . يموت صن يات ـ سين في عام ١٩٢٥ وتنتقل زعامة الكومنتانغ الى شيانغ كاي ـ شيك احد المساعدين الرئيسيين لصن .

١٩٢٦

يقود شيانغ كاي ـ شيك قوات الكومنتانغ ضد اسياد الحرب في الشمال ويستولي على هانكو ، شانغهاي ، ونانكين . وفي آذار يقوم شيانغ بتصفية معظم الشيوعيين من تنظيم الكومنتانغ . الا ان الحزب الشيوعي الصيني ، ممتثلاً لمطالب المستشارين السوفييت ، يواصل تحالفه مع شيانغ والكومنتانغ .

١٩٢٧

يقوم شيانغ في ابريل بإجلاء الشيوعيين من معقلهم المدني الاساسي ، شنغهاي حيث صفي الآلاف من الزعماء الشيوعيين والكوادر . وفي آب يقود ماوتسي دونغ انتفاضة فلاحية في مقاطعة هونان . وتقمع الانتفاضة من قبل قوات الكومنتانغ بخسائر جسيمة للشيوعيين وانصارهم . ويواصل شيانغ مسيرته نحو الشمال الا ان التدخل العسكري الياباني يمنع قوات الكومنتانغ من الوصول الى بكين . وقد كانت اليابان تحتل جزءاً من الأراضي الصينية منذ هزيمتها لروسيا وذلك في حرب ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ الروسية ـ اليابانية . إلا أن الحكومة اليابانية الآن مُسيطر عليها من عسكريين ذوي مطامع توسعية سواء اقليمياً او اقتصادياً . ويتبنون سياسة عدوانية تجاه الصين .

١٩٢٨

يؤسس شيانغ كاي ـ شيك حكومة مركزية في ناناكين ويعترف بها رسمياً من القوى الاجنبية الرئيسية .

١٩٢٨ ـ ١٩٣١

تُهزم حكومة الكومونة التي اقامها الشيوعيون في كانتون في كانون اول عام ١٩٢٧ وذلك من قبل قوات الكومنتانغ . ويبدأ الحزب الشيوعي الصيني بتغيير استراتيجيته من التركيز على البروليتاريا المدنية ذات الحجم الصغير الى التركيز على فلاحي الصين ذوي الحجم الكبير . وتنظم مجالس سوفيت ريفية في وسط وجنوب الصين ، في مقاطعات كيناغسي ، هونان ، انهوي ، وهوبي . ويباشر الشيوعيون برنامجاً للإصلاح الزراعي في

المناطق التي تحت سيطرتهم حيث يحرزون تأييداً متزايداً من الفلاحين . ويُكون الجيش الأحمر ، بقيادة ماوتسي دونغ وتشوتيه ، من عناصر فلاحية من مقاطعة كيناغسي ، مركز السيطرة الشيوعية .

١٩٣٤ ـ ١٩٣٥

بعد حملات عسكرية عديدة ، تنجح قوات الكومنتانغ في اجبار الشيوعيين على التخلي عن قواعدهم في الوسط والجنوب . وبزعامة كل من ماوتسي دونغ ، تشوتيه ، تشو إن ـ لاي ، ولين بياو ، تبدأ « المسيرة الطويلة » بحوالي تسعين الفاً من الرجال والنساء متجهة في بادىء الأمر الى الشرق ومن ثم الى الشمال . وبحلول شهر تشرين اول لعام ١٩٣٥ ، وببقية اقل من نصف السائرين الاساسيين ، يؤسس الشيوعيون قاعدة جديدة في مقاطعة شينسي الشمالية بالقرب من مدينة ينان . ومرة اخرى يباشر الشيوعيون اصلاحاً زراعياً في المناطق التي تحت سيطرتهم . وكذلك اخذوا ببناء المصانع وتقوية تنظيم الحزب ومواصلة الحرب الأهلية مع تشيانغ كاي ـ شيك .

١٩٣٥ ـ ١٩٣٧

يبسط اليابانيون احتلالهم العسكري للصين على مناطق تشاهار وهوبي . فيسعى الشيوعيون الى انهاء الحرب الأهلية ويطرحون مشروع تحالف مع الكومنتانغ موجهاً ضد العدوان الياباني . وفي عام ١٩٣٧ ، وبعد اختطافه من قبل احد جنرالاته ، يوافق تشانغ كاي ـ شيك على هدنة مع الشيوعيين وتبدأ حرب شاملة بين الصين واليابان . الا ان اليابانيين يبسطون احتلالهم على المدن الشمالية ، بكين وتينتسين .

١٩٣٨

تستولي الجيوش اليابانية على سوتشو ، اموي ، هانكو ، كانتون ، شنغهاي ، وعاصمة الوطنيين نانكين . وينقل تشيانغ حكومته الى اعماق وسط الصين ، الى مدينة تشونغكين .

١٩٣٩ ـ ١٩٤٠

تنهار الهدنة المهتزة بين الحزب الشيوعي والكومنتانغ وبشكل كامل وذلك في عام ١٩٣٩ . تصبح قوات حرب العصابات الشيوعية القوة المؤثرة الوحيدة في مقاومة العدوان الياباني في الشمال . فبحلول عام ١٩٤٠ ، كانت افضل قوات تشيانغ موزعة ضد الشيوعيين عوضاً عن ان تكون ضد اليابانيين .

١٩٤١ ـ ١٩٤٥

في أعقاب دخول الولايات المتحدة الحرب ضد اليابان ، تستلم حكومة تشيانغ وجيوشه دعماً كبيراً من كلا الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى . وبهزيمة اليابان عام

١٩٤٥ ، يسيطر الشيوعيون على مساحة واسعة من الريف الصيني في الوسط والشمال ، بما في ذلك منطقة تقدر بحوالي ٤٠٠ ٠٠٠ (أربعمائة الف) ميل مربع بسكان قدرهم ١٠٠ مليون نسمة . وقد بنى الشيوعيون أيضاً جيشاً يقدر بـ ٩٠٠,٠٠٠ جندي وميليشيا شعبية تعدادها مليونان . وبدخوله الحرب ضد اليابان عام ١٩٤٥ ، يحتل الاتحاد السوفيتي منشوريا وذلك في تموز . الا أن ستالين يدعم تشيانغ عوضاً عن الشيوعيين ـ وذلك في مقابل حقوق الشحن السوفيتية في بورتس ارثر وداربن والسيطرة المشتركة على سكة حديد منشوريا .

١٩٤٦ ـ ١٩٤٩

يحتل الشيوعيون الصينيون منشوريا وذلك في أعقاب الانسحاب السوفيتي من الصين وذلك في أيار عام ١٩٤٦ . ويزداد أعضاء الحزب الشيوعي بشكل مضطرد . وتتخبط حكومة الكومنتانغ باللاكفاية البيروقراطية والفساد المستشري والتضخم المتسارع . الا أن الوطنيين ناجحون في حربهم المستمرة مع الشيوعيين خلال عام ١٩٤٧ وذلك جزئياً بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية الهامة القادمة من الولايات المتحدة . وببداية عام ١٩٤٨ ، تحرز الجيوش الشيوعية زخماً فتتقدم خلال المناطق المدنية والريفية متجهة نحو الجنوب . وبنهاية عام ١٩٤٩ ، يسيطر الشيوعيون على معظم البر الصيني . ويفر تشيانغ كاي ـ شك وأنصاره من البر الصيني ويحتلون جزيرة تايوان ـ والتي يدّعي كل من الوطنيين والشيوعيين أنها مقاطعة صينية .

تذييل للجزء الأول

« تسلسل تاريخي . معلومات تاريخية شبه أولية » .

« عنوان الفصل الثالث هذا مضلل لسهل الانخداع ، وخادع للبرىء ، ومؤكد للطبيعة المراوغة للمؤلف .

ليس هنالك مادة واحدة في المعلومات التاريخية السابقة ليس لها علاقة جلية بمصير ونجاح الحركة (أو الحركات) الثورية المعنية . ومع ذلك فإنه كان بالامكان ادخال العديد من الحوادث اللانهائية واللامحدودة لكل فترة زمنية وذلك لكل بلد من البلدان الستة التي استُعرضت . فكتابه« تسلسل تاريخي للثورة » يستوجب غربلة مُحكمة لما يمكن أن يعتبر غير ذي علاقة وعرضي من المواد .

من أين يأتي المعيار القادر على اتخاذ مثل هذه القرارات ؟ ومن أين نستنتج مقولات التصنيف الكامنة في عقولنا والتي تسير اختيارنا للمعلومات ؟ وكما يبدو ، فإننا وبشكل مسبق نملك في عقولنا بعض الأفكار عما له علاقة وعما ليس له علاقة لدراسة الثورة ، بغض النظر عن مدى الفتنا مع الموضوع . فافتراضاً ، كلما كانت الفتنا للموضوع أكبر ، كلما كانت استراتيجياتنا للبحث والتحليل أشمل وأكثر فائدة مفاهيمياً .

بالإمكان هنا أن نقف عند بعض الأمور التقليدية بالنسبة لدراسة الثورة . فبقراءة المعلومات التاريخية المتسلسلة في الفصل الثالث ، هل كان القارىء نازعاً الى تصنيف حوادث العملية الثورية بشكل دوري أو على فترات ، الى تنظيمها مفاهيماً في مراحل أو نحوه وذلك لاكتشاف قانون عام أو نموذج للتطور الثوري ؟ ففي دراسات حُوِّلَ فيها ذلك ، كانت النتيجة عبارة عن ترتيب متكلف غير ضروري يعكس بشكل ثابت عينّة صغيرة من الحركات الثورية . وأوضح مثال على ذلك فهم كراين برينتون لمراحل الثورة والتي استنتجت من دراسته المبكرة للثورة الفرنسية والتي أيضاً طبعتها على الثورات الروسية والأمريكية والبيوريتانية . ويعرِّف برنتون « حكم المعتدلين » كمرحلة أولى للثورة الناجحة ، يتبعها « ارتقاء المتطرفين » ، ثم « عهد الارهاب » وأخيراً الى « ثيروميدور » أو العودة الجزئية الى ظروف ما قبل الثورة[١] .

بغض النظر عن المضامين الغائية ، فإن بناء برنتون يؤدي الى جدل لانهاية له حول معيار ومنفعة تقسيم التاريخ الى فترات . فبرنتون نفسه غير قادرعلى تطبيق نموذجه على الحالة الأمريكية والثورات من الطراز الفاشي[٢] . كما أن كل من ليدن وشميث ، واضعين برنتون في الاعتبار ، يستخلصون من دراستهم للثورة المكسيكية بأن مراحل التطرف والارهاب والديكتاتورية العسكرية وكذلك الثورات المضادة غير قابلة للتطبيق على الحالة المكسيكية[٣] . كما أن هذه المراحل غير قابلة للتطبيق على معظم الحالات التي تمد هذا الكتاب بالمعلومات[٤] .

لاعتبارات تتعلق بالحجم وليس بالأهمية ، فإن هذا الكتاب أيضاً لديه القليل ليقوله فيما يختص بنتائج الحركات الثورية . فسواء في حالة النصر أو الهزيمة ، فإن التأثيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية لأي جزء من العملية الثورية يستحق اهتماماً دقيقاً . والكثير يبقي لأن يقام به في هذا المجال من الدراسة ، وخاصة من منظور العلم الاجتماعي .

فبالنظر الى النتائج البعيدة المدى لثورة ناجحة نستطيع فقط أن نحاول تقديم حكمٍ موجز لنجاح أو فشل الثوار في تنفيذ أحلامهم في العدالة . وهذا قد يكون موضوع كتاب آخر ، أو حتى مكتبة كاملة ، الا أن بعض النقاط الأساسية حول القضية يمكن أن تذكر هنا .

---

(1) Brinton, 1965, Chaps. 5-8.
(2) Brinton, 1965, pp. 175,236, 254, and 262.
(3) Leiden and Schmitt, 1968, p. 135.
(4) Hopper, 1950.

يقدم الكاتب هنا مفهوماً لمراحل الثورة يختلف عن مفهوم برينتون . ففي سبيل نقد مؤرخ لعشوائية عملية وضع المراحل انظر : Elton, 1923, pp. 1-3.

تقبلت طائفة كبيرة من الدارسين الغربيين للثورة حتميتها العرضية ولكنهم يندبون نقائصها الحتمية ، وأنه لمن الحقيقي أن أحد خصائص الحركات الثورية هي الايديولوجية الطوباوية التي تؤكدعلى اللاعدالة القائمة بينما تبسّط كثيراً امكانيات التغيير الجذري . فالزعماء الثوريون عادةً ما يحددون سبب الشرور التي يحاربونها في الخصائص الموضوعية للنظام الاجتماعي . فهم يفترضون أن إعادة بناء السلطة والعلاقات الاقتصادية سوف تؤثر بشكل كبير على السلوك الانساني . وبالتالي فهم ينسون مدى تميز انماط الثقافة وعادات التفكير والسلوك بالاستمرارية أكثر من التغير . وتتأكد هذه النقطة من خلال تحريفات الأنظمة الثورية التي تستشهد بأسماء روسو وماركس ، أو التي تدعي خدمة مُثل التحرر والمساواة والأخوة والحرية والنظام الاجتماعي أو الاستقلال الوطني[٥] .

لكنه من الحقيقي ايضاً أنه حتى الثورات التي فشلت كانت لها جوانبها الايجابية. فبغض النظر عن عودة الملكية الى انجلترا،فإن الثورة البيوريتانية أدت الى زيادة السيادة البرلمانية على السلطة الملكية ، وهومبدأ كان سيصبح قريباً جداً السمة الاساسية للدستورية البريطانية . وبغض النظر عن الانحرافات التي أدى اليها دستور الولايات المتحدة لعام ١٧٨٩ ، فإن مُثل وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦ استمرت كدافع للاصلاح السياسي والاجتماعي ومن المحتمل أن تكون معبرة عن نفسها أكثر في القرن العشرين . وبغض النظر عن الرجعة الثيرميدورية وما تلاها ، فإن الثورة الفرنسية كذلك أضعفت الامتيازات الارستقراطية حيث وضعت الأسس لمجتمع قائم على الانجاز أكثر منه على الرتب الوراثية. وبغض النظر عن الفظاعة التي صاحبت فرض الجماعية Collectivization فإن ملايين الفلاحين في آسيا واوروبا استفادوا من الفرص المادية والتعليمية التي كانوا محرومين منها لمدة طويلة من قِبل دكتاتوريات اكثر اعتدالاً .

إن مسألة نتائج أو آثار الثورة يجاب عليها بوضوح بناءً على قيمنا الشخصية والمنظور المعين الذين نختاره وننظر به الى التاريخ . ولكن افضل اجابة قد تكون تلك التي يعطينا إياها تروتسكي ، أحد اعظم ثوار التاريخ : « هل تبرر نتائج الثورة بشكل عام التضحيات التي تتضمنها ... ؟ ان ذلك قد يكون مثل التساؤل في مواجهة صعوبات وأحزان الوجود الشخصي : اميلادنا يساوي شيئاً »[٦] .

---

(5) Brogan, 1966, pp. 266 - 68, Hopper, 1950, pp. 278 - 79 ; Brinton, 1965, pp. 235 - 36, 266, and Chap.9; Huntington, 1968, pp. 308-9. طرح هؤلاء الكتاب النتائج السلبية للثورة .

(6) Trotsky, 1957, Vol. III, p. 348.

الجزء الثاني

خصائص الحركات الثورية

الفصل الرابع

الزعماء

الطبقة الاجتماعية

يختلف سكان اي مجتمع كبير بناءً على الوضع الاجتماعي والثروة والسلطة كما أن الغالبية العظمى لأي عدد معين من السكان من الممكن أن تشبه بالقاعدة العريضة لهرم شديد الانحدار . فإذا عرفنا الطبقة الاجتماعية بأنها وضع أحدهم على الانحدار العمودي للهرم ، فإننا نستطيع القول إذاً بأنه كلما كان الموقع الطبقي لأي فرد أعلى ، كلما كانت النسبة المئوية لعدد السكان المنتمين لطبقته أقل . وهذا أكثر دقة للقول بأن الفقراء والعامة كثيرون بينما الأغنياء وذوو السلطان قلة .

ويعني ذلك بوضوح أن النُخب السياسية للحكومات القائمة غير ممثلة سوسيولوجياً للمواطنين الذين يحكمون . فالغالبية العظمى من المواطنين عبارة عن فلاحين وعمال مصانع وعمال مكاتب وحرفيين وأصحاب حوانيت وموظفين أو رجال أعمال صغار . بينما الغالبية العظمى من النخب السياسية عبارة عن محامين واطباء وملاك أراض كبار وصناعيين ومدراء أعمال وناشرين ورجال مصارف أو سياسيين محترفين ينحدرون من أباء يستطيعون الادعاء بالانتماء لهذه المهن أو لغيرها من المهن ذات المنزلة الاجتماعية العالية[1] .

القضية هنا هي الى أي مدى يمثل زعماء الحركات الثورية القاعدة الاجتماعية لمجتمعهم أكثر من النخب السياسية التي يسعون لإزاحتها . في أكثر الحالات الجواب يكون بالنفي . وبالرغم من أن ذلك يتطلب شيئاً من التنقيح الحريص (وهذا سيتبع) ، فإن احدى سخريات الاقدار المدعمة بالوثائق للحركات الثورية أن تكون الطبقة الاجتماعية للزعماء الثوريين أقرب للنخب السياسية مما هي من الطبقة الاجتماعية لهؤلاء الذين ينادي الثوريون بعدالة اجتماعية أكبر لهم .

---

(1) Davis, 1963, pp. 285-86.

يلخص الكاتب الخاصية اللاتمثيلية للنخب السياسية في عدة بلدان ، بما في ذلك الولايات المتحدة .

وهذا صحيح بشكل خاص بالنسبة للزعماء الثوريين الداعين الى مساواة أكبر في العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجتمعهم . ففي الحقيقة ، غالباً ما تكون القضية أنه كلما كانت الزعامة الثورية أكثر يسارية أو مساواتية Egalitarian كلما كانت بشكل متزايد غير ممثلة ، سوسيولوجياً ، لقاعدتها الجماهيرية سواء الفعلية أو الممكنة .

فماركس ولينين وكاوتسكي وآخرون من أنصار الثورة البروليتارية يؤمنون بأن الطبقة العاملة إذا تُركت لإدارة شؤونها بنفسها فإن رؤيتها السياسية لن تنفذ أبداً خلال حجاب الوعي النقابي . كما أن ماوتسي تونغ وهو تشي منه وتشي غيفـارا وآخرون من أنصار الثورة الفلاحية يؤمنون بأن أي ثورة فلاحية ناجحة تعتمد أيضاً على كفايات زعماء ليسوا من نفس قاعدتها السوسيولوجية .

هذه التبريرات للنخبوية Elitism في الحركات الثورية اليسارية تعكس الضرورة الفعلية في الطبقة الاجتماعية بين الزعماء الثوريين اليساريين وبين أنصارهم . وهنالك بعض الأمثلة الواضحة لزعماء ثوريين من الطبقة العليا ركزوا دعوتهم على مساواة أكبر للفئات الاجتماعية الدنيا في مجتمعاتهم . ففرانسيسكو ماديرو ، الذي رفع لواء الثورة لأول مرة في المكسيك عام ١٩١٠ ، ينحدر من أسرة ثرية ومالكة كبيرة للأراضي كما أنه نفسه كان رجل أعمال في صناعة المناجم وصهر المعادن . كما أن أم لينين كانت ابنة طبيب وأبوه مديراً محترماً لهيئة مدرسية اقليمية حيث رُقي الى طبقة النبلاء الروسية الفرعية . وتشن توهسيو ، مؤسس الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١ ، ولد لأسرة ثرية من المندرين كما كان استاذاً وعميداً لكلية في جامعة بكين ـ كما أن والد فيدل وراوول كاسترو كان صاحب مزرعة ثرياً عضواً في طبقة عليا اقليمية في كوبا ما قبل الثورة . وفيدل نفسه تخرج من جامعة هافانا ومارس المحاماة قبل عام ١٩٥٣ . وتشي غيڤارا كان طبيباً وابناً لمهندس معماري ارجنتيني. أما الانتفاضة الفوضوية في ايطاليا الجنوبية في القرن التاسع عشر فقد كانت متزعمة من قبل المثقفين ، بما في ذلك النبيل ايريكو مالاتيستا الذي شجع الفلاحين على الاستيلاء على الأرض التي يعملون عليها ولكنهم لا يملكونها[٢] .

وليست هذه أمثلة منعزلة . فالكوادر القيادية العليا لأكثر الحركات الثورية اليسارية تشاطر بشكل جماعي نفس الخصائص التي تصف الزعماء أنفسهم . فالزعماء الاثنا عشر للتوباماروس المأسورون ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧١ كانوا جميعهم من الطبقات العليا في أورغواي كما كانوا مؤهلين في مهن مثل الهندسة والتعهدات . ومن بين الزعماء الأعلى لجبهة التحرير الوطنية الساندينيـة والتي أطاحت بدكتاتورية سوموزا في نيكارغوا عام ١٩٧٩ ، كان هنالك رجال ينحدرون من آباء محامين ورجال أعمال أثرياء والذين كانت

---

(2) Hobsbawm, 1959, pp. 93-94.

يشرح الكاتب خصائص النخب الفوضوية الايطالية .

مواقعهم الاجتماعية العالية مستمدة بشكل جزئي من رعاية وتأييد عائلة سوموزا . كما أن العديد من زعماء الساندينيستا أنفسهم كانوا رجال أعمال ناجحين وبارزين مهنياً وفي الشؤون الأكاديمية العليا ، كما أن غالبية زعماء الساندينستا كانوا خريجي جامعات . أما التمرد الشيوعي الملاوي بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان متوجهاً الى الفئات الدنيا من العمال والفلاحين الملاويين ، الا أن قيادته كانت وبشكل شبه شامل مشكلة من صفوف الانتلجنسيا وأصحاب المهن المدنية . كما أن هذه السمات الأخيرة تنطبق أيضاً على جبهة التحرير الوطنية لجنوب فيتنام[٣] . ففي دراسة قام بها الحزب الشيوعي الفيتنامي بعد الحرب العالمية الثانية لـ ١٨٥٥ من كوادره القيادية ، وجد أن ٧٤ في المائة كانوا من المثقفين أو المنحدرين من أصل برجوازي ، و ١٩ في المائة كانوا من عائلات فلاحية ، و ٧ في المائة فقط كانوا من الطبقة العاملة الفيتنامية[٤] . وبالرجوع الى القارب الذي أقل كاسترو ورفاقه الى كوبا عام ١٩٥٦ ، كتب غيفارا بأنه « لم يكن هنالك في المجموعة الأولى التي أتت على (السفينة) « غرانما » ... أحد ذو خلفية عمالية أو فلاحية »[٥] .

وفي بحث لدافيد لين حول البلاشفة والمناشفة في الحزب الديموقراطي الاجتماعي الروسي ، وجد أن القيادة العليا لكلا القسمين كانت « من الجماعات ذات الوضع الاجتماعي العالي »[٦]. أما روبرت س. نورث وأيثيل دي سولا بول فقد وجدا من خلال دراستهما للجنة التنفيذية المركزية للحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٤٥ بأن ٤٠ في المائة من الاعضاء كانوا ينحدرون من اباءٍ ذوي مهن من الطبقة العليا ، بينما كان ٢٣ في المائة فقط من اباء من الطبقة الفلاحية أو العمالية . ويضيف الكاتبان بأن الاتجاه الخلقي الاجتماعي للشيوعية الصينية نحو الطبقات الدنيا حث كوادر اللجنة التنفيذية المركزية على ادراك مدى الأصول الطبقية العليا لهم[٧] .

ثوار برجوازيون

مقارنة بالزعماء الثوريين اليساريين ، يسعى الثوار البرجوازيون الى تحقيق العدالة بالنسبة للطبقات الوسطى في مجتمعهم . كما أن طبقتهم الاجتماعية أكثر قرباً الى الطبقة الاجتماعية لأتباعهم من حالة الزعماء الثوريين اليساريين .

تاريخياً ، يقوم الثوار البرجوازيون بمقارعة السلطة الملكية والمؤسسات الأرستقراطية ، أو يهاجمون امتيازات الطبقة العليا . فهم لا يهددون الطبقات العليا عن

---

(3) Bowdler, 1981; Molnar, 1965, p. 76; Rolph, 1971, p. 50.

يتكلم الكُتاب بالتتالي عن الساندينستا ، الحزب الشيوعي الملاوي ، وجبهة التحرير الوطنية .

(4) Wolf, 1969, p. 185.

(5) Quoted in Wolf, 1969, p. 269.

(6) Lane, 1969, P. 32.

(7) North and Pool, 1965, Table 2, pp. 378-79; Lewis, 1970, Ch. 1.

يتحدث لويس عن الاصول البرجوازية لمؤسسي واعضاء الحزب الشيوعي الصيني في بداياته .

طريق الوعيد بالرفع من شأن الطبقات الدنيا . اذ أن كل ما يسعون اليه هو توسعة الأقلية المسيطرة في المجتمع عن طريق ضم أنفسهم اليها . وبشكل جزئي وبسبب اعتدالهم النسبي ، فإن هنالك تماثلاً سوسيولوجياً وتداخلاً ادارياً بين الثوار البرجوازيين والنُخب السياسية القائمة أكبر منه في حالة العلاقة بين النخب السياسية والثوار اليساريين . وكما اكثر حلفائه من البيوريتانيين وكذلك خصومه من مؤيدي الملكية ، كان أوليفر كرومويل جنتلماناً ريفياً . الا أن دراسة بارينغتون مور للبرلمان الطويل (Long Parliament) واعضائه ال ٥٢٢ (بين ١٦٤٠ و ١٦٤٢) وجدت أن النخب البيوريتانية كانت مصطفاة بشكل أساسي من تلك الدوائر ذات المصلحة الأكبر في انحلال الامتيازات الارستقراطية في مناطق حيث التصنيع ومصالح قطاع الأعمال كانت متطورة بشكل أكبر وحيث تسييج الأراضي المشاعة كان قد مهد لأساس متين لزراعة تجارية تنافسية(٨). فلم يكن من قبيل الصدفة أن يؤيد فلاحو انجلترا الأكثر فقراً الملك في صراعه مع البرلمانيين البيوريتانيين .

وقد وجد كريان برنتون أن الزعماء الثوريين البيوريتانيين والأمريكيين كانوا متشابهين بشكل مدهش من ناحية الطبقة الاجتماعية ـ فقد كانوا من ذوي الأملاك وكذلك ، في معظم الحالات ، زعماء محترمين في مجتمعاتهم ، حتى الراديكاليين منهم مثل صموئيل ادامز كان ينحدر من عائلة تجارية ناجحة في بوسطن كما كان خريجاً من هارفارد . أما المتطرفين وممثلي الفئات الدنيا في الثورة الفرنسية ، بما في ذلك مارا وبابوف ، فقد كانوا استثناءاً للقاعدة العامة : فمعظم زعماء الثورة الفرنسية أتوا أيضاً من الطبقات الوسطى كما كانوا بشكل أساسي من نفس الموقع الاجتماعي لأنصارهم المؤيدين لهم(٩) . أما أعضاء الأرستوقراطية الفرنسية الذين انضموا الى الثورة،بما في ذلك دوق أورليانز وميرابو ولافاييت ، فقد كانوا أيضاً استثناءً للقاعدة العامة بسيطرة أصحاب المهن والطبقة الوسطى(١٠) . وقد كان من البارزين بشكل خاص في الثورة الفرنسية رجال قانون ومحامون شكلوا غالبية ممثلي الطبقة الثالثة في مجلس الطبقات عام ١٧٨٩ وحقيقة الأمر أن المحامين يشكلون الفئة المهنية الأكثر تمثيلاً في كل نظام سياسي في العالم الغربي ، كما أن بروزهم في الحركات الثورية الحديثة تؤكد الاستمرارية بين الطبقات الاجتماعية للأنظمة القديمة والجديدة ، استمرارية تتضح بشكل خاص في حالة الثورات البرجوازية .

ولكننا أيضاً لاحظنا الدور العرضي للمحامين في الحركات الثورية اليسارية : فكاسترو وكذلك لينين وكريستينسكي (في بوليتيرو البلاشفة لعام ١٩١٧) يشكلون أمثلة سرعان ما ترد الى الخاطر . وعلى ذلك فإنه بالامكان أن نفترض أن المحامين يكونون أكثر

(8) Moore, 1966, pp. 511-12.
(9) Brinton, 1965, p. 101.
(10) Melotti, 1965, pp. 211-14.

يلخص الكاتب الخصائص الطبقية الاجتماعية للعديد من زعماء الثورات البيوريتانية ، الامريكية ، الفرنسية ، الروسية ، والكوبية .

بروزاً في الحركات الثورية اليسارية عندما تكون الطبقات التي يمثلون أساساً ضعيفة او غير موجودة[١١] . ويبدو أن هذا ينطبق بشكل خاص على تلك المجتمعات حيث يكون هنالك طبقة متوسطة صغيرة نسبياً مسيطراً عليها من قبل راس مال أجنبي ، وقد كانت هذه حالة كل من كوبا وروسيا فيما قبل الثورة .

أما الاتجاه الرئيسي فهو أن يمثل المحامون بشكل افضل أولئك المواطنين الذين يملكون الأكثر ، وكنتيجة لذلك وكطبقة اجتماعية فإنهم قادرون على التوافق مع النخب السياسية القديمة وكذلك التماثل مع الثروة الجديدة الطارئة . وبهذا المعنى ، فأنهم يساعدون على تشكيل خصائص الزعماء الثوريين البرجوازيين الممثلين اتباعهم سوسيولوجياً أكثر من ثوريي اليسار .

من الممكن أن يُصور هذا التعميم أيضاً بالنظر الى خصائص زعماء الكومنتانغ في الصين الثورية . فالتزامهم الوطني كان يعكس مصالح طبقات ملاك الأرض والتجار كما أن زعماء الكومنتانغ أنفسهم كانوا منحدرين من نفس هذه الجماعات[١٢] . وزعامة الحركة ذات الاتجاه الطبقي الوسطوي والمتجذرة مدينياً والتي كانت ضد كاسترو عام ١٩٦١ كانت منحدرة من المثقفين المدينيين والطبقات ذات الياقات البيض ، والتي زودت كاسترو أيضاً بدعم أساسي خلال المراحل المبكرة وعدم الوضوح الايديولوجي للنشاط الثوري[١٣] ، النقطة الأساسية ، مرة أخرى ، تبدو واضحة : الثوريون البرجوازيون ، ومن الناحية السوسيولوجية ، أكثر تماثلاً مع اتباعهم من الثوريين اليساريين . وهذا بدوره يساعد على شرح الايديولوجيات الأقل تماسكاً والتنظيمات الثورية الأضعف والتي تميز الحركات الثورية البرجوازية عن الحركات الثورية اليسارية .

ثوار على اليمين

يُعرف ثوار اليمين العدالة الأجتماعية بمصطلحات النظام الاجتماعي . فهم يبشرون بالسلطة بدلاً من المساواة . وعلى وجه الخصوص وبالنسبة للحركات الفاشية فإن المساواة الوحيدة التي يراها زعماؤهم هي خنوع الاتباع المتساوي لسلطة القيادة . وقد يكون هنالك وهم المشاركة السياسية ، الا أنه وبالنسبة للغالبية العظمى ليس هنالك مشاركة فعلية في عملية صنع القرار السياسي ، ورغم أن عدم مشاركة الأنصار في عملية صنع القرار تميز في الحقيقة كل الحركات الثورية تقريباً ، بغض النظر عن الاتجاه الايديولوجي ، وخاصة عندما يتسع مدى الصراع مع الزمن ، الا أن النخب اليمينية صريحة فيما يتعلق باللامساواة السياسية لحركتهم ، حتى وهم يحاولون خلق جو من العلاقات الرفاقية ، وهم يعتبرون أن الزعامة فضيلة دائمة أكثر من كونها ضرورة مؤقتة . والحركات اليمينية غالباً ما

(11) Berelson and Steiner, 1964, p. 430.
(12) North and Pool, 1965, pp. 328 and 395.
(13) Rivero, 1962, p. 76.

تكون مدفوعة الى حد كبير بالاتساع الفعلي أو المحتمل للمساواة في أرجاء النظام الاجتماعي . وفي هذا المجال ، فإن زعماء الحركات الثوريـة اليمينية أكثـر تمثيلاً سوسيولوجياً لأنصارهم من الثوار اليساريين ، ولكن وبالمقارنة مع الثوار البرجوازيين فإنهم أيضاً يتميزون بقدرة أقل على التداخل والتوافق مع النخب السياسية القائمة . وفي نفس الوقت ، فإن الثوار اليمينيين غالباً ما يتمتعون بالتأييد الصامت أو الصريح لنفس النُخب السياسية ، فعلى سبيل المثال ، حصل كل من النازيين في المانيا والفاشيين في ايطاليا على مساعدة وتشجيع المؤسسات البيروقراطية والعسكرية والبوليسية في انظمتهم السياسية القائمة . وحتى بدون هذا التداخل بين الزعماء الثوريين والنخب السياسية عن طريق هذه المؤسسات ، فإن الثوار اليمينيين يتمتعون بقدر أكبر من القدرة على الاتصال والوصول الى صانعي القرار السياسي من الزعماء الثوريين للحركات اليسارية . أهمية هذه العلاقة سوف نتوسع فيها أكثر في المقطع الأخير من هذا الفصل .

والتماثل السوسيولوجي بين الزعماء اليمينيين وأتباعهم من الممكن أن يُصور بأخذ مميزات أو خصائص الثوار المضادين الذين كانوا يسعون لاعادة انشاء النظام التقليدي في فرنسا بعد عام ١٧٨٩ : فقد كانت زعامتهم متحدرة من طبقة النبلاء والمراتب الأكليركية العليا . كما أنه وحيث كانت أعداد كبيرة من الفلاحين معبأة للثورة المضادة كما حصل في فيندي ، فإن ذلك كان عائداً الى أن السلطة المحلية لرجال الدين والتي كان الفلاحون يؤيدون كانت مهاجمةً من الحكومة الثورية في باريس . وفي اسبانيا ، أيضاً ، كان الأساقفة المحليون الذين كانوا يعيشون نفس الظروف التي يعيشها اتباع ابرشيتهم من الفلاحين هم المنظمون لحرب المقاومة ضد جيوش نابليون الغازية(١٤) .

لذا فلم تكن مصادفة أن تكون دعوة النازية الألمانية والفاشية الايطالية الى جنود الحرب العالمية الأولى المشتتين مُصورة للخبرة الشخصية لزعامة الحركتين ، بما في ذلك هتلر وموسوليني . وكذلك فإن المبادرة النازية المُركِزة على الطبقات الوسطى والوسطى ـ الدنيا الألمانية كانت تعكس أيضاً التركيب السوسيولوجي للنخبة النازية : ففي بحث للعينة أجري عام ١٩٣٤ وجد أن اثنين من كل ثلاثة أشخاص كانوا قد أدوا الخدمة العسكرية في الحرب ، ٥و٤ في المائة فقط كانوا منحدرين من أباء ذوي مراكز اجتماعية عالية ، بينما ٦و ٥ في المائة كانوا منحدرين من أباء ذوي مراكز اجتماعية دنيا(١٥) . ويؤكد س . ل . اندريسكي شعور العداء والتحيز هذا ضد الطبقات العليا لدى الزعامة النازية ودعوتها الايديولوجية حيث وجد أن « النخبة العليا للحزب لا تتضمن عملياً اعضاء من المؤسسة القديمة . وكذلك فإنه من الارستوقراطيين الشباب الذين انضموا الى الحزب النازي في نهاية الأمر لم يصل أحد منهم الى مراكز عليا »(١٦) .

---

(14) Tilly, 1964, and Hobsbawm, 1959, p. 77.
(15) Lerner, Pool, and Schueller, 1965, pp. 207 and 212.
(16) Andreski, 1969, pp. 100-101.

اما الاتجاه الأقل مذهبية للفاشية الايطالية (مقارنة بالاشتراكية الوطنية الألمانية) فإنه يتوافق مع الخليط السوسيولوجي الأكبر لقيادتهم ولكن مثلهم في ذلك مثل النازيين الألمان ، فإن الفاشيين الايطاليين كانوا ايضاً وبشكل غالب ينحدرون من الطبقة الوسطى والوسطى ـ الدنيا في الأصل . فبين الستة والستين سكرتيراً اقليمياً للحزب والذين عينوا في مراكزهم قبل الحرب الاثيوبية ، كان هنالك ثلاثة فقط من الطبقة العاملة ، وأربعة من الارستقراطية ، وتسعة ينتمون الى « البلوتوقراطية » (ليسوا من الارستقراطين الا أنهم ذوو دخول مرتفعة) ، وخمسون كانوا من « البرجوازية الأصغر »[١٧] .

ومن ناحية ثانية ، فإن الأصل الاجتماعي لكل من هتلر وموسوليني يوضح بشكل خاص الاتجاه الطبقي الوسطوي والوسطوي ـ الدنيوي للفاشية . والتشديد هنا على الوضع الطبقي للزعماء الأكبر يجد تبريراً له في الدور الحاسم والأهمية الرمزية Symbolic للسلطة الكاريزماتية Charismatic في الحركات السياسية اليمينية ، والأصل الطبقي الاجتماعي المتدنّي للزعماء الفاشيين (والد هتلر كان ضابط جمارك ووالد موسوليني كان حداداً) لا يتوافق فقط مع التركيز السوسيولوجي لدعوتهم المذهبية ولكنه أيضاً يتباين مع الأصل الطبقي الاجتماعي العالي للزعماء الثوريين البرجوازيين واليساريين ، وكلما كان هؤلاء (البرجوازيين واليساريين) أكثر تقدمية ، كلما كان المثقفون منهم أكثر تعليماً ونزعة انسانية في تطلعاتهم وكلما كانت الطبقات الاجتماعية التي ينتمون اليها أعلى .

المثقفون

من الممكن تعريف « المثقفين » بأنهم أولئك « الذين يميلون ـ وفقاً لمزاجهم الخاص أو تبعاً للوضع العائلي أو التعليمي أو المهني ... الخ ـ الى المعالجة والتعامل الرمزي بدلاً من التعامل المادي مع البيئة »[١٨] . فالمثقفون يتعاملون مع الأفكار ، كما أن أفكارهم تهدف الى تشكيل رؤية متماسكة منطقياً لدور الانسان في المجتمع والعلاقة بين الانسان والمجتمع والطبيعة والتاريخ . ويميل المثقفون أيضاً الى أن يكونوا شكاكين تجاه المعايير القائمة مندفعين الى التأمل في تغييرات في البيئة الاجتماعية من المفترض أن تستجيب أفضل لطبيعة الانسان .

وعلى ذلك ، فإن هنالك شيئاً أكثر من مجرد قليل من الغموض في فرضية كراين برينتون الشهيرة بأن « تحول ولاء المثقفين » من النظام القائم يمثل مقدمة الثورة[١٩] . هل درس برينتون الحركات الثورية التي أخفقت ، وكذلك دور المثقفين في الظروف اللاثورية ،

---

(17) Lasswell and Sereno, 1965, pp. 181-82.
(18) Lerner, Pool, and Schueller, 1965, p. 203.
(19) Brinton, 1965, pp. 39-49.

ويبدو ان الكاتب نفسه على علم بالصعوبات النظرية التي تكتنف وجهة نظره وذلك في مقدمة طبعة ١٩٥٦ من كتابه (كانت طبعته الأولى سنة ١٩٣٨) . انظر صفحة ٧١ من طبعة ١٩٦٥ .

لو فعل ذلك لاكتشف بأن ولاء المثقفين ، فيما عدا الولاء لأفكارهم الخاصة بهم ، غالباً ما يكون في موضع الشك . ولكنها حقيقة قائمة بأن المثقفين يلعبون دوراً بارزاً في تاريخ الثورة . وهذا هو الوضع بشكل خاص في الحركات الثورية اليسارية في المجتمعات ناقصة النمو underdeveloped . كما انه من المؤكد أن الزعماء الثوريين اليساريين في المجتمعات ناقصة النمو ليسوا على الأرجح من المثقفين فقط ، ولكنهم على الأرجح أيضاً قد تأثروا بالمعايير التقدمية للمجتمعات الأكثر عصرية وحداثة وذلك خلال مسار تطورهم الثقافي . وعلى ذلك فإنهم يصبحون أكثر وعياً للتخلف الظاهر لحكومتهم . ويزداد هذا الوعي كلما كانت حكومتهم خادمة لمصالح أجنبية .

فعلى سبيل المثال ، كان صن يات سين ، أبو الثورة الصينية ، طبيباً حصل على جزء من تعليمه في كلية انجليكانية في هاواي ، كما أنه جاب العالم الغربي جامعاً المال والتأييد للثورة في الصين . كما أن ماوتسي تونغ كان متعلماً تعليماً جامعياً وكان ابناً لعائلة فلاحية موسرة في منطقة هونان حيث كان نفوذ الارساليات الغربية والتأثير الاقتصادي متغلغلاً بشكل قوي على الأخص . ففي احدى مقابلاته مع ادغار سنو ، أوضح ماو أنه ومن خلال دراسته الثانوية وفق مناهج غير تقليدية « استطعت دراسة العلوم الطبيعية ومواضيع جديدة وفق المعرفة الغربية »[٢٠] .

وفي ملاحظة للتشابه بين نُخب الكومنتانغ والشيوعيين الصينيين («أبناء ملاك الأرض ، والتجار ، والعلماء أو رجال الدولة ») ، يلاحظ نورث وبول أيضاً بأن غالبية هؤلاء حصلوا على الأقل على جزء من تعليمهم في الخارج[٢١] .

كما أن معظم زعماء الثورة الفيتنامية ضد الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية ، بما في ذلك هو تشي منه وفو نغوين جياب ، قدموا من الانتلجنسيا ذات التعليم الفرنسي والمنتمية الى طبقة الماندارين والطبقة العليا من العامة . فجياب حصل على أعلى درجة اكاديمية كانت متاحة في الهند الصينية الفرنسية ، درجة الدكتوراه في القانون . وكان هو وجياب كلاهما من مقاطعات شمال وسط فيتنام ، والتي كانت منطقة ذات تراث في الثورة على السلطة المركزية والتي كانت متأثرة بشكل خاص بالنمو الصناعي الفرنسي (بما في ذلك مصانع النسيج ومحطات صيانة السكك الحديدية) .

والعديد من الجزائريين البارزين في الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين بعد عام ١٩٥٤ كانوا قد تعلموا في مدارس وجامعات فرنسية ، والعديد من هؤلاء كانوا قد اكتسبوا اتجاهاً غربياً من خلال خدمتهم العسكرية في الجيش الفرنسي وذلك خلال الحرب العالمية الثانية . وتقريباً كل زعماء حركة التحرير الأنغولية والذين ، في عام ١٩٧٤ ، انتصروا على النزعات والخصومات الحزبية وعلى الاستعمار البرتغالي كانوا مثقفين وطلاباً ممن سبق لهم الدراسة

---

(20) Snow, 1971, p. 71.
(21) North and Pool, 1965, p. 376.

خارج أفريقيا . وقد شُكلت حكومتهم الأولى في المنفى في باريس وذلك في أوائل الستينيات ومن ثم وفقط فيما بعد قامت الحركة بنقل مركز القيادة الى أفريقيا (الى الكونغو) وذلك كتمهيد لبدء حرب عصابات في داخل انغولا . في كلتا الحالتين ، الجزائر وانغولا ، كان الدافع الأولي للانتفاضة ضد الاستعمار آتياً من القلة الذين كانوا أكثر شباباً ، وأفضل تعليماً ، وأكثر انتقالاً وجوباً من الكثرة الذين كانوا موضوع التحرير وهدفه . وفي هذا المجال ، هل استطاعت القلة المتأثرة بأفكار جديدة ان تغير حياة الكثرة التي تعيش وتفكر وفق طرق مقيدة بالتراث والمكان ؟ في الحقيقة ، بينت دراسة كاوتسكي ل ٣٢ زعيماً ثورياً في ٣٠ بلداً ـ كلها ذات اقتصاديات ناقصة النمو في ازمنة ثوراتها الخاصة ـ التالي : ٥٩ بالمائة من الزعماء الثوريين سبق وأن عاشوا في أو سافروا الى بلدان صناعية، ٧٨ بالمائة حصلوا على تعليم عال سواء في بلدهم الأصلي أو في الخارج ، كما أن ٨٨ بالمائة حصلوا على « تعليم ملائم لبلد صناعي »(٢٢) . أما الضباط العسكريين في أجزاء من العالم العربي وآسيا وأمريكا اللاتينية فإنهم في كثير من الأحيان يشكلون القوة المتماسكة الوحيدة العاملة على التحديث في مجتمعاتهم الخاصة . فتعرضهم الأكبر لمعايير المجتمعات الغربية ، وتحصيلهم التعليمي الأعلى ، وكذلك وعيهم لاعتماد القوة العسكرية على التنمية الاقتصادية ، كل هذه الأمور تتوافق مع تواتر الانقلابات العسكرية في هذه المناطق من العالم(٢٣) . ففي الحقيقة ، فإن الثورة الديمبرية في روسيا عام ١٨٢٥ كانت أيضاً متزعمة من قبل ضباط الجيش الذين سبق لهم وأن احتكوا بأفكار أوروبا الغربية ، وذلك عن طريق حملاتهم ضد جيوش نابليون والدفق التحرري للثورة الفرنسية .

فالتزام المثقف بالتغيير الثوري يبدو أنه يُؤجج بشكل دراماتيكي عندما يعايش ، في المقام الأول ، السلطة القمعية للحكومة الأوتوقراطية . فثورة الماو ماو (١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) ضد الحكم البريطاني في كينيا عُزيت جزئياً الى سجن السلطات البريطانية لأكثر من مائة الف مواطن كيني بمعدل مقداره سبع سنوات ـ وقد كان ذلك أيضاً مصير الزعيم الأساسي للماو ماو ، جومو كنياتا . فيدل وراول كاسترو كان محكوماً عليهما بأربعة عشر عاماً في السجن تحت نظام باتيستا وذلك في أعقاب هجومهما الفاشل على ثكنات مونكادا للجيش في عام ١٩٥٣ ، ولكنهما قضيا سنتين فقط ومن ثم فرا الى المكسيك بعد الافراج عنهما في ظل عفو عام في عام ١٩٥٥(٢٤) . ويقرر تروتسكي بأنه من بين ال ١٧٥ مندوباً الى المؤتمر

---

(22) Kautsky, 1969.
Wolf, 1969, pp. 181 and 234. — يتحدث الكاتب عن زعماء الثورتين الفيتنامية والجزائرية
Marcum, 1978. — يتحدث الكاتب عن زعماء الثورة في انغولا .

(23) Lipset, 1970, pp. 251-52; Huntington, 1968, pp. 198-208; Degalo, 1976, and Nordlinger, 1977.
خلال السبعينات وبشكل خاص خلال الثمانينات ، تبين بشكل واضح ان خصائص النخب العسكرية في تمتين تماسك المجتمع وقدراتها التحديثية في العالم الثالث أُعطيت اكثر من حقها .

(24) Beals, 1970, pp. 213-14. and 241.

السادس للحزب في تموز عام ١٩١٧ ، فإن إجابة ١٧١ منهم على استفتاء تُظهر أن ١١٠ من النواب قضوا في السجن ما مجموعه ٢٤٥ سنة ، ١٥٠ منهم عاشوا ما مجموعة ٥٤٩ اعتقالاً ، و ٥٥ منهم سبق وأن نفيوا الى مناطق نائية لما مجموعة ١٢٧ سنة[٢٥] . وعلى ذلك فإنه ليس من الصعب الاستنتاج من هذه المعلومات السرية وماشابهها بأن الرجل أو المراة الميال نحو التأمل الثقافي في مصيره أو مصيرها ومصير الآخرين ، وذلك في مجتمع ناقص التنمية ولكنه معرض لتأثير التحديث ، وبمعايشة شخصية للقوى القمعية للدولة ، فإنه من الغالب جداً أن يُنمي اتجاهاً ثورياً يسارياً . تحت هذه الظروف ، فإن الأصول الطبقية الاجتماعية الوسطية أو العليا انما تقيم الأساس فقط لتقبله أو تقبلها للأفكار الثورية .

الطلاب

قريباً من فئة المثقفين ، ومع العديد من نفس الميول ، هنالك الطلاب ذوي المستويات التعليمية الأعلى في مجتمعهم . ومثل المثقفين ، فإنهم يميلون الى أن يكونوا شكاكين تجاه المعايير المتعارف عليها ، كما أنهم على وجه الخصوص حساسون تجاه التناقض بين المثل العليا الاجتماعية للنظام والواقع الاجتماعي لحياة المواطن . وبشكل أكثر من حالة المثقفين ، فإن الطلاب أيضاً يفتقرون الى الروابط الاجتماعية التي تربطهم الى جماعات مهنية وحرفية والتي تميل الى جعل قيم الفرد وتطلعاته الايديولوجية أكثر اعتدالاً[٢٦] .

بروز كل من الطلاب والمثقفين في الانساق العليا للزعامة الثورية يساعد على شرح نتيجة اخرى يُجمع عليها الباحثون حول الثورة . فالزعماء الثوريون دون مستوى متوسط العمر لمجتمعهم كما انهم عادةً في أواخر العشرينات ونادراً أكبر من الأربعين[٢٧] . كما أنهم وتقريباً دائماً من الذكور وغير مقيدين في نشاطهم الثوري بمسؤوليات عائلية .

وعلى الرغم من أن الطلاب نادراً ما يبرزون كزعماء لحركات ثورية مستديمة ، الا أن جامعاتهم وفي كثير من الأحيان تشكل مهد الهياج الثوري وموقع التفريخ لهؤلاء المثقفين الشباب الذين في نهاية المطاف يصبحون زعماء ثوريين . وعلى ذلك فإن الموقع الجغرافي للجامعة من الممكن أن يشكل عاملاً أساسياً في تحديد حيوية الحركة الثورية وتأثيرها على الطبقات الاجتماعية الأخرى في المجتمع وكذلك مدى حياة النظام المُهاجم . فالطلاب في العواصم السياسية في باريس ، هافانا ، بودابست ، بانكوك ، سيؤل ، مدينة غواتيمالا ، سان سالفادور ، القاهرة ، براغ ، وارسو ، طهران ، مدينة المكسيك ، ومدريد يستطيعون أن يلعبوا ، وقد لعبوا فعلاً ، أدواراً أساسية في الهياج السياسي في مجتمعاتهم وذلك في

---

(25) Trotsky, 1957, Vol. II, p. 308.

(26) Berelson and Steiner, 1964, p. 421.

(27) Leiden and Schmitt, 1968, p. 86.

يلخص الكاتبان بعض الدراسات ذات العلاقة حول عصر الزعماء الثوريين .

فترة ما بعد الحرب . ولكن الطلاب في بوردو ، ميونخ ، بولونيا ، كامبردج ، بيركلي ، أن آربر ، نيوهافن ، أو سان دياغو من غير المحتمل أن يتمتعوا بالفعالية السياسية التي تجعل من أنشطتهم خطراً على عمل الحكومة .

وكما في حالة المثقفين ، فإن الطلاب أيضاً يميلون الى اتخاذ اتجاه يساري وفي الحقيقة ، فإنه من النادر أن تنمو منظمات طلابية يمينية اللهم الا في سياق منظمات طلابية قائمة قوية وذات اتجاه يساري متطرف . هذا الاتجاه اليساري لدى النشيطين سياسياً من الطلاب يؤكد مرة أخرى المفارقة السوسيولوجية التي مؤداها أن ثوريين من أصول بورجوازية هم من يقوم بدفع مصالح الجماعات من الطبقة الدنيا الى الأمام .

سخرية الأقدار هذه تبدو بشكل أكبر عندما نقوم بالتفريق بين خصائص النشيطين سياسياً من الطلاب وبين خصائص غير النشيطين .فباستخدام معلومات جُمعت من جامعات في الولايات المتحدة خلال الستينيات ، استنتج كل من ريتشارد فلاكس وليونارد بيرد بأن الطالب النشيط سياسياً ، مقارناً بغير النشيط سياسياً ، يتميز بكونه أكثر اهتماماً بالناحية الأكاديمية والثقافية ، كما أن درجاته المدرسية أعلى ، وكذلك فإنه ابن أو ابنة لعائلة ذات دخل عالٍ حيث كلا الوالدين ذوي تعليم جامعي(٢٨) .

وفي دراسته لأحداث أيار ـ حزيران عام ١٩٦٨ الثورية في فرنسا ، وجد جاك ايلّول بأن الطلاب المتظاهرين الأكثر عنفاً كانوا ذوي « خلفيات ميسورة نسبياً » ، كما أن قادة الطلاب كانوا « أبناء مصرفيين ، وأطباء ، ومحامين ، وأساتذة جامعات ، وموظفي دولة كبار (حتى أبناء وزراء في الحكومة) » . وكذلك وجد ايلّول بأن الطلاب الفرنسيين النشيطين سياسياً كانوا في الغالب من طلاب الفلسفة ، علم الاجتماع ، وعلم النفس ، أما الأقل نشاطاً فهم في الغالب من المتخصصين في العلم أو الطب . أما طلاب القانون والاقتصاد والعلوم السياسية فقد كانوا أقرب الى غير النشيطين سياسياً من طلاب العلم والرياضيات منهم الى « مثيري الشغب » من طلاب الشعب الأكاديمية الأولى(٢٩) .

من هذه النتائج ، بإمكاننا التعميم بالقول أن هؤلاء الطلاب الميالين أكثر نحو السياسة الراديكالية والنشاط الثوري ليسوا فقط ذوي خلفيات طبقية اجتماعية أعلى ولكنهم أيضاً يميلون الى أن يكونوا مركزين في حقول دراسية تؤدي الى رفع درجة حساسيتهم تجاه الخصائص اللانسانية للمجتمع التكنوقراطي . وفي هذا المجال ، فإن الطلاب في المجتمعات الكاملة النمو وناقصته يستطيعون لعب دور « الشرارة » لحريق الثورة .

وهذا بالضبط الدور الذي أُسند الى الطلاب في دراسة العديد من الحرائق الثورية . فأنشطتهم أعتبرت كمحرض يؤدي الى تعبئة قطاعات أعرض من الشعب في سبيل

---

(28) Flacks, 1970, and Baird, 1970.
(29) Ellul, 1970, pp. 501-2.

الانقضاض على متاريس الحكومة ـ من ثورة باريس عام ١٨٤٨ الى الحوادث الأكثر حداثة في ظروف أكثر حداثة . ففي ثورة ١٩٥٦ الهنغارية ، على سبيل المثال ، كان طلاب الجامعة في بودابست أول من تظاهر ضد النظام وبعد ذلك حشدوا معهم قطاعات كاملة من السكان . وقد كانت أنشطتهم ذات أثر ومساعدة على تعبئة المشاعر الثورية الشعبية في بودابست وخاصة في المراحل المبكرة من القتال . وفي المناطق التي تحتوي على كلية أو جامعة ، كان الطلاب هم المبادرين الى تنظيم الثورة[٣٠] .

ولكن ورغم أن الكثير من المثقفين والطلاب ميالون نحو النشاط الثوري ، الا أنهم تقريباً لا يشكلون ، بذاتهم ، القوى المصيرية أو الحاسمة في الثورة ، هذه القوى وبشكل أساسي هي الفلاحون والعمال . غير أن الشك المتأصل لدى الفلاحين والعمال تجاه الطلاب والمثقفين يجعل من الصعب جداً بناء تحالف ثوري يؤدي الى توحيد مجموعة مع أخرى . وهذا بدوره يؤدي الى اثارة قضية دور الزعماء الثوريين .

دور الزعماء الثوريين

يتفق أكثر دارسي الحركات الثورية على أن الزعماء الثوريين لا يصنعون الثورات . فهم وفي أفضل الأحوال يختارون وسائل العمل الثوري ، ويحددون تكتيكات الحركة ووقت العمل ، كما أنهم من الممكن أن يحرفوا مسار الحركة بعض الدرجات تجاه هذا الاتجاه أو ذاك ، الا أن نتائج الحركة واستراتيجيتها واتجاهها العام تقع وبشكل كبير خارج دائرة سيطرتهم . وبهذا المعنى يمكن فهم عبقرية لينين وماو في تكييف الأهداف البعيدة المدى للثورة الشيوعية للمطالب المباشرة الفورية للجماهير المدنية والريفية في روسيا والصين .

وعلى ذلك فإن جزءاً من دور الزعماء الثوريين يتمثل في التركيز على القضايا التي من الممكن أن تؤثر على التحالفات المتداخلة بين الفلاحين والعمال والطلاب والمثقفين وكذلك بين القطاعات المدنية والريفية من المجتمع . ولكن هذه القضايا لا تصنع في رأس الزعيم الثوري ، فكما سنرى في فصول لاحقة فإن هذه القضايا انما تبرز من خلال حوادث رئيسية ذات اثر على قطاعات كبيرة متداخلة من السكان ، هذه الحوادث قد تتضمن هزيمة في حرب،أزمة اقتصادية،تهديداً من عدو اجنبي ،أو مزيجاً من هذه الحوادث وظروفاً اخرى من الممكن أن تستخدم في سبيل تعبئة جزء من أو كل السكان . وعلى ذلك فإن انجاز هو شيء منه كان بناء منظمة قوية ذات جذور عميقة كانت قادرة على توحيد المشاعر المعادية للفرنسيين لدى الفيتناميين بالاضافة الى الالتزام باصلاح زراعي فيما يختص بالفلاحين . ونجاح كاسترو كان بقدرته على تعبئة دعم واسع لدى قطاعات مختلفة من الشعب الكوبي والتي كانت على الأقل معادية لباتيستا بقدر ما كانت مؤيدة لكاسترو[٣١] .

---

(30) Zinner, 1962, p. 262.

(31) Leiden and Schmitt, 1968, p. 203.

يقول الكاتب انه « بدون كاسترو ما كان يمكن ان تحدث ثورة اجتماعية في كوبا » . من ناحية اخرى فـإن اطروحة =

الزعيم الثوري الناجح هو ذاك القادر على تأويل هذه الحوادث والظروف العامة الى أمور ذات معنى في الحياة اليومية للمواطنين العاديين . فهو لا يغرس أفكاراً جديدة بقدر ما يلخصها بشكل متماسك جذاب ، ذلك أنه يبسّط التعقيد ، فبينما تحدد الشروط الأكثر موضوعية أسس العمل الثوري ، فإنه في وعي الزعيم الثوري (كما يناقش ماركس) يبدأ العمل الثوري . وعلى ذلك فإنه يجب أن يكون قادراً على توصيل نظراته وفهمه للحوادث الى الآخرين ، قادراً على اقناعهم وتحويلهم بشكل مشابه الى حد كبير لأسلوب المصلحين الدينيين في عصر سابق ، ودور الزعيم التفسيري أو التأويلي مهم بشكل خاص عندما تسعى الحركة الثورية الى تعبئة الفلاحين الأميين ، المثقلين بتراث من الاضطهاد ولكنهم غير واعين بالخيارات الثورية المتاحة لهم كما أنهم ذوو ريبة تجاه كل أشكال التنظيم الجماعي .

هنالك ، في الحقيقة ، علاقة وثيقة بين أهمية القيادة ، ونضالية الايديولوجية ، تماسك وقوة التنظيم الثوري ، ومقدار الوقت الضروري لأن تأخذ العملية الثورية مسارها . دور وشخصية الزعيم يصبحان أكثر أهمية عندما يكون النداء الايديولوجي للحركة مشتتاً أو غير متماسك ، وعندما يكون التنظيم ضعيفاً ، وكذلك عندما يمتد أمد العملية الثورية . تحت هذه الظروف ، يجب على القائد أن يؤكد لأنصاره وبشكل مستمر بأنهم يحققون أهدافهم ، وبأن التاريخ يقف الى جانبهم ، وبأن الهزيمة ما هي الا تراجع مؤقت ، وكذلك بأن الغد والمواجهةالمقبلة سيجلبان الحركة الى عتبة النصر .

إن الخليط السوسيولوجي النسبي للحركات الفاشية يساعد أيضاً على شرح الدور الحاسم للسلطة الكاريزماتية في الحفاظ على الوحدة ما بين أنصار الحركة المختلفين(٣٢) . فالعمال والفلاحون والموظفون من ذوي الياقات البيضاء وكذلك أفراد الطبقات الوسطى والعليا يجب أن يجدوا ذاتهم المشتركة في شخصية الزعيم . اذ أن حضوره ووجوده أكثر من برهانه ورأيه هو الذي يعبر عن علل تململهم كما أنه يعطيهم الثقة في قوتهم الثورية . الا أن الزعامة الكاريزماتية، سواء على اليسار أو على اليمين، ليست بديلاً عن تنظيم عميق الجذور وصلبها ، وخاصة بعد الاستيلاء على السلطة حيث تواجه القيادة المهام الأكثر

= دور « الرجل العظيم في التاريخ » مختلف عليها من العديد من الكتاب الآخرين ، بما في ذلك سميلسر Smelser, 1963, pp. 358-59. دايفز Davie, 1963, p. 278 ، بيريلسون وشتينر Berelson and Steiner, 1964, p. 343. ، هونتر Hunter, 1940, p. 224. ، وهنتينغتون Huntington, 1968, p. 303 . يؤكد هؤلاء الكتاب الدور الأكثر تحديداً للظروف الموضوعية . الا ان القضية عويصة الى حد كبير ، ففي تلخيص لدراسات حول سلوك الجماعات الصغيرة ، يلاحظ سيسيل جيب Cecil Gibb انه « بسبب وجود تداخل شديد بين الزعيم والانصار فإنه من الصعب في كثير من الاحيان تحديد من يؤثر في من والى اي مدى » .

Gibb, 1966, pp. 92-93.

(٣٢) يعرف ماكس فيبر Max Weber الكاريزما بأنها « خاصية معينة لشخصية محددة يُنظر من خلالها اليه على انه مختلف عن الانسان العادي ويُعامل على انه مالك لخصائص غير طبيعية مما يجعله فوق مستوى الانسان العادي ، او يُنظر اليه على الاقل على انه مالك لقدرات وخصائص استثنائية » . انظر : Smelser, 1963, p. 355.

صعوبة في تعزيز السلطة وتحقيق الأهداف الأكثر جذرية للثورة . ومن الملاحظ ان الحركات الفاشية ، على خلاف الحركات الشيوعية ، لا تنجح في البقاء بعد وفاة زعمائها .

وليس من المرجح أن تنجح السلطة المطلقة لرجال الدين في ايران في البقاء طويلاً بعد موت اية الله الخميني . اذ ما الذي يفسر سلطة الخميني في المقام الأول ؟

(١) تركيز الشاه المبكر للسلطة وقمعه القاسي للمعارضة المنشقة والمنظمة .

(٢) فراغ السلطة الذي خُلق بواسطة التفسخ النسبي المطرد لنظام الشاه في ١٩٧٨ _ ١٩٧٩ .

(٣) وجود تراتبية لرجال الدين عبرت عن مشاعر العداء للشاه من قبل قطاع عريض من سكان ايران والتي شكلت القوة السياسية المنظمة الوحيدة في ايران والتي كان زعيمها الكاريماني المعترف به (حتى وهو في المنفى) آية الله الخميني . وقد كان من غير المرجح أن يستطيع لتنظيم رجال الدين في ايران أن يناغم ما بين أجنحته المختلفة في غياب الخميني . وقد كان الامتحان النهائي والمحتوم للقوة بين رجال الدين وعسكر ايران أو شيوعييها (أو هما معاً) شبه مؤكد مما يسدل الستار على تجربة غريبة في العداء للتحديث . ما هي النقطة ؟ ان الزعامة الكاريمانية ، في المدى الطويل ، ليست بديلاً عن تنظيم قوي .

وفي هذا المجال لاحظ العديد من دارسي الثورة ضرورة تغيير أدوار وخصائص القيادة كلما طال أمد العملية الثورية . فنموذج برنتون يعرف الأدوار المتغيرة للزعماء الثوريين وفقاً لمهاراتهم المختلفة ، بما في ذلك المثالي ، والمشكّل والداعية ، وكذلك المحرض والمنظم . أما ريكس د . هوبر فيعرف النبي والمصلح ، والقائد السياسي ، والمعتدلين ، والراديكاليين وكذلك ـ في نهاية المطاف للعملية الثورية ـ رجل الادارة . أما ايرك هوفر فإنه يميز بين رجال الكلمة ، والمتعصبين ، وأخيراً الرجال العمليين ، ويلخص هاري ايكستن نموذج هارولد لازويل وابراهام كابلان بكونه يشمل الايديولوجيين والمنظمين ، والخبراء في العنف ، والديماغوجيين ، وأخيراً رجال الادارة[٣٣] . هذه المقولات لا تتصف بالحصر أو القصر ، اذ أن العديد من خصائص الزعامة وأدوارها من الممكن أن تتداخل في الشخص نفسه ومع الوقت . ويلاحظ دافيد شوينباوم بأن نماذج ماكس فيبر الكاريزماتية والبيروقراطية (والتي تتسم بالحصر والقصر) قد « اندمجت بشكل لافكاك منه » في الحقيقة في النخبة الحاكمة في المانيا النازية[٣٤] . كما أن أحداً لا يجادل (ما عدا الستالينيين) بالدور الحاسم لتروتسكي في الثورة الروسية ، أولاً كداعية ومحرض محولاً مواقع بتروغراد العسكرية الى جانب البلاشفة ، ثم كمنظم لانقلاب البلاشفة في اكتوبر من عام ١٩١٧ ، وأخيراً وكنتيجة لذلك كمنظم ومخطط استراتيجي

---

(33) Brinton, 1965, pp. 107-19; Hopper, 1950; Hoffer, 1951, Chaps. 15-17; Eckstein, 1964, p. 26.
(34) Schoenbaum, 1967, p. 199.

للجيش الأحمر في الحرب الأهلية ضد البيض[٣٥] .

منذ أواخر القرن التاسع عشر خاصة ، أخذ دور الخطيب البليغ والفاتن يتخذ أهمية رئيسية وذلك في المراحل الأولى من عملية تعبئة الجماهير ، والكثير من الأثر الثوري لموسوليني ، هتلر ، ماديرو ، كاسترو وكذلك لينين وتروتسكي عُزي الى فنهم المقنع والمؤثر في الخطابة من المنبر العام . ولكن ورغم ذلك فإن مثل هذه الموهبة البلاغية العظيمة يبدو انها تفسح المجال في خاتمة المطاف لمهارات المنظم الأكثر تواضعاً فعلى سبيل المثال ، يصف جورج ك . شيلر التركيب المتغير للبوليتبير و(المكتب السياسي) الشيوعي الروسي كما يلي : « قامت الثورة في المقام الأول بفضل جهود المثقفين المولودين في المدن ولكن ، وفيما بعد ، سُيطر عليها من قبل المُنظمين المولودين في الأرياف »[٣٦] . وهكذا فإن ستالين أصبح الرمز الرئيسي وأداة للصرامة الايديولوجية وكذلك المحافظ على تماسك المكاسب الثورية .

الوسائل الثورية المختلفة تتطلب مهارات قيادية مختلفة . فمهندسو حرب العصابات الناجحة أو الانقلاب العسكري البارزون معروفون بمهاراتهم التنظيمية في بناء الائتلافات وذلك منذ مستهل نشاطهم الثوري . وأهمية التنظيم تزداد كلما واجهت الحركة مقاومة منظمة ، والتي بشكل لا مفر منه تطيل أمد العملية الثورية[٣٧] . كما أننا نستطيع أن نضيف ان التنظيم مُحدِدٌ بشكل أكبر للنتائج النهائية كلما كان الزعماء الثوريين محول بينهم وبين مخاطبة الجماهير و/او غير قادرين على الاستفادة من الأنظمة الحديثة في الاتصالات العامة . وفي مجتمع فلاحي ونظام حكومي يعتمد على المخبرين والجواسيس ، على القائد الثوري الناجح أن يكون صبوراً ومتحملاً أكثر من كونه ذكياً أو المعياً ، يتحرك تجاه الهدف الثوري بخطوات قصيرة أكثر من خطوات واسعة . ويلخص نورث وبول خصائص المنظم الفعال لفصائل حرب العصابات الفلاحية في الصين : « وجب عليه أن يكون صارماً ، وجب عليه أن يكون جديراً ومستحقاً للاحترام ، وجب عليه أن يكون قادراً »[٣٨] .

العلاقة مع النظام القائم والثورة الناجحة

انه لأفتراض بديهي وتحصيل حاصل القول بأن الحركات الثورية لا تنجح بدون زعامة قادرة : وعندما تراقب ما يمكن ان يكون حركة قوية مضعضعة بالشقاق بين اجنحتها ، وذلك كما في حالة اليسار الدومينيكاني بعد ١٩٦٥ ، فإنه من الصعب تحديد ما اذا كان الشقاق

---

(٣٥) غير ان تروتسكي لم يكن « ضليعاً في الأعمال التفصيلية لتنظيم الحزب » مما ادى الى انحداره في هذا المجال انظر : Lunacharsky, 1968, p. 66.

ويعرض الكاتب العديد من النظرات اللامعة حول خصائص ودور النخبة البلشفية .

(36) Schueller, 1965, p. 109.
(37) Gurr, 1970, 291.
(38) North and Pool, 1965, p. 374.

الحزبي نتيجة انعدام الزعامة او ان انعدام الزعامة ما هو الا نتيجة للشقاق الحزبي[٣٩] .

من الممكن تقليل بعض من الغموض فيما يتعلق بتحديد دور الزعامة الثورية وذلك بالإجابة على السؤال التالي : الى اي مدى تتمتع الزعامة الثورية بالقدرة على التأثير على صناع القرار في النظام القائم وذلك سواء عن طريق التداخل بين افراد الجهتين او عن طريق المتعاطفين المستبدين ؟

الإجابة على هذا السؤال ، والإجابة على اي سؤال يتعلق بالحركات الثورية ، لن تفسر القصة الكاملة لنجاح او فشل حركة معينة . ولكنه من الواضح وبالرغم من التماثل السوسيولوجي الكبير بين الزعماء الثوريين اليساريين والنخب السياسية القائمة (مقارنة بالحركات اليمينية) ، فإن الثوريين اليساريين يتمتعون بقدر أقل جداً من التأثير على الاتـصال بالنخب السياسية القائمة من الثوريين البرجوازيين او اليمينيين .

هذه النتيجة تساعد على تفسير الكفاءة التنظيمية الاكبر للحركات الثورية اليسارية التي نجحت . فالزعامة [في هذه الحالة] ليست المتغير الحاسم ، انه التنظيم . ولكن هذا ليس صحيحاً سواء بالنسبة للحركات الثورية البرجوازية او اليمينية .

في الحقيقة ، ان السهولة النسبية للتغلغل الثوري في انجلترا آل ستيورت ، وفرنسا آل بوربون ، والمانيا في ظل جمهورية فيمار ، وكذلك ايطاليا الجمهورية كان بالضبط بسبب التوافق الأكبر بين النخب السياسية والزعماء الثوريين ، وذلك سواء بالتداخل بين افراد الجهتين او عن طريق المتعاطفين مع الثورة في النظام القائم . ومن الممكن ان يبدو هذا التأثير الأكبر على مراكز اتخاذ القرار السياسي من خلال قناعة القيادة الثورية ، عندما تحوز على السلطة ، بالمؤسسات السياسية القائمة وكذلك الضعف النسبي لتنظيماتهم الثورية .

وعلى العكس من ذلك ، فإن الثورة الشيوعية تتميز بالتنظيم القوي والانشاء الكامل من جديد للمؤسسات السياسية وذلك بعد احراز السلطة .

وتحت ظروف وشروط معينة ، فإن الشيوعيين وبكل وضوح قادرون على احراز السلطة بدون التمتع بأي تأثير أو علاقة مع النظام القائم .

في حالة الحركات اللاشيوعية او حتى المعادية للشيوعية ، فإن مدى التداخل والتأثير المتبادل بين النخب السياسية والزعماء الثوريين يشكل مؤشراً صالحاً لفرصة الحركة في النجاح . فعلى سبيل المثال ، فإنه من المحتمل ان يكون من السليم الحكم على الثورة المكسيكية بالفشل وفقاً للأهداف الاجتماعية لزعمائها المبكرين . امن الممكن تفسير هذا الفشل ، جزئياً ، بالأصول الطبقية الدنيا الواضحة لزعمائها الاساسيين ؟ إن إسترجاع خصائص المسؤولين الأولين ، ايميليانو زاباتا وبانشو فيلا ، يعطي الانطباع بالعوائق التي

---

(٣٩) يشير فرانسيس ب . كينت Francis B. Kent في تقرير له من سانتو دومينغو الى الافتقار الى الزعامة كسبب لضعف اليسار في جمهورية الدومينيكان ، انظر : Los Angeles Times, April 26, 1972, p. 6 .

واجهت الثورة في تحقيقها لمُثلها في المساواة . فكلا الرجلين كانا امياً ، فزاباتا كان فلاحاً وقيلا (ولد باسم دوروثيو ارانجو) اشتغل كعامل زراعي ، وكبغّال ، وفي النهاية وجد نفسه مجبراً على العمل كرجل عصابات بسبب تورطه في جريمة قتل . كلا الرجلين لم يكن مدركاً للاهمية الملحة للتنظيم السياسي ، ويُعزى هذا الى عدم خبرتهم بحكومة ما قبل الثورة وكذلك عدم قدرتهم على اجتذاب واكتساب خبرة النخب السياسية القائمة .

وثورة ١٩٤٨ الفاشلة والتي اجتاحت اوروبا كانت تقريباً وفي كل مكان متزعمة من قبل افراد من الانتلجنسيا ـ كُتاب ، طلاب ، مدرسين ، وكلهم ذوي مُثل ليبرالية جمهورية ولكنهم مفتقرون للقدرة التنظيمية وبدون اي تأييد او دعم من النخب السياسية القائمة والطبقات المتوسطة ذات الاملاك . والهدوء النسبي للطبقة العاملة الانجليزية ، حتى في غمرة اهوال التصنيع الباكر ، من الممكن ان يُفسر ايضاً وبشكل جزئي بافتقار التوافق بين نُخب النظام السياسي القائم وهؤلاء الزعماء الراديكاليين الناشئين . ففي انجلترا وفي اوائل القرن التاسع عشر لم يكن هنالك العديد من المثقفين القادرين على نشر تطلعات الطبقات الدنيا المحرومة من حق التصويت . فمعظم المثقفين والنخب السياسية الانجليزية كانوا في القبضة الايديولوجية للوك ،سميث ،ريكاردو، ومالثوس ، وقبلوا كشيء لا مفر منه المعاناة العامة الجماعية والتي كانت تتضمنها الدوغما الاقتصادية الليبرالية .

ومرة اخرى تؤكد دراسة لانتفاضات العبيد في امريكا الشمالية قام بها ستانلي ايلكنز النتائج التي توصلنا اليها من حيث الوضع اللاتمثيلي ، بالنظر الى العلاقة مع المُمثلين ، للزعماء الثوريين الساعين الى نشر المساواة . ففي كل انتفاضة للعبيد لم يكن الأكثر بؤساً واستغلالاً من عبيد المزارع هو الذي يأخذ المبادرة ، ولكن كانوا من العبيد السابقين الذين اصبحوا حرفيين احراراً او ، كما في نات تورنر ، مبشرين متعلمين ومن خارج اطر الكنيسة[٤٠] . وفي كل حالة من هذه الحالات فشلت الانتفاضة . ومن الاهمية بمكان ان القوى المحركة للحركة المعادية للرق كان من الواجب ان تأتي من النشطين في المؤسسات الاجتماعية والسياسية الشمالية . ويلاحظ ايرك ر . وولف بأن التمردات غير الناجحة للعبيد في كوبا في اعوام ١٨١٠ ، ١٨١٢ ، ١٨٤٤ كانت مُتزعمة من « جماعة واسعة من الزنوج الأحرار »[٤١] . وبالرجوع الى التمرّد المقموع للسباهيين ذوي المراكز العليا ضد الحكم البريطاني في الهند عام ١٨٥٧ ، كتب ماركس : « ان الانتفاضة الهندية لا تبدأ مع الفلاحين المغـذين المهانين والمجلودين عراة من قبل البريطانيين ، ولكن مع السباهيين المكسيين المُعذبين . والمدللين منهم»[٤٢] . وبالرجوع خاصة الى حـالة الحركات المعادية للاستعمار ، فإن المقياس لهزيمتها شبه الاكيدة ليس فقط ضعف التنظيم الثوري ولكن ايضاً الانفصال المؤسساتي المتطرف بين الثوريين والنُخب الاستعمارية .

---

(40) Elkins, 1971.
(41) Wolf, 1969, p. 253.
(42) Quạted in Avineri, 1969, p. 63.

وفي تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية عام ١٩٥٣ ، قُمعت الانتفاضات ضد الانظمة الستالينية في كل بلد بكل سهولة . فقد كان المتظاهرون غير منظمين ، وبدون زعماء واضحين ، كما ان النُخب السياسية كانت متحدة في وجه التحدي الفعلي لسلطتها . ولكن في هنغاريا وبولندا عام ١٩٥٦ وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، حقق العنف ضد الأنظمة القائمة نجاحاً اكبر بكثير . في كل حالة من الحالات الثلاث الأخيرة ، زُمر من النُخب المهيمنة ، من البيروقراطيين والمثقفين معاً ، تصادمت مع النظام ومنحت تأييدها ودعمها الى المصلين والثوريين[٤٣] . التدخل من قبل قوة خارجية فقط ، الاتحاد السوفيتي ، عكس الاتجاهات المهيمنة في تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ، بينما كانت مُثُل « اكتوبر البولندي » تُدمر رويداً رويداً من قبل النخب السياسية العتيقة التي أُعيدت الى السلطة عام ١٩٥٦ وذلك في اعقاب التعبئة الشعبية .

ولكن النقطة تبدو واضحة ، ومن الممكن ان تقف كفرضية نافعة في دراسة خصائص وادوار الزعماء الثوريين . فمهما كانت الفجوة السوسيولوجية بين الزعماء والانصار كبيرة او صغيرة ، ومهما كانت اتجاهات ومهارات الزعامة الثورية ، فإن الحركة الثورية تُحَسّن من فرصها في النجاح كلما استطاعت التأثير واقامة علاقات مع المؤسسات السائدة في المجتمع . هذا التأثير وهذه العلاقات ، مرة اخرى ، قد يكون من خلال منشقين من الطبقة الحاكمة او من خلال متعاطفين ثوريين يستمرون في ممارسة شيء من السلطة السياسية الشرعية . هذا التأثير وهذه العلاقات مع النظام تجد حدها الأدنى في الحركات الثورية اليسارية كما تجد حدها الأعلى في الحركات الثورية البرجوازية . وهذا بدوره يساعد على تفسير التشديد الاكثر على التنظيم من الزعماء الثوريين اليساريين ، وعجلتهم في احلال المؤسسات السياسية القائمة بأشكال ثورية للحكومة حالما تُحرز الحركة السلطة . وبالإفتقار الى تأثير على النظام وعلاقات معه وكذلك ضعف البنية التنظيمية ، فإن أية حركة ثورية يجب الا تتوقع النجاح ـ بغض النظر عن المواهب الشخصية او العزيمة الايديولوجية لزعمائها .

للفحص

بعض الإفتراضات :

١ ـ مقارنة مع انصارهم ، غالباً ما يكون الزعماء الثوريين اليساريين افضل تعليماً ، اكثر اسفاراً ، ومنتمين الى طبقات اجتماعية عليا .

٢ ـ فيما يتعلق بخصائصهم الاجتماعية ، فإن الزعماء الثوريين البرجوازيين يكونون ممثلين لأنصارهم ومشابهين للنخب السياسية الحاكمة .

---

(43) Dallin and Breslauer, 1970, pp. 205-7, and Skilling 1970, pp. 220-21.

٣ ـ ينتمي الزعماء الثوريون اليمينيـون بشكل خـاص الى الطبقات الـوسطى والوسطى ـ الدنيا كما انهم سوسيولوجياً ممثلون لقاعدتهم التنظيمية .

٤ ـ تكون القدرة على اختراق النظام Regime access أكبر عند الزعماء الثوريين البرجوازيين . واقل عند الزعماء الثوريين اليساريين .

٥ ـ يميل الطلاب والمثقفون في المجتمعات الأقل نمواً والمحكومة بنخب سلطوية الى اعتناق ايديولوجية يسارية ـ خاصة اذا كانوا قد تعرضوا على مُثُل التحديث وخبروا مباشرةً السلطة القمعية للدولة .

٦ ـ عادة ما يكون الزعماء الثوريون من الشباب ، رجالاً ، وبدون مسؤوليات عائلية .

بعض الفرضيات

تكون شخصية ودور الزعيم الثوري اكثر اهمية لبقاء ونجاح الحركة :

١ ـ كلما كان انصار الحركة مختلفين اجتماعياً .

٢ ـ كلما كانت ايديولوجية الحركة اقل تماسكاً وصعبة التحديد .

٣ ـ كلما كان تنظيم الحركة ضعيفاً .

٤ ـ كلما كانت قدرة التنظيم على اختراق النظام منخفضة .

٥ ـ كلما كانت امكانية المجتمع الثورية منخفضة .

٦ ـ كلما كانت قدرة الحكومة القمعية قوية .

٧ ـ كلما كان اتجاه الحركة الايديولوجي يمينياً .

الفصـــل الخـــامس

الانـــصـــار

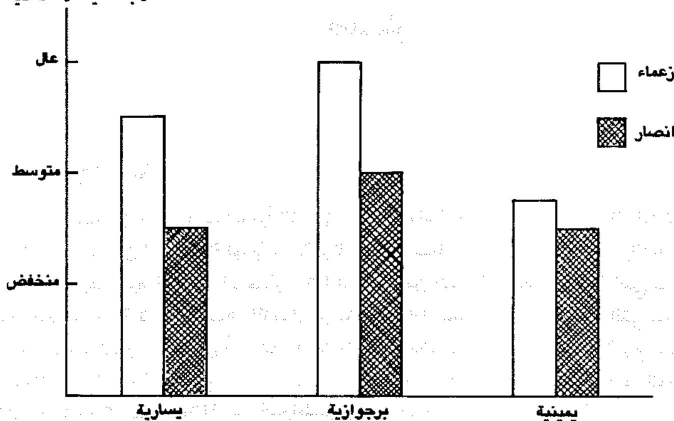
زعماء وانصار

قد يبدو من الأفضل مفاهيمياً التفريق بين الزعماء الثوريين وانصارهم ، الا انه ليس من السهولة بمكان اخذ حركة ثورية معينة وتقسيم تراتيبها Hierarchy الى جزئين والقول انه هنا يقف الزعماء وهناك يقف الانصار . كما انه ليس من السهولة تحديد النقطة التي يفسح فيها انصار حركة ثورية المجال لأنصار او مؤيـدين اقل نشاطاً وكذلك النقطة التي يصبح عندها هؤلاء الأخيرين جمهوراً محايداً او لامبالياً غير مؤيد ولا معارض للتغير الثوري . هذه المقولات المفاهيمية تصبح اكثر صعوبة في مطابقتها للواقع عندما يطول امد العملية الثورية وتبدأ كل فئة مختلفة من المواطنين بلعب ادوار مختلفة مع مرور الوقت .

واندماج الزعماء مع الانصار عند نقطة ما في التراتبية الثورية يظهر ايضاً من خلال القابلية لتطبيق الكثير من التعميمات حول الزعماء والمذكورة في الفصل السابق حول الانصار ايضاً . فالانصار الثوريون وبشكل نموذجي شباب وذكور وغير متزوجين كما انهم وفي احيان كثيرة مثقفون وطلاب.ومن الغالب ان يكون العاطلون عن العمل او العاملون ما تحت حد التوظيف الكامل متمثلين في اتباع الحركة الثورية بنسبة تفوق نسبتهم في المجتمع . ووفقاً للتعريف ، فإن الانصار الثوريين انما يأتون ايضاً من القطاعات الأكثر نشاطاً ووعياً سياسياً في مجتمعهم . كما ان فعاليتهم الأكبر انما تعكس غالباً حساسية اكبر وتعرضاً اكثر لقوى التغير الاجتماعي ، اوالتحديث ، والحرب ، والازمات الاقتصادية او الاضطهاد الحكومي .

كمـا ان التعميمات الواردة في الفصل السابق حول الطبقة الاجتماعية من الممكن ايضاً ان تعاد هنا وبشكل مختصر . ان القاعدة السوسيولوجية للحركات الثورية اليسارية انما تقع في الطبقات الاجتماعية الادنى وبشكل خاص بين الفلاحين والعمال. اما الحركات الثورية البورجوازية فإنما تركز نداءها ودعايتها على الطبقات الوسطى والوسطى الأعلى ، بما في ذلك اصحاب المهن من المدنيين وكذلك الطبقات الريفية الأوسع من ذوي الاملاك .

بالنسبة للحركات الثورية ذات الاتجاه نحو اليمين فإنما تستقبل دافعها الأولي من الطبقات الوسطى الأدنى وذلك في كلا المناطق الريفية والمدنية . ان درجة التماثل السوسيولوجي بين الزعماء والانصار ، والتي نوقشت في الفصل الرابع ، من الممكن ان تلخص هنا على شكل بياني (انظر الشكل ٥ ـ ١) .



شكل : ٥ ـ ١

الفلاحون

هذه الفئات العريضة للطبقة الاجتماعية من الممكن ان تُقسم إلى فئات فرعية عديدة كل منها يلعب ادواراً مختلفة في العملية الثورية وكل منها بمستويات مختلفة متغيرة بالنسبة للإمكانية الثورية . فالفلاحون ، على سبيل المثال ، من غير الممكن ان يُعبئوا او يحشدوا كأنصار ثوريين يساريين طالما انهم وبشكل شديد متدينون ، مدقعو الفقر ، مرتبطون بشكل وثيق بالنخب صاحبة الأرض (مثلاً كأن يكونوا مشاركين في المحصول او ذوي التزامات من نمط اقطاعي) ، او عندما تكون ممتلكاتهم مصونة وتزودهم بالإكتفاء الذاتي الاقتصادي .

وقد كان من حسن حظ كاسترو ، مثلاً ، انه استطاع بناء قاعدته في حرب العصابات بين فلاحي منطقة اوينتي المستقلين نسبياً والمتحركين وليس بين عمال مزارع السكر الأقل ثورية من ذوي العمل المأجور . وفي المكسيك وروسيا والصين والجزائر وكذلك

ڤيتنام ، فإن القاعدة السوسيولوجية للثورة كانت بين الفلاحين المتوسطي الحال والذين كانوا يملكون جزءاً يسيراً من الأرض والذين كانوا مستقلين نسبياً من التحكم الممارس من قبل الحكومة وصاحب الأرض[١] .

ومن ناحية اخرى ، ليس هنالك من قوة فعالة الى جانب المحافظة والأوضاع القائمة من فلاحين مالكين للأرض ويتمتعون باكتفاء ذاتي ، وذلك كما اكتشف الثوريون المدينيون في فرنسا منذ ١٧٨٩ . وفي المكسيك بعد الثلاثينيات ، والهند ، واليابان ، وكوريا بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي بوليڤيا بعد عام ١٩٥٢ ، فإن الاصلاح الزراعي ادى الى تحسين اوضاع الفلاحين من ناحية ملكية الأرض مما ادى الى التقليل من امكانيتهم وقابليتهم الثورية[٢] . ففي بوليڤيا وفي آذار ١٩٧١ ، قام فلاحون مسلحون بالاستيلاء على دار البلدية في سانتا كروز وسلموها الى الجيش وذلك كنوع من الاحتجاج على عنف الثوار اليساريين .

العمال

في حالة الانصار ذوي الامكانية الثورية في المحيط المديني ، نجد ان الطبقات الاجتماعية الأدنى هي الأخرى بين الأقل استجابة لنداءات العمل الثوري . فالفقر المدقع يولد لامبالاة وانسحاباً اجتماعياً وليس فعالية سياسية[٣] . فالروابط الشخصية والتجمع على شكل عائلات تقليدية extended Family عند الفقراء من قاطني المدن ، على سبيل المثال ، يحدان من قابليتهم للحركة والتنقل وكذلك من استقلاليتهم ، كما انهم اول من يعاني من تمزق الخدمات البلدية والاعانات كنتيجة للعنف المديني[٤] .

مقارنة مع العمال المهرة وشبه المهرة ، فإن العمال المهرة الذين يتمتعون بدخل مرتفع نسبياً هم من يبدو انهم عرضة للتأثر بالنداء والتبشير الثوريين . وهذا صحيح خاصة بالنسبة للعمال المهرة الذين تعرضوا الى تجربة البطالة في فترة ما من تاريخهم المهني . ومن ناحية اخرى ، فإن الاتجاه اللاثوري لدى الأحزاب الشيوعية المعاصرة واتحادات العمال يعني ان الوجدان الثوري قد يكون سائداً في كثير من الاحيان بين الفئات الأقل مهارة من العمال ؛ على الأقل ، كانت هذه هي الحالة في كوبا ما قبل كاسترو[٥] . وبالإشارة الى تعبئة العمال في بتروغراد قبل ثورة شباط ، يلاحظ تروتسكي الدور المهم لعاملات النسيج ، « الجزء الأكثر اضطهاداً من البروليتاريا »[٦] . حقيقة ان الصورة معقدة

---

(1) Wolf, 1969, pp. 202-3; Hobsbawm, 1959, pp. 67 and 76.
(2) Huntington, 1968, pp. 375-76.
(3) Davies, 1963, pp. 11-15, Summarizes the Findings of Social Psychology supproting this generalization.
(4) Lewis, 1965.
(5) Zeitlin, 1967, pp. 97 - 98 ; Hamilton, 1967, p. 121; and Greene 1971 .
(6) Trotsky, 1957, Vol. 1, p. 102.

والكثير من المتغيرات تتدخل لتعقد اي تخمين للإمكانية الثورية للطبقة العاملة . ولكن كما في حالة الفلاحين والبورجوازية ، فإنه من المحتمل ان يكون صحيحاً القول بأن الامكانية الثورية للعمال تنخفض كلما كانوا منظمين ومندمجين في الأنظمة الاقتصادية والسياسية لمجتمعهم .

ما يمكن ان يكون الأكثر وضوحاً بالنسبة للدور الثوري للعمال هو التدني النسبي لتمثيلهم في الحركات الثورية اليمينية . وهذه نتيجة دراسة لعضوية الحزب النازي في عام ١٩٣٣(٧) ، وهي تؤكد نتيجتنا السابقة الذكر بالاتجاه الطبقي الوسطوي ـ الأدنى للحركات اليمينية . فصفوف كل من الفاشيين الايطاليين والنازيين الالمان كانت متضخمة بأصحاب المتاجر وتجار المدن الصغيرة وارباب اعمال صغار وكذلك العاطلين عن العمل من سكان المدن . وبينما العديد من افراد الفئة الأخيرة قدموا من محيط بروليتاري ، فإنهم من غير المحتمل ان يتماثلوا مع تطلعات الطبقة العاملة التقليدية او ان يُدمجوا في مؤسسة اتحادات العمال النامية . ويصور سيمور مارتن ليبزيت الناخب النازي النموذجي في عام ١٩٣٢ بالخصائص التالية : بروتستانتي ، ذو مهنة حرة ، يعيش في مزرعة او في جماعة صغيرة ، ومعارض شديد للمؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى وكذلك اتحادات العمال الكبيرة(٨) . وبالنظر الى النازيين ، فإن دافيد شوينباوم يلاحظ بأن « العمال الحقيقيين ... كانوا بمثل ندرة الموظفين الحكوميين واولئك ذوي التعليم العالي »(٩) . ونفس التعميمات من الممكن ان تطبق على مختلف انواع الفاشية ، وفي الخمسينات على البوجادية في فرنسا والمكارثية في الولايات المتحدة(١٠) ؛ وعلى ذلك ، فإن نصير الحركات اليمينية في المجتمعات الصناعية غالباً ما يكون مؤمناً في العمل الحر ومُثل الليبرالية الكلاسيكية وكذلك ، في نفس الوقت ، متخوفاً من تآكل هذه المُثُل من قِبل ممارسات الحكومة ذات الصلاحيات الواسعة ومؤسسات الاعمال الكبيرة وكذلك مؤسسات العمل الكبيرة . هذه الصورة من الصعب ان تصف العامل النموذجي ، ولكن من الصحيح ان العمال في روما وبرلين او في شيكاغو واوكلاند ، من الممكن ان يكونوا قد عُبئوا وحُشدوا بيسر من قبل الجماعات اليمينية للإعتراض على التهديد بعدم استقرار أعمالهم أو التغير الاجتماعي ، وخاصة عندما يبدو أن التهديد قادم من عدو اجنبي أو من اقلية راديكالية في المجتمع. ولكن اذا كان العمال قابلين للإستجابة للنداءات والدعوات الثورية لأجل تغيير اجتماعي أساسي ، فإنه من النادر أن تأتي هذه النداءات من زعماء ثوريين يعملون على اليمين .

---

(7); Woolf, 1969, p. 112.
(8) Libset, 1970, p. 235.
(9) Schoenbaum, 1967, p. 21.
(10) Libset, 1963, Chap. 4; Linz, 1968, p. 16.

وفي الحقيقة ، فإن الطبقة العاملة الصناعية كانت بارزة اكثر في الحركات الثورية اليسارية ، والبورجوازية . هذه المفارقة الظاهرة في انتفاضة بروليتارية في سبيل اهداف برجوازية تشير الى تعقد المصالح التي تدفع الزعماء والانصار الثوريين . اذ انه وبكل بساطة من الخطأ الافتراض بأن الزعماء والانصار يحملون نفس وجهات النظر، والمواقف ، والمعتقدات فقط لأنهم مؤقتاً حلفاء في الانقضاض على معاقل السلطة . فالتمزق المتكرر للتحالف الثوري بعد الفوز بالسلطة يوضح الاختلاف في الحوافز او البواعث العاملة في العملية الثورية . كما انه يؤيد الكلمات التي قيلت الى منظم ثوري جزائري في فيلم جيلو بونتيكورف.

معركة مدينة الجزائر :

هل البدء بثورة شيء صعب . والحفاظ عليها شيء حتى اصعب والفوز بها شيء مستحيل . ولكن متى ما فزت ، فإن متاعبك الحقيقية تبدأ . ويؤكد هذه النقطة سلسلة الحوادث التي اعقبت استقلال الجزائر عام ١٩٦١ .

ويبدو أن الاختلاف في الباعث بين الانصار والزعماء انما يميز بشكل خاص الحركات الثورية اليمينية . ففي حالة الاشتراكية الوطنية الالمانية ، بدات القيادة باتجاه مديني ـ صناعي ، الا ان الدعم الكبير الذي تلقاه النازيون من الناخبين الريفيين ذوي المصالح المختلفة اجبر القيادة على تعديل برنامجها . وذلك بالوعد بتأجيل او الغاء مديونية الفلاحين[١١] . والبيانات الرسمية للزعماء اليمينيين المتطرفين في الولايات المتحدة في الخمسينات والستينات كانت ايضاً ذات علاقة ضعيفة مع طبيعة الدعوة الاساسية لليمين المتطرف : معادات الشيوعية والجذرية المسيحية للزعماء كانت أقل من أسمى المحافظين الجمهوريين التقليديين على دعم الحزب الظاهر لنمو دولة الرفاهية[١٢] .

الا أن انـصار الحركات الثوريـة ذات الاتجـاه اليساري ايضاً اقـل اتجاهاً من زعمائهم في التفكير بالتخلي عن المبادىء المتعلقة بالأخلاق ، النظام الاجتماعي ، والتنظيم السياسي . ففي دراسة لأربع وعشرين حركة حرب عصابات بين ١٩٤٦ وأوائل الستينات وجد ان اسباب الانخراط في المعركة كانت غالباً لأسباب ذات طبيعة شخصية وموضعية . اما الاسباب الايديولوجية والسياسية فيبدو انها كانت ذات اثر على نسبة قليلة فقط ، والوعود الدعائية كذلك يبدو انها ذات اثر ضعيف . فعندما يصبح السفير عضواً في الحركة ، فإن التزامه الثوري من الممكن ان يعزز بالتعليم العقائدي والايديولوجية ، الا ان الاسباب التي تجعله يبقى في الحركة غالباً ما تكون متعلقة بالإخلاص للجماعة الصغيرة المنبثق عن نشاطه في حرب العصابات[١٣] .

(11) Converse, 1964, pp. 252-54.
(12) Wolfinger et al., 1964.
(13) Molnar, 1965, p. 5 and Chap. 3.

وبينما يتحدث الزعيم الثوري عن الحرية والعدالة للجميع ، فإن السفير الثوري غالباً ما يفكر وفق معايير الأمن والبحبوحة المادية لنفسه(١٤) . بطبيعة الحال ان هذه المثل ليست متناقضة او محصورة مقصورة على فئة معينة او انها فقط انما تعكس مستويات مختلفة من التجريد المفاهيمي . فحرية وعدالة اكبر بالنسبة للعامل تعني امناً في العمل واجراً اعلى، وبالنسبة للفلاح ، قدر من الأرض كاف لتغذية عائلته ، ونهاية لاضطهاد أرباب الأرض ومقرضي المال [المرابين] ، وبالنسبة لصاحب الحانوت ، عوض عادل لبضائعه وخدماته وحماية من اتحادات العمل والمؤسسات الضخمة .

ان المسألة الحاسمة بالنسبة لأي حركة ثورية انما تكون في الدرجة التي يُستطاع فيها جمع هذه المصالح وغيرها سوية في تحالف ثوري واحد ضد لا عدالة واضطهاد الحالة القائمة .

التحالفات المتداخلة

مهما كانت البواعث ، والخصائص ، أو العلاقات بين الزعماء والأنصار ، فإن هنالك قاسماً مشتركاً واحداً واضحاً بين كل الحركات الثورية الناجحة ، سواء كانت من اليسار ، الوسط ، أو اليمين . إن الحركات الثورية لا تنجح حيث يكون العمال فقط معبئين ، أو الفلاحين فقط ، أو الطبقات الوسطى فقط . إنها تنجح فقط حين يكون جمهور حاسم من معظم أو كل الطبقات الأساسية في المجتمع معبأ في العملية الثورية . إن مزبلة التاريخ مليئة بالزعماء والأنصار الثوريين الذين فكروا وفق المصالح الضيقة فقط للفئات الخاصة التي يمثلون .

في عام ١٨٥٠ ، يكتب فريدريك انجلز بأن الانتفاضة الفلاحية الألمانية لعام ١٥٢٥ فشلت لأنها كانت انتفاضة بحتة للفلاحين الألمان . وحركة الاصلاح البروتستانتية ، وربما الحركة الثورية الأساسية لفترة ما قبل العصور الحديثة ، نجحت بالضبط في تلك المناطق من أوروبا حيث اتحدت طبقة الفلاحين مع الطبقات الاجتماعية العليا على أساس العداء المشترك للبابوية(١٥) .

والكثير من نفس القضايا والصراعات المؤسساتية التي أثارت الثوار الفرنسيين في ١٧٨٩ رُفعت خلال الفروند ، وهي سلسلة من الانتفاضات الثورية في فرنسا بين عامي ١٦٤٨ و ١٦٥٣ وأول حركة ثورية علمانية كبيرة في فترة ما بعد العصور الوسطى . فطبقة النبلاء الفرنسية والبرجوازية والحرفيين المدينيين كانوا متحالفين في بادىء الأمر في سبيل كبح جماح السلطة الملكية . الا أن الأساس الحاسم للتغيير الثوري ، الفلاحين

---

(14) Gurr, 1970, p. 148.
(15) Engels, 1971.

الفرنسيين ، كانوا غير معبئين في العملية الثورية ، اذ انهم عوضاً عن ذلك كانوا مرتعبين من عصابات السلب والنهب المؤيدة والمقادة من طبقة النبلاء . وفي البرلمانات المحلية ، قامت البرجوازية ، المعبرة عن مصالحها بالمطالبة بملكية مركزية ، بسحب دعمها للنبلاء المتمردين . فقيام طبقة النبلاء بجمع المؤن عن طريق القوة من المدينة والريف وكذلك محاولتها استجلاب دعم أعداء فرنسا (عائلة هايسبورج في اسبانيا) ، كل ذلك أدى الى تغريب البرجوازية والفلاحين . إن نكسات الفروند (والانتفاضة الفلاحية الألمانية) أوحت بأنه لا النبلاء ولا الفلاحين بأنفسهم شكلوا جمهوراً حاسماً لثورة ناجحة(١٦) .

وعلى العكس من ذلك ، فإن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ كانت جديرة بالاهتمام نتيجة التحالف الفعلي فيها بين طبقة النبلاء ، طبقة الفلاحين ، طبقات الحرفيين المدينيين ، والبورجوازية التي نمت بشكل أكبر وأقوى منذ الفروند قبل أكثر من قرن مضى . فالفلاحون الفرنسيون كانوا في انتفاضة بغض النظر عن الحوادث في باريس . والخصومة بين النبلاء والبورجوازية لم تظهر على السطح الا بعد انتهاء الحوادث الأولية في الثورة ، حيث ، وكما حصل سابقاً ، تدخلت الطبقات الباريسية الدنيا عند نقاط تبدل حاسمة في سبيل مواصلة العملية الثورية . حتى قسس القرى لعبوا دوراً ثورياً وذلك بالتعبير عن مصالحهم من خلال دعم الطبقة الثالثة (١٧) . وفي دراسة للوضع الاجتماعي - الاقتصادي للقتلى والجرحى خلال الحوادث الثورية في باريس في عامي ١٧٨٩ و ١٨٣٠ وجد انهم يمثلون تداخلاً لمختلف قطاعات السكان : ١٩ في المائة كانوا عمالاً وخدماً من الطبقات الاجتماعية الأدنى ، ٦ في المائة كانوا من أصحاب المهن الحرة ، ٤ في المائة من أصحاب الحوانيت ، و ٦٥ في المائة كانوا من أصحاب الحرف المهرة . انه لمن الواضح أنها لم تكن انتفاضة للسواد واليائسين أو للمنبوذين(١٨) .

يفسر تروتسكي نكسات ثورة بوجاكيف عام ١٧٧٤ والانتفاضة الديسمبرية عام ١٨٢٥ على اساس قاعدتهما الطبقية الاجتماعية الضيقة . فالطبقة الفلاحية المؤيدة لبوجاكيف كانت لا تتمتع بأي تأييد مديني ، وذلك جزئياً بسبب الضعف الشديد للبورجوازية والبروليتاريا أو عدم وجودهما كلية . وايضاً كان الضباط والنبلاء التقدميون في الانتفاضة ضد القيصر يفتقدون الى بورجوازية يستطيعون التحالف معها ، وقد هُزموا بشكل حاسم نتيجة خوفهم من اثارة الطبقة الفلاحية(١٩) .

وكذلك يمكن ارجاع ضعف الحركات الراديكالية والثورية في انجلترا والمانيا وفرنسا

---

(16) Palmer, 1956, pp. 156-59.

(17) Palmer, 1956, p. 349; Brinton, 1965, pp. 56-57; Moore, 1966, pp. 75 and 480.

(18) Pinckney, 1964.

هذه النسب تنطبق على جماهير ثورة ١٨٣٠ الباريسية ، إلا ان بنكني يلاحظ ان « تركيب جماهير ١٨٣٠ كان مشابهاً إلى حد كبير لتركيب جماهير ثورة ١٧٨٩ » .

(19) Trotsky, 1957, Vol. 1, p. 8 .

خلال القرن التاسع عشر الى غياب التحالفات المتداخلة بين الطبقات الاجتماعية الأساسية . فالطبقة العاملة الانجليزية نفسها كانت مجزأة ومفتقرة للدعم من الطبقات الوسطى الأكثر ليبرالية . اذ أنه بدون دعم الطبقة الوسطى والقدرة على اختراق النظام عن طريق التأثير عليه ، فإن الحركة الشارتية للطبقة العاملة الانجليزية كان محتوماً عليها أن تصبح تعبيراً عن مُثل نبيلة اكثر من كونها تحدياً فعالاً للنظام السياسي القائم(٢٠) . وفي المانيا خلال ثورة ١٨٤٨ ، كانت الطبقة العاملة متزعمة من ثوريين يكنون الاحتقار للبرجوازية بينما كانت البرجوازية خائفة من الأهداف الاشتراكية للطبقة العاملة ، وعلى ذلك كانت جمعية فرانكفورت التشريعية مجالاً لتلاعب السلطة الأمبراطورية والجيش البروسي(٢١) . وبدون أي دعم من الفلاحين الفرنسيين ، مع الأخذ في الاعتبار أن البرجوازية الفرنسية والكنيسة كانتا مغتربتين كنتيجة لبرامج الطبقة العاملة في كومونة باريس (اذار ـ أيار ١٨٧١) ، فإن الكومونة كانت هدفاً ثابتاً لقوى الثورة المضادة(٢٢) .

ويعتبر تاريخ الحركات القومية ضد الحكم العثماني في البلقان منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر سجلاً للاخفاق . فالانتفاضات الدائمة للفلاحين الساعين الى اصلاح زراعي ونهاية للالتزامات الاقطاعية كانت مُعارضة من الطبقات الاجتماعية العليا . والزعامة القومية المُعارضة للحكم العثماني كانت في أيدي الطبقات العليا الراغبة في الاحتفاظ بامتيازاتها الاقطاعية . وبعد أن منح العثمانيون الفلاحين حقوق الملكية وحقوقاً قانونية على وجه الخصوص ، فإن القوميين من الطبقة العليا فقدوا الأساس الذي من خلاله يستطيعون مخاطبة ودعوة الفلاحين ، وعلى ذلك كانوا عبارة عن خاسرين دائمين في صراعهم ضد السيطرة العثمانية . وبذلك فإن استقلال البلقان كان عليه أن ينتظر حتى تفسخ الأمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى(٢٣) . أما الثورة الأمريكية فإنها والى حدٍ بعيد قصة السياسات البريطانية والتي بغير قصد أدت الى خلق تحالفات متداخلة بين مختلف الطبقات الاجتماعية في المستعمرات . فقانون الطوابع ، وقانون الدخل ، ورسوم التاونشند ، وبشكل خاص قانون كويبك (الذي اعتُبر من سكان المستعمرات كعائق للتوسع غرباً) كل هذه الأمور ساعدت على تصعيد المشاعر المعادية للبريطانيين بين التجار ، والمغامرين ، والصحفيين ، ورجال الأعمال ، والمحامين ، والأكليروس ، والشغيلة ، والمضاربين الأثرياء في الأرض ، والمزارعين المستقلين ، واخيراً سكان المدن الساحلية ومناطق الغابات النائية(٢٤) . وقد كانت الغالبية العظمى من الطبقات المدينية مؤيدة للثورة ، وكذلك كان جزءٌ مهماً من الطبقات الثرية مالكة الأرض مؤيداً للثورة أيضاً وخاصة في ڤرجينيا حيث كان تأثير التاج البريطاني ضعيفاً . ويحدد ج . فرانكلين

(20) Birnie, 1962, p. 127.
(21) Palmer, 1956, pp. 486-89.
(22) Hunter, 1940, pp. 73-74.
(23) Fischer-Galati, 1963.
(24) Palmer, 1956, pp. 324-26; Brinton, 1965, p. 99.

جايمسون الفئات الأكثر بروزاً من أنصار الثوري (المحافظين) - والذين يشكلون أقلية في مجتمع مُستعمر - وفق التالي :

أصحاب مناصب معينون من قبل التاج ، تجار يتعاملون بشكل أساسي مع بريطانيا العظمى ، ملاك الأراضي الأكثر ثراءً في نيويورك وبنسلفانيا ، اكليروس الكنيسة الانجليزية ، أعضاء الكنيسة الاسقفية البروتستانتية (وخاصة في الشمال) ، اغنى الأطباء وأبرز المحامين ، مهاجرون حديثاً من انجلترا واسكتلندا والقسم الأكبر من الأقلية الصغيرة ولكن المتعلمة . بينما « نبعت قوة الحزب الثوري بشكل أكبر من عامة الناس ، كشيء مختلف عن الارستقراطية [المُستعمرة] » وكانت الحركة المطالبة بالانفصال عن بريطانيا العظمى مؤسسة على قاعدة عريضة من مختلف الطبقات الاجتماعية المتداخلة في المستعمرات[٢٥] .

هذه النقطة ذات أهمية كبيرة في دراسة الثورة لدرجة انها تستحق توثيقاً اكثر ، لا سيما في سياق الحركات الثورية الأكثر حداثة . ولن يخفق القارئ في ملاحظة أننا نواصل فحص الفرضيات بالرجوع الى كل من الحركات الثورية التي أخفقت وتلك التي نجحت . بذلك فقط نستطيع التقليل من عدم اليقين المحيط بشكل ثابت بأي فرضية حول الثورة .

التحالفات المتداخلة في حركات القرن العشرين الثورية

كما في حالة الفروند ، فإن القضايا الأساسية التي كانت ستطرح في عام ١٩١٧ في روسيا كانت أيضاً مطروحة في ثورة فاشلة سابقة ، الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ . ففي مراحلها الأولية ، قامت ثورة ١٩٠٥ بتعبئة الفلاحين الجائعين للأرض والذين كانوا الحلفاء الفعليين de Facto للطبقة العاملة التي كانت تسعى الى أجور أعلى وساعات عمل أقل ، وكذلك الجنود والبحارة المتمردين ، وأيضاً الليبراليين وذوي المهن المدينيين الذين كانوا يسعون الى اصلاح دستوري . الا أن وعود القيصر بحريات مدنية وبرلمان منتخب (الدوما) فاز بدعم البرجوازية ، والتي كانت على خوف من الثورة البروليتارية . وفي أعقاب معاهدة السلام المهزوزة مع اليابان ، قامت وحدات الجيش المخلصة للقيصر والعائدة من الشرق الأقصى بسحق فصائل الثورة المشتتة[٢٦] .

الا ان إدارة القيصر السيئة لدور روسيا في الحرب العالمية الأولى وكذلك آثار الحرب المدمرة على كل قطاعات المجتمع الروسي خلقت وضعاً متفجراً اكثر بكثير من الوضع السابق . وبحلول عام ١٩١٦ ، كان التقدميون من النبلاء والبورجوازية الليبرالية معزولين نتيجة عجز النظام حيث واصل القيصر (الذي لم يكن واضحاً فيما يتعلق بتحقيق وعوده

---

(25) Jameson, 1956 PP.13- 18.
(26) Palmer, 1956, pp. 714-17; Trotsky, 1957, Vol. 1, p. 12-13.

لعام ١٩٠٥) التعبير عن ازدرائه للنبلاء والبورجوازية في الدوما . فخطبهم كانت خاضعة لمقص الرقيب ،وعداؤهم للأمبراطورة ذات الأصل الألماني وللبطانة الفاسدة من الوزراء كل ذلك ساعد على تعزيز ميولهم للسير مع (ان لم يكن الدعم) الأكثر تطرفاً من الثوار .

وكما في حالة الثورة الفرنسية ، كان الفلاحون الروس يقومون بحرق القصور والاستيلاء على الأرض بدون أي تشجيع من المدن . ولم يعد الجيش ، خاصة أولئك الجنود الذين هجروا الخنادق ، سنداً للقيصر كما كان الحال في ١٩٠٥ . ولا بيروقراطية الدولة كانت كذلك . فالعمال كانوا افضل تنظيماً عنهم في ١٩٠٥ ، كما أن اضراباتهم ومظاهراتهم في المراكز الصناعية الرئيسية اثبتت بأنها الدافع الأول لعجلة ثورة شباط . وقد كانت المسألة فقط في تحديد من كان معارضاً للثورة : « الأكثر محافظة من المحافظين ـ القليل من ضباط الجيش ، القليل من أفراد البلاط والطبقة النبيلة القديمة »(٢٧) .

لم يكن صدفة أن الحرب العالمية الأولى أشعلت الثورات في كل البلدان المهزومة . وقد اضاف نصر البلاشفة في تشرين ثاني وقوداً أكثر الى النيران التي أضرمها الفلاحون والعمال في النمسا والمجر والمانيا في أوائل ١٩١٨ . غير أن القوات العسكرية للقوى المركزية بقيت سليمة ، فالعمال كانوا منقسمين على أنفسهم ، والاضرابات الصناعية العامة التي حدثت كانت غير منسقة مع النشاط الثوري للفلاحين . كل ما صنعوا أنهم زادوا من حدة الانقسامات في صفوف الطبقة العاملة وارهبوا البورجوازية . ما يلفت الانظار في هذه الفئة هو الاتجاه المحافظ لمعظم الفلاحين في أوروبا .

في روسيا فقط اثبت الفلاحون أنهم فصيل متماسك يعمل في سبيل التغيير الثوري(٢٨) . وبمثل ما كانت الحركات الثورية الناجحة للطبقة العاملة تعتمد على دعم البرجوازية والفلاحين فإن الحركات الثورية الناجحة ذات الاتجاه اليميني كانت تعتمد على دعم الطبقة العاملة . إن دعم طبقة اجتماعية لأخرى ، من ناحية أخرى ، من الممكن أن يكون ضمنياً أكثر من كونه صراحةً ، أو انه من الممكن أن تنجح الثورة عن طريق تحييد معظم الطبقات الاجتماعية اللاثورية . وقد كانت الحركات الفاشية الناجحة قادرة على تحييد وتعبئة قطاعات هامة من الجماهير غير مصنفة على أنها طبقة وسطى ـ دنيا (القاعدة النموذجية لقوة الفاشيين) . في الحقيقة ، أن الهدف الدقيق للحركات الوطنية والعنصرية اليمينية هو تجنيد أنصار من مختلف طبقات المجتمع .

يقدر روبرت هونتر ، على سبيل المثال ، أن حوالي ٤٠ في المائة من الفاشيين الايطاليين كانوا مجندين من حركة اتحادات العمال في ايطاليا ، اذ انه وقبل « المسيرة الفاشية الى روما » في تشرين أول ١٩٢٢ ، استطاعت خطب موسوليني والبيان الفاشي أن تحيّد الجيش وموظفي الدولة، وذلك عن طريق مناشدة كبريائهم القومية وتعزيز شكوكهم في

---

(27) Brinton, 1965, p. 100. Also see trotsky, 1957 Vol. 1 p. 27; Wolf 1969, p. 300; Palmer, 1956, pp. 721;22.

(28) Borkenau, 1962, pp. 91 - 95 .

« تلك الطبقة من السياسيين البلهاء والمعتوهين الذين ، وخلال أربع سنوات ، لم يعرفوا كيف يعطون حكومة الى الأمة »[٢٩] . وقد لاقت عروض موسوليني على « البورجوازية المنتجة » استجابة ايجابية أيضاً من بعض اكبر الصناعيين في ايطاليا ، بما في ذلك أولئك العاملين في صناعة السيارات والاطارات ، وفي السلاح والذخيرة ، وفي الكهرباء ، وفي الحديد والصلب ، وفي المجمعات الهندسية، وكذلك من مدراء مؤسسات تجارية وصناعية أخرى في الشمال الصناعي. وقد لاقت تأكيداته لـ « الطبقات العاملة، جماهير الحقول والمصانع » ، صدىً رناناً بين ملاك الاراضي والفلاحين والعمال ، وكل أولئك الذين كانوا مؤيدين للكنسية ، والمتخوفين من اليسار ، ورفضوا تسوية فرساي للسلام واحتقروا المؤسسات البرلمانية الواهية في ايطاليا .

من الممكن تطبيق هذه التعميمات على الاشتراكية الوطنية الألمانية ، التي بالمثل استطاعت تعبئة الدعم لها من كل القطاعات الأساسية في المجتمع الألماني بما في ذلك الارستقراطيين أرباب الأراضي، الفلاحين ، رجال الاعمال ، العمال ، رجال الدولة ، والنخب العسكرية . الا أن الائتلاف الفاشي عادةً ما ينفصم في أعقاب هزيمة عسكرية . كما أن نهايته تُميز أيضاً من خلال ارتداد البرجوازية ، والكنيسة والجيش ، وقد ثبت ذلك بشكل حاسم في عام ١٩٥٥ بالنسبة للبيرونية في الأرجنتين . وبهذا المعنى فإن دراسة الحركات الثورية من الممكن أن تعامل على أساس أنها فرع من « نظرية الجماعات » Group Theory وتفهم على أساس المعايير السياسية لإقامة الائتلافات وصيانتها .

قد يبدو أن القضية في حالة الثورات ذات القاعدة الفلاحية انما هي مدى التعبئة الفلاحية وقوة الحركة العسكرية . الا أن ذلك بدوره يعتمد على التحالفات المتداخلة بين مختلف فئات الفلاحين . فعلى سبيل المثال ، لم تقم حركة حرب العصابات الملاوية الفاشلة بحشد الدعم لها من سواد الطبقات الاجتماعية المدينية أو الفئات العديدة للفلاحين الملاويين وذلك بعد عام ١٩٤٨ ـ وذلك باستثناء بعض الرُحل في مناطق الغابات النائية والفلاحين الفقراء من أصول اثنية صينية . ونتيجة لذلك فإن الشيوعيين الملاويين كانوا نسبياً « فريسة سهلة لقوات الأمن » المدارة من حكومة قوية بموظفين بريطانيين »[٣٠] .

وبالمثل وقبل الثلاثينات ، عجزت الشيوعية الصينية عن تحقيق أهدافها في التعبئة وذلك بأتباع المذهب الماركسي الأرثوذوكسي [التقليدي] وتوجيهات الكومنترن . فالتركيز المبكر على بروليتاريا المدن ، الى حد استبعاد دعم البرجوازية أو الفلاحين ، عزز فقط لا حصانة الحزب تجاه الوطنيين وتشيانج كاي ـ شيك . وبإحراز ماو لزعامة الحزب تعزز الاتجاه نحو الفلاحين مما عنى زيادة مهمة في امكانية الحزب الثورية . الا أن الخط المبدئي كان قائماً على أساس اصلاح زراعي جذري ، بما في ذلك مصادرة الأرض وتنظيم

---

(29) Quoted in Hunter, 1940, pp. 241-44.
(30) Molnar, 1965, p. 102.

تعاونيات فلاحية ، مما هدد كل من الفئات العليا والوسطى من الفلاحين . الا أن تشديد ماو على « كسب كل الحلفاء المحتملين » كان يتضمن نداءً الى « الفئات الوسطى الجديدة من الفلاحين » : فبعض الأراضي الواسعة أعيد توزيعها في المناطق التي يسيطر عليها الشيوعيون ، ومعدلات الربا خُفضت ، وضريبة تصاعدية على الأرض أُسست ، ومع ذلك فإن أراضي الأغنى من الفلاحين تُركت دون أن تُمس . ونتيجة لذلك فإن الدعم الناشىء والنابع من مختلف القطاعات الاجتماعية للفلاحين الصينيين مكن الشيوعيين من تعزيز وضعهم السياسي في القرى . وعلى عتبة النصر في عام ١٩٤٩ ، كان الحزب الشيوعي الصيني ممثلاً الى حد بعيد للشعب الصيني : فثمانون في المائة من أعضاء الحزب كانوا من أصول فلاحية ، ومن هؤلاء كان ثلاثة الأرباع تقريباً فلاحين فقراء وربع واحد من الفئة المتوسطة للفلاحين الصينيين[٣١] .

أما المقاومة الفيتنامية للاستعمار الغربي فقد نمت مستهل التدخل الفرنسي في الهند الصينية بعد ١٨٥٠ . وقد حدثت الانتفاضات الرئيسية في شمال فيتنام بين ١٨٨٥ و ١٨٩٦ ، ومرة أخرى في ١٩٠٦ . الا أن هذه الحركات كانت أساساً قائمة على قواعد طبقية عليا وفي المدن ، وقد يُفسر قمعها من قبل الفرنسيين الاشتراك المتدني للفلاحين الفيتناميين فيها. وفي عام ١٩٢٧ تأسس الحزب الوطني الفيتنامي بأعضاء من الطبقات الوسطى في المدن ، وخاصة الفيتناميين العاملين في الادارة الاستعمارية ، الا أنه أيضاً أخفق في احراز أي تقدم ضد السيطرة الفرنسية . وفي انتفاضة ١٩٢٩ ، برز الحزب الشيوعي الفيتنامي والذي ميز نفسه عن بقية التنظيمات الوطنية بالسعي نحو كسب دعم الفلاحين والعمال . وقد كان نجاح الشيوعيين في بناء حركة ثورية ذات قاعدة جماهيرية ظاهرة للعيان في أعقاب هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ومحاولة فرنسا تدعيم سيطرتها على الهند الصينية . وقد كان جنود جيش فيتمنة من العمال والفلاحين ، بينما كان الصف الأدنى من القادة أو « كوادر الارتباط » من الطبقات الوسطى ـ الدنيا وموظفي الادارة الاستعمارية في المناطق المدينية والريفية . وقد كانت معظم « كوادر الارتباط » ذات تعليم وخبرة ، ذات اتجاه غربي ، وكذلك كان معظم كوادر فيتمنة العليا الذين كانوا أساساً من المثقفين وأبناء البرجوازية[٣٢] . من الممكن أن يعزى نصر الفيتمنة على الفرنسيين في عام ١٩٥٤ الى العديد من العوامل ، الا أنها كلها في نهاية المطاف تؤدي الى نتيجة واحدة ، قدرة الشيوعيين على بناء قاعدة عريضة من الدعم بين مختلف طبقات فيتنام الاجتماعية ، خاصة في مجتمع الشمال الأقدم ذي البنى الثابتة .

وكولومبيا في عام ١٩٥٧ تزودنا بمثال آخر حول الدور الذي يلعبه الطلاب « كمفجرين » في وضعية متفجرة . الا أن عداء الطلاب للسياسة اللاليبرالية يجب أن يكون

---

(31) Mao Tse-tung, 1970, p. 417; Huntington, 1968, p. 295; Wolf, 1969, pp. 148-51.
(32) Wolf, 1969, pp. 180 - 85 .

مشتركاً مع قطاعات أخرى من السكان ، والا فإن عنفهم الفعلي أو التهديدي انما يؤدي فقط الى تقوية الدعم للنظام القائم . على أية حال ، كانت الانتخابات المدبرة من قبل الدكتاتور روجلس بينيلا وبكل بساطة الشرارة التي أشعلت مظاهرات الطلاب الصاخبة التي فضحت فساد النظام وعجزه . وبدورها ، أدت مظاهرات الطلاب الى اضراب عام كان الهدف منه منع اعادة الانتخاب الشكلي لروجاس رئيساً . وخلق الدعم اللاحق للطلاب والاضرابات من الكنيسة والجيش « القدر الحاسم » من المعارضة الذي أطاح بالنظام[٣٣] .

واحدة من الشواذ المثيرة للفضول في الثورة الكوبية هي اصرار منظريها (بما في ذلك ريجي دوبريه ، تشي غيفارا ، وآخرون) على الدور الحاسم للفلاحين والبؤرة الثورية . الا أن الدور الرئيسي لكاسترو وجيشه (الذي لم يتجاوز تعداده اطلاقاً الفين من الرجال) هو فيما يبدو نقطة البؤرة في العداء لباتيستا الذي استطاع أن يخترق ويتغلغل بشكل متزايد قطاعات أعرض من المجتمع الكوبي . فقد وجد المثقفون المدينيون والطلاب الراديكاليون والريفيون من السكان الأصليين Campesinos في حركة كاسترو وسيلة للتعبير عن معارضتهم للنظام . غير أن التحالف الثوري الحاسم انشىء بعد أن أثبتت استمرارية الحركة ضعف الائتلاف المؤيد لباتيستا حيث قامت القطاعات الأكثر تنظيماً في الطبقة العمالية بتأييد كاسترو وذلك في المراحل الأخيرة من الثورة . غير أنه في الحقيقة كانت الطبقات الوسطى في المدن ، بما في ذلك قطاع الأعمال وأصحاب المهن ، هي المصدر الهام للمال والمؤن وذلك استجابة لأهداف كاسترو المعلنة في حل الصعوبات الاقتصادية التي كانت ملازمة لنظام باتيستا . وقد ازداد تأييد كاسترو من التراتبية الكاثوليكية والطبقات الوسطى في المدن ، حتى تأييد ضمني من الطبقات العليا الكوبية ، وذلك بعد لجوء باتيستا الى الارهاب في عام ١٩٥٨ . وقبل سقوط حكومة باتيستا في كانون ثاني من عام ١٩٥٩ ، كانت المشاعر المؤيدة لكاسترو قد انتشرت في نوادي الليونز والروتاري ، وفي الجمعيات الطبية والقانونية ، وفي نوادي الطبقة الوسطى الرياضية والتي كانت كلها قد أصبحت مسيّسة . إن الفضل عائد بشكل جزئي الى سحب الدعم الأميركي لباتيستا ، والى تخبطات واضطهاد حكومته ، وكذلك الى غموض نوايا كاسترو ، في قدرة التحالف الصميم بين المثقفين والطلاب وجزء يسير من الفلاحين الكوبين على حشد الدعم من كل القطاعات الأساسية للمجتمع الكوبي[٣٤] .

وعلى العكس من ذلك ، كانت الحركة المضادة لكاسترو في عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ تتميز بضعف قاعدتها الطبقية الاجتماعية : تقريباً الطبقة الوسطى الكوبية على سبيل الحصر ، مع كبار ملاك الأراضي المطرودين من حكومة كاسترو والمشكلين مصدر قوة الحركة . وقد بين كاسترو بأن حوالي ٨٠٠ شخص من أفراد الثورة المضادة الألف الذين

(33) Huntington, 1968, p. 213.

(34) Beals, 1970, p. 246; Leiden and Schmitt, 1968, pp. 188-90; Mills, 1960, pp. 43-46.

يشدد ليرينا Lierena, 1978 على الدور الحاسم للطبقة الوسطى الكوبية في دعم ثورة كاسترو .

أسروا بعد فشل غزو خليج الخنازير كانوا من عائلات ثرية ، والكثير من الآخرين كانوا جنوداً سابقين في جيش باتيستا . وبنفس الطريقة الى حدٍ بعيد ، اختتم مصير ديكتاتورية سموزا في نيكارغوا عام ١٩٧٩ عندما وجدت عائلة سموزا نفسها قادرة فقط على الاعتماد على دعم اغنى .عائلات نيكارغوا وأعلى أصحاب الرتب من ضباط الجيش .

وقد اشتمل التحالف المضاد لسموزا في خاتمة المطاف على ماركسيين ورجال أعمال ، وأصحاب حوانيت وعمال ، ومصرفيين وفلاحين ، وربات منازل ومهنيين ، هنود واكليروس ، وباشتراك الممثلين الأنشط لهذه الجماعات في المظاهرات ، ومقاطعةالانتخابات ، والاضرابات العامة استطاعت نيكارغوا التخلص من العائلة التي كانت تحكمها منذ عام ١٩٣٣[٣٥] .

القدر الحاسم

ما ذُكر سابقاً يجب أن يساعد على توضيح لماذا تفشل أكثر الحركات الثورية ، ولماذا يغرق معظم الزعماء والانصار الثوريين في بحر من العداء واللامبالاة حتى وهم يدعون أنهم يركبون موجة الثورة . إن اهتياجاً لرجال العاصفة (ويثرمين) في شوارع شيكاغو (كما حدث في ١٩٦٩) قد يوحي ببداية واهنة في العملية الثورية ، ولكن الى أن تستطيع مثل هذه الجهود أن تحشد دعم اعداد ضخمة من المواطنين من كل قطاعات المجتمع الأساسية فإنها لا تعدو أن تكون مبعثاً للسرور الذاتي لفئة قليلة أكثر من كونها تعبئة ثورية للفئة الكثيرة .

ولكن ماذا نعني حين نقول « أعداد ضخمة » ، « نسبة مهمة » ، « جزء كبير » ؟ كيف نستطيع أن نحدد ما الذي يشكل « القدر الحاسم » وذلك خلال عمليات الانشطار والانصهار في الثورة ؟ لقد استخدمت هذه الملصقات الوصفية الغامضة في الأقسام السابقة مع وعي ذاتي بالغموض الذي تمثل . حقيقة أن نجاح أو فشل الحركات الثورية التي ذكرت سابقاً يبدو وكأنه يعتمد بشكل أساسي على مدى التحالفات المتداخلة بين جل أو كل طبقات المجتمع السائدة والتي تستطيع الحركة خلقها . ولكن حتى الحركات الثورية الناجحة مقامة على نسبة ضئيلة من المجموع العام للسكان . فالثورة تتضمن اقليات تقاتل اقليات . واذا كان للثوار ميزة على الموالين العاديين ، فإنها من المحتمل أن تكون التزامهم الأكبر والأحدّ بالقضية[٣٦] . ونستطيع أن نضيف هنا بأن ذلك صحيح خاصة في المجتمعات المُستعمَرة ، حيث تعتبر الحكومة القائمة من قبل المواطنين ذات درجة منخفضة من الشرعية . ولكن سواء كان القدر الأكبر من المجتمع لامبالياً أو محايداً أو مؤيداً للثورة فإن الحركة وأسفارها

---

(35) See Kenner and Petras, 1969, p. 83, on the sociological composition of the anti - Castro movement and Bowdler, 1981, on cross - cutting alliances in Nicaragua in 1978 - 1979 .

(36) Gurr, 1970, p. 276.

فئة قليلة يكون التزامها الشديد بالثورة موردها الأكثر قيمة . فالثورة الجزائرية استهلت عام ١٩٥٤ بما لا يزيد عن ٥٠٠ رجل ، ٣٠٠ منهم كانوا في جبال الأوراس ببنادق أقل من الخمسين ، وبحلول عام ١٩٥٦ ، قدرت السلطات الفرنسية قدرات الثورة بـ ٨٥٠٠ مقاتل و ٢١٠٠٠ احتياطي . غير أن الفرنسيين لم يكونوا قادرين على كبح جماح انشطة الثوار حتى استطاع الجيش الفرنسي في الجزائر حشد ٤٥٠٠٠٠ جندي . وقد أدى ذلك الى اجبار الثورة على الانتقال الى المناطق المدنية في الجزائر ، حي القصبة في مدينة الجزائر بشكل رئيسي حيث قام ثمانون الفاً من السكان بتزويد جيش التحرير الوطني الثائر بأربعة آلاف مجند[٣٧] وبنهاية عام ١٩٥٧ كانت هذه القوة قد احتويت أيضاً، ولكن ما حدد نهاية الاستعمار الفرنسي في الشمال الأفريقي كان التفاعل السياسي للعمل العسكري وانعكاسه في فرنسا . ونجاح الثورة الكوبية يبدو أيضاً وكأنه بعيد الى حد كبير من السيطرة المباشرة لكاسترو وانصاره . فبعض المصادر قدرت الحجم الأقصى لجيش كاسترو حتى بأقل من الألفي جندي المذكورين سابقاً .وبينما مؤيدوه في المدن كانوا أيضاً يعدون بالآلاف ، الا أنهم لم يكونوا منظمين ولم يكن هنالك شيء يقال عنه مشاركة جماهيرية في الثورة وذلك حتى أصبحت نهايتها الناجحة نتيجة محتمة[٣٨] .

وقد كانت التقديرات خلال معظم مراحل الثورة الأمريكية أن ثلث السكان البالغ عددهم مليونين ونصف المليون كانوا محايدين ، وثلث آخر كان مناصراً للبريطانيين ، وفقط الثلث الباقي كان مؤيداً للقضية الوطنية[٣٩] . فمن حوالي سبعمائة الف رجل قادرين على حمل السلاح (١٨ الى ٦٠) كانت قوة الجيش القاري مقدرة بحوالي تسعين الفاً . غير انه وللجزء الأكبر من الصدام العسكري الذي اتسع نطاقه خلال سبع سنوات فإن الجيش القاري استطاع أن يجند فقط حوالي شخص واحد لكل ستة عشر شخصاً من القادرين على حمل السلاح[٤٠] .

وبمائة الف عضو في عام ١٩٢٠ ، كان الفاشيون الايطاليون يضمون ٢,٥ عضواً لكل الف من السكان . وقد ازدادت هذه النسبة الى ١١,٩ في عام ١٩٢٢ عندما توصل الفاشيون الى السلطة . أما بالنسبة للنازيين الألمان فقد كانت النسبة ١,٦ في ١٩٢٨ ، ٥,٨ في ١٩٣٠ ، ١٢,٢ في ١٩٣١ ، ومثل احراز السلطة في عام ١٩٣٣ ، كان عدد أعضاء الحزب ١,٤ مليون أو ما يعادل ٤ و٢١ لكل الف من السكان[٤١] .

وبالنسبة للحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي ، فإن ما يقارب ١٢٠٠٠ شخص فقط كانوا نشطين بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠٥[٤٢] . وقبيل ثورة شباط عام ١٩١٧ ، كان عدد

(37) Wolf, 1969, pp. 236-39.
(38) Leiden and Schmitt, 1968, p. 190.
(39) Deutsch, 1964, p. 105.
(40) Jameson, 1956, p. 48.
(41) Linz, 1968, Table following p. 109.
(42) Lane, 1969.

البلاشفة لا يتجاوز ثلاثين الف عضو في كل روسيا[٤٣] . وقد كان عدد سكان بتروغراد مليونين ، ستمائة الف منهم من العمال . وقد كانت بداية احداث ثورة شباط عبارة عن اضرابات ومظاهرات قام بها تسعون الفاً من العمال ، الكثير منهم لم يكن عاقد النية على الثورة . وفي اليوم الثالث للإضرابات، قدرت الحكومة عدد المتظاهرين بمائتين واربعين الفاً او ١٢ في المائة من مجمل سكان بتروغراد . وقد عبر تروتسكي عن ذلك بالقول بأن هذا العدد يشكل ١١٪ من مجمل النشطين من السكان«ونقطة التحول في العملية الثورية في شباط ١٩١٧»[٤٤] . اما ثورة تشرين اول في بتروغراد فقد نُفذت بما لا يتجاوز ٢٥٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ ثائر مسلح ، بينما كان عدد القوات في بتروغراد وحولها (والتي كان معظمها ن المحايدين او مؤيدي البلاشفة) حوالي ٢٠٠٠٠٠[٤٥] .

وفي دراسة للنسبة المئوية للمشاركين في سبعة تمردات بين ١٩٤٠ و ١٩٦٢ ، يتبين ايضاً الرقم الضئيل جداً من مجمل السكان المشاركين في الثورة . فمع الأخذ في الاعتبار كل من قوات المتمردين والحكومة ، كان المتوسط عبارة عن سبعة في المائة ، وذلك بمدى يتراوح ما بين ٠,٧ في المائة فيالفيليبين الى ١١,٢ في المائة في اليونان[٤٦] . ولا يبدو ان هنالك علاقة بين نجاح او فشل هذه الحركات واي من المتغيرات المُستطاع استخراجها من المعلومات . وعلى ذلك فإنه من الواضح اننا وحين نتحدث عن التعبئة لثورة عمالية او فلاحية او عن طريق الطبقات الوسطى ، فإننا انما نتحدث عن اقلية ضئيلة من النشطين سياسياً ضمن كل من هذه المجموعات . وحتى بين المجموعة الاكثر ثورية من الطلاب يجب ان نكون حذرين من التعميمات المضللة.فمن بين المائة وستون ألف طالب في باريس خلال احداث ايار ـ حزيران ١٩٦٨ ، فقط ما لا يتجاوز الأربعين الفاً شاركوا في المظاهرات . ومن الستمائة الف طالب في كل فرنسا ، فقط حوالي ١٠ في المائة لعبوا دوراً فعالاً في حركة كانت تشكل تهديداً جدياً للدولة الديغولية[٤٧] . وفي دراسات ميدانية لوجهات النظر في الولايات المتحدة والعديد من البلدان الأوروبية في اواخر الستينات يتضح ايضاً ان اليسار الطلابي المتطرف يتكون من اقل من ١٠ في المائة من مجمل عدد الطلاب في كل بلد[٤٨] .

---

(43) Neumann, 1949, and Lane, 1971, p. 515.

(44) Trotsky 1957, Vol. 1, pp. 102-110.

(45) Trotsky, 1957, Vol. 3, pp. 190, 227, 246, and 294.

كان عدد البلاشفة حسب ادعاء المؤتمر السادس للحزب في آب (اغسطس) ١٩١٧ يعادل ٢٠٠,٠٠٠ (اي ٠,١٢ في المائة من مجمل سكان روسيا) .

(46) Molnar, 1965, Tabl 1, p. 74.

(47) Ellul, 1970, p. 496.

كانت قوة الأحداث في فرنسا سنة ١٩٦٨ اكبر منها في الولايات المتحدة وذلك لأن الطلاب الفرنسيين كانوا اقدر على احداث تحالف متداخل مع العمال الفرنسيين .

= (48) Lipset, 1970, p. 261.

القضية اذاً لأية حركة ثورية هي الدرجة التي تستطيع فيها الاقلية الفعالة لطبقة اجتماعية معينة التحالف مع الاقليات الفعالة للطبقات الاجتماعية الأخرى . ان نسبة اي طبقة اجتماعية معينة ومدى التحالفات المتداخلة ذات الأثر على الثورة الناجحة ستعتمد بدورها على قوة النظام المُهاجم ، وجاذبية الايديولوجية الثورية ، والخصائص النوعية للتنظيم ، والأساليب المستخدمة ، والعديد من الخصائص الأخرى للحركات الثورية والمُناقشة في الفصول التالية . ولكن يجب ان يكون من الواضح عند هذه النقطة من دراستنا انه وبمثلما ان الحكومة في مجتمع مستقر هي شأن الأقلية فكذلك الثورة .

للفحص

بعض الافتراضات

١ ـ الاغنياء جداً والفقراء جداً هم الأقل ميلاً الى الثورة .

٢ ـ يأتي الدعم للحركات الثورية اليسارية غالباً من طبقات المجتمع الدنيا بصفة أساسية (بما في ذلك الفلاحين والعمال) .

٣ ـ دعم الحركات الثورية البرجوازية غالباً ما يكون من طبقات المجتمع الوسطى بصفة اساسية .

٤ ـ تكون الطبقات الوسطى ـ الدنيا القاعدة الاساسية للحركات الثورية اليمينية .

بعض الفرضيات

تزداد فرص الاستيلاء على السلطة كلما كانت الحركة الثورية :

١ ـ قادرة على حشد قدر حاسم من الأنصار من معظم او كل طبقات المجتمع (تحالفات متداخلة) .

٢ ـ قادرة على إيجاد طرقٍ لتركيز مختلف مصالح وبواعث الزعماء والانصار على الأهداف الثورية (انظر الفصل التالي) .

= في بحث ميداني لمؤسسة هاريز Harris وذلك في آذار (مارس) سنة ١٩٧٠ ، وجد ان تسعة في المائة من مجمل سكان الولايات المتحدة يعتبرون انفسهم « ثوريين » . وقد كان الطلاب والسود اكثر الفئات الاجتماعية تمثيلاً في هذه النتائج مما يؤكد القاعدة الطبقية الاجتماعية الضيقة للمشاعر الثورية في الولايات المتحدة .

الفصـــل السادس

الايـديـولوجـيـة

الـوظـائـف

لا بد وان القارىء اليقظ قد ادرك الآن الوظيفة الاساسية للأيديولوجية الثورية . ليسير نحو التحالفات المتداخلة بين الأقليات الفعالة لطبقات المجتمع الرئيسية . فكلما كانت الجماهير الفعلية او المحتملة التي تمثلها الحركة اقل تجانساً كلما كان التحدي الذي يواجه الحركة في تكوين ايديولوجية تمنح شيء ما للجميع ـ او تقريباً الجميع ـ أكبر. ولعل الايديولوجية الشيوعية هي المعتقد الأكثر تماسكاً والأكثر تحديداً في تاريخ الثورة . الا ان النظرية البعيدة المدى والتي تدعم المذهب الشيوعي تعمل بشكل كبير كنظام للرموز والإشارات في العلاقات ما بين عناصر النخبة وذلك بتدعيم الالتزام الثوري للهيداركية العليا للحركة او بالتعبير عن صراعاتها الحزبية بعبارات غير عبارات الشخصية والسلطة .

الا انه وبالنسبة لغالبية الانصار والقسم الاعظم من المجتمع ، فإن المبادىء البعيدة المدى للحتمية التاريخية والصراع الطبقي لم يُركز عليها او كانت تتجاهل تماماً من قبل الايديولوجيين والدعاة الشيوعيين. عوضاً عن ذلك ، كان التركيز على المشكلات العامة ذات الصلة بعموم المجتمع . وذلك مثل الاستقلال القومي ، والشكاوي المحددة للمؤيديين .

ان شعار لينين « الأرض ، السلام ، والخبز » كان دعوة بارعة لدعم الثورة من الفلاحين المضطهدين ، والجنود الذين سئموا الحرب ، والعمال الجائعين وعائلاتهم . كما ان شعار « كل السلطة للسوفيت » حـذر الانتبـاه الى ضعف وتردد الحكومة المؤقتة ، وفي نفس الوقت تجنب ذكر البلاشفة على انهم القوة المسيطرة في مجالس السوفيت المنظمة من الفلاحين والجنود والعمال الثوريين .

وبالإستفادة من خبرة الشيوعيين الصينيين ، فإن الشيوعيين الفيتناميين تجنبوا ايضاً موضوع الصراع الطبقي من أجل الدعوة الوطنية بالصراع ضد العدو المشترك ـ الاحتلال العسكري الياباني ومن ثم الإستعمار الفرنسي ـ .

فخلال حرب الهند الصينية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) تجنب الفيت منه القضايا والسياسات

التي من شأنها تقسيم المجتمع الفيتنامي إلى طبقات وذلك في المناطق التي يسيطرون عليها ، وانتظروا الى ما بعد احراز السلطة وذلك قبـل محاولة اصلاح زراعي جذري .

في الحقيقة ، ان الايديولوجية المستندة على الهوية او الذات القومية هي الوسيلة الرمزية الأكثر فعالية في تعبئة الدعم الثوري . فالقومية او الوطنية هي وحدها القادرة على اختراق كافة طبقات المجتمع . فهي القادرة على توحيد الشباب والشيوخ ، الذكر والأنثى ، الفلاح ومالك الأرض ، الصناعي والعامل ، رجل الاعمال والمثقف ، المتدينين وغير المؤمنين ، الغني والفقير ، واخيراً سكان القرى وسكان المدن .

فعلى سبيل المثال ، كانت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية مهددة بشكل دائم بالخلافات الداخلية كلما طرحت قضايا متعلقة بالمشكلات العامة حول تنظيم الجزائر سياسياً واجتماعياً في المستقبل . فقط الصراع ضد الاستعمار هو ما منح الحركة التماسك الذي كانت تتمتع به . كما ان ثوار ١٩١١ الصينيين كانوا منقسمين حول كل القضايا المتعلقة بالاصلاح الاجتماعي ـ الاقتصادي والسياسي . وما وحّدهم كان « تذمرهم الغاضب ... بأن وضع الصين العالمي كان مهيناً ... »[1] وفي حالة ثورة كاسترو في كوبا ، فإن العداء القديم المتأصل للتدخل الاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة ـ والذي بدأ في اعقاب الحرب الاسبانية ـ الامريكية ـ اعطى دعوة كاسترو تركيزاً معيناً ما كانت لتتمتع به بالافتقار على دعوته الليبرالية والأخلاقية فقط .

وحيث لا تكون الوطنية قضية مطروحة في التعبئة الثورية ، كما في حالة حركات اليسار المتطرف في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، فإن الحركات مقضي عليها بالإقتصار على قاعدة طبقية ضيقة وبالتالي الأهمية السياسية . وماركس نفسه من الممكن ان يقدر اعتماد الحركات ذات الاساس الطبقي على المشاعر القومية في سبيل القوة الثورية . (كذلك فإنه من الممكن ان يشدد على خصوصية القومية بالنسبة لمراحل معينة من التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي) .

وبمثلما ان الالتزام التنظيمي والسلطة الكارزمية مهمتان لتماسك التنظيم الثوري ، فكذلك الايديولوجية ذات اهمية بالنسبة للتماسك الثقافي والرمزي للزعماء والانصار الثوريين . فكل رجل وامرأة في الحركة يجب ان يكون قادراً على التمـاس تلك الطروحات والرموز التي تعبر عن حاجاته وطموحاته . وكذلك فإنه من الصحيح ان اثر الايديولوجية الثورية انما يكون في كونها « مجموعة من الجمل افكاراً غير محددة ، ورموزاً » وليس في كونها نظاماً متماسكاً من المعتقدات يتغلغل في الوعي الجماعي للثورة[2] .

كما انه من الصحيح ايضاً انه إذا كان هنالك ايديولوجيات متنافسة فإنه لا وجود للتماسك في الحركة الثورية . ففي فرنسا عام ١٩٦٨ ، كان العمال منقسمين حول مدى

---

(1) Gaster, 1969, pp. XXIV - XXV.
(2) Gurr, 1970, p. 195; and Sanders, 1970.

تلازم او ترافق المكاسب الاقتصادية مع الاصلاح البيئوي لعملية الانتاج،بينما كان الطلاب الراديكاليون والسياسيون المعادون للديغولية يتنافسون مع بعضهم البعض تحت عناوين الشيوعية ، الاشتراكية ، الفوضوية ، الماوية ، التروتسكية ، السارترية الجديدة ، المرحلية ، وحتى تحت عناوين فرعية لنظم المعتقدات والعمل هذه[٣] . بهذا المعنى فإن الكثير من الايديولوجية يقوض تماسك الحركة . والتنظيم الثوري عادة ما يكون متماسكاً بشكل افضل اذا كان ذا نظام مرن من البرامج ذات التوجه نحو معالجة القضايا مغلف او مكسو بدعوة الى المصلحة القومية .

ان هذا المزج للعديد من التوجهات والرموز مع القومية المتعصبة يعتبر بشكل خاص احد خصائص الفاشية . فقد كان موسوليني يتحدث عن النمو الاقتصادي ، الانضباط الشخصي ، انهاء عدم الاستقرار السياسي والاضطراب الاجتماعي (والتي كان معظمها نتيجة العنف الفاشي !) ، وبشكل خاص تحقيق المجد القومي . الا انه كان بادياً ان موسوليني نفسه كان جذلاً « بالبؤس الثقافي الرائع » لحركته[٤] : « الفعل ! الانجازات ! هذه هي الأمور التي تهم . دعوا النظرية للمخربشين »[٥] . قد تكون الايديولوجية بشكل كبير متهافتة ، الا ان النزعة القومية المتعصبة والسلطة الكارزمية تستطيع ان تعطيها مظهر الوحدة المنطقية ، والتي بدورها تستطيع تثبيت تماسك الحركة .

وبالامكان تفسير التماسك الأكبر والروح القتالية للإشتراكية الوطنية الالمانية جزئياً بنفس هذه الخصائص الايديولوجية ، مغلفة بقشرة خارجية براقة من معاداة السامية . ومع وجود ستمائة الف يهودي في المانيا فقط فإن تركيز هتلر على مسؤولية اليهود عن كل الشرور الأجنبية والمحلية لم يهدد القاعدة الجماهيرية لحركته ، على العكس من ذلك ، فقد زاد من قوتها واعطاها مظهر الوحدة الايديولوجية ، خاصة عندما سعى النازيون الى تجنيد انصار من تلك الطبقات الاجتماعية الواقعة في مستوى اعلى من مستوى الطبقة الدنيا التي تمثل قاعدتهم الاصلية . ففي دراسته عام ١٩٣٤ للبواعث على الانضمام للنازيين ، وجد تيودور آبل ان ٢٥ في المائة فقط من العمال الاعضاء اعتبروا ان معاداة السامية هي السبب الرئيسي لمساندتهم للنازيين . اذ انه كلما علا الوضع الاجتماعي لعضو الحزب ، كلما زاد تركيزه على معاداة السامية : « فـ ٦٠ في المائة من الطبقات المهنية ذكرتها كسبب رئيسي للإنضمام للحزب » . ولكن « الجميع كانوا مسيّرين بالقومية المتعصبة »[٦] .

وكذلك فإن القومية اضفت التماسك ايضاً على التحالفات الطبقية المتداخلة المعبئة من قبل حركات الوسط واليسار الثورية . ففي الانتفاضة على النخب الاوليجاركية في تركيا

(3) R. Johnson, 1972, Chap. 4.
(4) Halperin, 1964, p. 4.
(5) Quoted in Berger and Neuhaus, 1970, p. 207
(6) Woolf, 1960, p. 112; and Smelser, 1963, Chap. 8.

ومصر ، اكد كل من كمال وعبد الناصر اولاً على الوحدة الوطنية والسلطة . بدل تعزيز السلطة فقط اتجها نحو اصلاحات اجتماعية عميقة لو طرحت في وقت سابق لأضعفت بشكل خطير قاعدة السلطة(٧) .

وعندما يكون تنظيم الحركة الثورية ضعيفاً وانصارها اقل اتباعاً للأوامر المباشرة بشكل خاص ، فإن الايديولوجية القومية تستطيع تقديم القوة المؤثرة التي تمنح الحركة الاستمرارية الذاتية . وقد اوضح ت . ي . لورنس هذه النقطة من خلال حديثه عن الانتفاضة العربية ضد الحكم التركي بين ١٩١٦ و ١٩١٨ . فكما كان واضحاً من التفسخ المضطرد للتحالف العربي بعد الهزيمة التركية ، فإن ايديولوجية مهيمنة ليست بديلاً عن القوة التنظيمية، وبذلك فإن العرب في عام ١٩١٨ استبدلوا سيداً استعمارياً بسيد آخر(٨).

إذا كانت الايديولوجية القومية ذات وظيفة اساسية للتعبئة الثورية ، حتى لو كان التنظيم ضعيفاً ، فإنه من الصحيح ايضاً ان الايديولوجية الضعيفة عائق لا يقهر الى حد بعيد لنجاح الثورة . ففي المكسيك بعد ١٩١٥ ، تلاشت حركة زاباتيستا لحرب العصابات وذلك بعد ان قام رجال جيش زاباتا بضمان وتأمين قطع الأرض التي كانت الدافع وراء نشاطهم الثوري . الا ان الجيش اخفق في بسط منطقة عملياته وراء المنطقة المحيطة بمورلوس كما ان زاباتا نفسه كان بادياً انه ليس لديه الادراك لكيفية الافادة من المشاعر المعادية للأمريكيين وذلك في سبيل تجميع جهود مقاتليه مع انشطة اولئك الذين في الشمال ومع العمال والمثقفين في المدن(٩) .

غير انه مما لا شك فيه ان الشيوعيين في جنوب فيتنام قد ادركوا بشكل جيد كيف يحولون المشاعر القومية ، للفيتناميين من العداء للفرنسيين الى العداء للأمريكيين . وحينما استطاعت الحركات الثورية الجمع بين قضيتي معاداة الاستعمار والاصلاح الزراعي ، اثبتت انها قوة لا تهزم الى حد بعيد . وانتصار الشيوعية الصينية في المناطق الخاضعة للإحتلال الياباني يؤكد هذه النقطة . ومن ناحية اخرى ، فإن الضعف النسبي للشيوعية في الهند يعكس اخفاق الشيوعيين الإفادة من قضيتي معاداة الاستعمار والاصلاح الزراعي ، تلك القضايا التي كانت مدركة باكراً من غاندي ونهرو .

في الوقت نفسه ، يجب ان نسترجع النتائج التي توصلنا اليها حول البواعث المختلفة لانضمام كل من الانصار والزعماء الثوريين والتلميحات والتفسيرات المختلفة التي يستنبطها الثوريون من نفس الدعوات الايديولوجية . فمن المشاركين في ثورة ١٨٣٠ في

---

(7) Leiden and Schmitt, 1968, Chaps, 8 and 9.

(8) Lawrence, 1962, Chap. 33.

يلاحظ لورنس في صفحة ١٩٩ ان حوالي اثنين في المائة من العرب شاركوا في الثورة ضد الحكم التركي فيما تؤكد النتائج التي توصلنا إليها في الفصل السابق حول اقلية المشاركين الفعليين في الثورة ـ حتى وان كانت الجماهير الواسعة متعاطفة معها .

(9) Wolf, 1969, p. 32.

باريس والذين قوبلوا ، وجد ان حوالي النصف ذكر شكاوي شخصية ضد الدولة ، بما في ذلك الفصل من الجيش او البحرية او تقاعد مبكر من الخدمة العامة ، وذلك كسبب اساسي لتمردهم[١٠] . وفي دراسة عام ١٩٦٥ لأكثر من ١٣٠٠ منشق عن الـفيتكونـغ في جنوب فيتنام تبين ان لا احد تقريباً فسر انشقاقه بناءً على عوامل ايديولوجية ، الأكثرية من المنشقين عزت انشقاقها الى النقص في المواد الغذائية والطبية[١١] . وفي دراسة ميدانية للطلاب المشاركين في انتفاضة ١٩٦٨ الفرنسية وجد ان معظم الطلاب كانوا مثارين من الطبيعة القمعية للدولة الديغولية والجامعة بشكل اقل من اثارتهم حول تصوراتهم حول البطالة بعد التخرج[١٢] . وحتى لو كان هنالك قاعدة واضحة للدعوة القومية ، فإن الالتزام بالانتفاضة المسلحة قد تشتعل بناءً على الظروف الشخصية الآنية فقط : فالأطراف الرئيسية في المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية ـ الفلاحون ، العمال ، والطلاب ـ كانوا معبئين بصورة رئيسية نتيجة ادخال الالمان العمل الاجباري للفرنسيين في المصانع الالمانية وليس نتيجة الدعوات المبتكرة لقلة من المثقفين والقادة العسكريين للتحرر الوطني من قوى القمع الاجنبية[١٣] .

وكما في حالة دور الزعماء الثوريين ، فإن وظائف الايديولوجية تكون في تعزيز الظروف الموصلة للتحالفات المتداخلة والتعبئة الثورية اكثر من خلقها لهذه الظروف .

الشرعية

ان وظيفة الايديولوجية الثورية ايضاً تكون في اعطاء الحركة صفة الشرعية وذلك بصياغة وسائلها وغاياتها وفق القيم الاساسية المقبولة من انصارها وربما من الانسانية جمعاء . وعلى ذلك ، فإن الايديولوجية غالباً ما تكون متطورة بشكل افضل ومتسعة اكثر كلما كان الفصام المنشود مع النظام القائم ومعايير المجتمع المتعارف عليها أكثر تطرفاً . ان التبرير الايديولوجي للثورة يكون مهماً بشكل اخص عندما يكون العنف اسلوباً رئيساً ملازماً ومتبنى من الحركة . وعلى ذلك فإن هنالك علاقة دائمة بين ايديولوجيات الحركات الثورية وبين التبريرات الميتافيزيقية للنشاط الثوري . فالبيوريتانيون في انجلترا وزعماء الاصلاح البروتستانتي نظروا الى الأمور وفق مفاهيم الانتخاب الإلّهي للسلطة والمكانة الاجتماعية . والليبراليون الثوريون في الثورتين الامريكية والفرنسية برروا تصرفاتهم وفق مفاهيم القانون الطبيعي والحقوق غير القابلة للتحول او التنازل الملازمة للوجود الانساني . والإشتراكيون والشيوعيون اعتمدوا على افكار العقد الاجتماعي وحق العمل في القيمة الكاملة لنتاجه ، والتي هي أفكار ليبرالية سابقة ، وكذلك كانوا يسعون لتبرير الثورة وفق مفهوم الديالكتيك التاريخي للتقدم البروليتاري .

---

(10) Pinkney, 1964, p. 13.
(11) Molnar, 1965, p. 85.
(12) Boudon, 1971, pp. 140 - 142 .
(13) Pickles, 1947, pp. 64-66.

ولكن وكما في حالة الصراعات الدينية ، فإن الانقسامات الايديولوجية في المجتمع لا تنتهي الا بجهد عظيم وخلال فترة طويلة من الوقت(١٤) . فالخلافات حول توزيع السلطة السياسية ، وحقوق التعيين ، والثروة المخصصة للرفاه العام امور قابلة اكثر للمساومة والتسوية . الا ان وضع تظلمات او شكاوي معينة في صيغة مبادىء عامة يجعل حل الخلافات بين الجماعات الاجتماعية اكثر صعوبة . فعندما تكون القيم الاساسية على المحك فإن حدة الصراع تكون اشد وامدها اطول . فالرقابة الملكية في فرنسا ما قبل الثورة كانت تتطلب ليبراليين للتحدث وفق مفاهيم المعايير العامة والحقوق المطلقة ، وهؤلاء [اي الليبراليون] وضعوا مطالب عامة كانت الاساس لانقسامات ايديولوجية وسياسية دامت في فرنسا الى هذا اليوم(١٥) .

في نفس الوقت ، فإن افتراض الحق المطلق المتأصل في الايديولوجيات الثورية يساعد على اعطاء صفة اليقين لأنشطة الثوار . فالثورة ليست لأولئك الممتلئين بالشك الذاتي والريبة في الأخلاق العامة . ان الثوريين يرون العالم في قالب أسود أو أبيض ، ويفترضون في حلفائهم التصرف وفق بواعث مثالية عالية كما أن أعداءهم إنما يمثلون صورة المنفعة الذاتية والانتهازية(١٦) . إن يقين الثوار في شرعية تصرفاتهم يساعد على الهامهم التفاؤل في المستقبل والتضحية في الذات في الحاضر . إن الامتحان الأول للثوري انما يكون في استعداده للموت في سبيل قضيته ، استعداد يحافظ على الحيوية والصحة المفترضة لمذهبه(١٧) .

هذا يساعد على تفسير ضعف معظم الحركات الثورية المضادة ، التي تكون بواعثها مستندة على المُثل المجردة بشكل أقل من استنادها على الرغبة في استعادة مزايا فترة سابقة . وهذا التعميم يبدو أنه قابل للتطبيق بشكل متساو على الحركات الثورية المضادة في فرنسا بعد ١٧٨٩ وفي روسيا بعد ١٩١٧ ، وفي كوبا بعد ١٩٥٩ ، وكذلك بالنسبة للصينيين الوطنيين الراسين بلا أمل على جزر الصين البعيدة وفي تايوان .

غير أن وظيفة الايديولوجية الثورية لا تقتصر على اضفاء صفة الشرعية على العمل الثوري فقط . ان المقصود منها أيضاً اضعاف أو ازالة الشرعية المدعاة من النظام القائم . فالنظام نفسه يدعي الشرعية وفق مفاهيم ما دعاه جيتانو موسكا بـ « الصفة السياسية » للطبقة الحاكمة . هذه الصيغة السياسية تبرر وجود وأعمال الحكومة بالاستناد على قيم أساسية ـ كأن تكون السلطة مستمدة من الله (الحق الالهي) ، والقانون الطبيعي وما يبدو أنه توزيع غير متساوي للفعالية والموهبة (وكذلك الملكية والثروة) ، أو مفاهيم القبول ، والتمثيل ، وحكم الأغلبية . ان الايديولوجية الثورية تتصدى للصيغة السياسية على أساس

---

(14) Berelson and Steiner, 1964, p. 621.

(١٥) لتفسير دي توكوفيل حول آثار الرقابة على الفكر الثوري الفرنسي ، انظر Richter, 1966, p. 98.

(16) Davies, 1963, p. 349; Parsons, 1964, p. 66.

(17) Berger and Neuhaus, 1970, p. 204.

أنها وبكل بساطة خاطئة ، أو أنها صحيحة ولكنها غير متسقة مع الاداء الفعلي للنظام . إن شرور ولا عدالة المجتمع الحالي مرتبطة بالنخبة السياسية ، والنظام الدستوري ، وكذلك بنية المجتمع نفسها . وتفترض ايديولوجية الحركة الثورية أن الأخطاء يمكن أن تصحح وذلك بنقل السلطة من نخبة معينة الى نخبة أخرى . وبشكل خاص ، عندما تقوم الصيغة السياسية بدفع فرضية فعالية المواطن في عمل الحكومة الى الأمام ، فإن الايديولوجية الثورية تحاول البرهنة على أن مثل هذه الفعالية ما هي الا اسطورة أكثر منها حقيقة وبأن الانتخابات والتمثيل البرلماني ما هما الا وسائل ماكرة للاضطهاد والاستغلال(١٨) .

الاستمرارية

تعزز الايديولوجية الثورية شرعيتها وتهدد شرعية النظام القائم كلما كانت قادرة على ادعاء الاستمرارية مع القيم والأهداف الأساسية للمجتمع . حتى الايديولوجيات الثورية اليسارية كثيراً ما ترجع الى تراث الأقدمين وتقدم الحجج بأن الثورة ما هي الا الوسيلة الضرورية لتحقيق الذات الأساسية الثقافية للمجتمع وغاياته التاريخية . إن الأخذ من التراث يكون انتقائياً بشكل ثابت الا أنه يمكن الحركة الثورية من خطر انفصام جذري في المستقبل .

فقد كان بمقدور الشيوعية الصينية الادعاء وبحق كونها استمرارية للانتفاضات الشعبية السابقة في الصين ، بما في ذلك انتفاضة التايبنغ لفترة ١٨٥٠ الى ١٨٦٥ وثورة صن يات سين عام ١٩١١ . وكل واحدة من هذه الحركات بدورها تستطيع ادعاء الاستمرارية والتواصل مع التطلعات القديمة العهد لقطاعات مهمة من المجتمع الصيني . فكلا صن وماو ناديا بتوزيع أكثر مساواة للدخل والأرض ، وانهاء الفقر والاستغلال الاقتصادي ، والتركيز على الأمة بدلاً من العائلة أو العشيرة ، وتعريف للحرية وفق مفهوم المسؤولية الجماعية . كما أن الشيوعيين الصينيين وثوار التايبنغ قاموا بتعبئة دعم شعبي من الفئات الاجتماعية نفسها وفي مناطق جنوب الصين نفسها ، وكلا الفريقين كان يسعى الى انهاء الامتيازات الموروثة ، والقضاء على الفروق الاجتماعية بين الطبقة العليا ، والعسكر ، وطبقة الفلاحين ، والمساواة بين الجنسين ، وتحريم تقييد الأرجل والبغاء والزواج المدبر بين الأبناء والبنات بغية منافع مالية ومصالح اجتماعية ، وفي الختام الغاء الملكية الخاصة للأرض .

في الحقيقة ، أن الأخلاق الجماعية للشيوعية مقامة بشكل نموذجي على تراث جماعي طويل العهد في المجتمع نفسه ، على الأقل حيث كانت الحركة الشيوعية المحلية

---

(18) Almond and Verba, 1965, Chap. 6 and pp. 344-54.

من خلال بحث ميداني في المكسيك ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، بريطانيا العظمى، الولايات المتحدة ، وجد الكاتبان علاقة وطيدة بين الحكومة الديموقراطية المستقرة وإيمان المواطنين في قدرتهم على التاثير على سياسات الحكومة .

قوية ولم تكن مفروضة على المجتمع من قبل قوة عسكرية خارجية . ففي روسيا وأجزاء من يوغسلافيا كان الفلاحون معتادين منذ القدم على التنظيمات القروية الجماعية ، وفي روسيا كان التراث الجماعي منتشراً حتى بين أرستوقراطية الأرض. وشدد الشيوعيون الڤيتناميون على استعمال الكلمة الڤيتنامية Xa كمقابل لـكلمة « اشتراكية » ، وبذلك « وضع مستقبل ڤيتنام تحت ضوابط ماضيها وتراث سابق على التراث الفرنسي نفسه »[١٩] وقد قامت Xa ببعث الروح في قيم المسؤولية المشاعية ونظام الطاعة الجماعية المنتمي الى التراث الكونفوشي كما أنها مكنت الشيوعيين من تنظيم دعم لهم في القرى الڤيتنامية على أساس تراث الاسلاف بنفس قدر آمال المستقبل . ويُفسر نجاح كاسترو ، ودعم البرجوازية الكوبية له والحياد المتردد للولايات المتحدة قبل ١٩٦٠ ، جزئياً بتمثيله لتراث هوزيه مارثي ووعده بإعادة الدستور الليبرالي وضمان انتخابات حرة .

كما تشير سلسلة الثورات المضادة في كل من كوبا وڤيتنام الشمالية ، فإن الحركة الثورية الناجحة مهددة طالما أن سياساتها الفعلية تشير الى أنها غير منسقة مع مُثل ووعود سابقة . ان طوباوية الايديولوجية الثورية نفسها تهدد النظام الجديد عندما تسعى الى البحث عن اتجاهات جديدة أو تواجه الواقع القاسي المرافق لتنفيذ التغير الاجتماعي ـ الاقتصادي . وكما يشير مصير العديد من الحركات المعادية للاستعمار الناجحة في العالم الناقص النمو ، فإن ايديولوجية الحركة يمكن أن تقيم أساس هزيمتها . ان درجة الاستقرار السياسي بعد احراز السلطة ، وكذلك فعالية الحركة الثورية نفسها ، مرتبط الى حد بعيد بخصائص التنظيم الثوري ـ موضوعنا في الفصل التالي .

ولكن كما في حالة المكسيك وروسيا ، فإن استمرارية التركيز على المُثل الأساسية القديمة للثورة قادر على بعث روح الالتزام والتضحية ، حتى تحت الظروف نفسها التي أدت الى النشاط الثوري في وقت سابق . ان الانسان فقط هو الحيوان الوحيد الذي يموت من اجل فكرة . وذلك مصدر نبالته وحمقه في الوقت نفسه . ما هومدى النبالة في ذلك وما هو مدى الحماقة ، إن ذلك متروك لأيديولوجيات قادمة للحكم .

للفحص

بعض الافتراضات

١ ـ تعتبر القومية [الوطنية] ومعادة الاستعمار أكثر الايديولوجيات فعاليةً في خلق التحالفات المتداخلة .

٢ ـ من الممكن تفسير ضعف الحركات المعادية للثورة جزئياً بفشلها في تطوير ايديولوجية تتجاوز الوعد بالرجوع الى أوضاع ما قبل الثورة .

---

(19) Paul Mus, as quoted in Wolf, 1969, p. 189.

بعض الفرضيات

١ ـ تزداد فرص الحركة الثورية في النجاح كلما استطاعت تطوير ايديولوجية مقبولة من مختلف قطاعات السكان .

٢ ـ تتغير أهمية الايديولوجية مباشرة مع :

ا . مدى اعتماد الحركة الثورية على العنف ،

ب . الزمن اللازم لحصول الحركة على السلطة ،

جـ . الشرعية السياسية للنظام المُهاجم ،

د . مدى التغير (في المجتمع القائم) الذي تنويه الحركة عند حصولها على السلطة .

الفصل السابع

التنظيم

العفوية

إن الانفجار العفوي للجماهير العازمة على تغيير الظروف المباشرة لحياتها شيء متكرر الحدوث في المراحل الأولى من الحركات الثورية . ولكن بالرغم من تكرارها ، فإننا نعلم القليل جداً عن القوة الأولية التي تدفع فجأة الآلاف أو حتى الملايين الى العمل الجماعي ـ عمل يعري في لحظة تاريخية معينة سطحية القيود المحددة للسلوك في النظام الاجتماعي المستقر وفي الأوقات الأكثر هدوءاً . الواضح هو أن العفوية فقط غير قادرة على إحداث التغير الثوري . اذاً ، فإن دراسة العفوية تساعد على أثبات الدور الأساسي للتنظيم في تحقيق الأهداف الثورية .

حسب التعريف ، فإن غير المنظمين هم الذين يثورون بشكل عفوي . الا أنه ليس من اللغو في شيء القول بأن أولئك الذين يثورون بشكل عفوي انما ينتمون غالباً الى تلك الجماعات أو الفئات الاجتماعية الأقل تنظيماً والتي تملك القليل ، ان كان هنالك شيء أصلاً ، من القنوات المؤسساتية للتعبير عن مطالبها من النظام : السود في الغيتات المدنية Ghettos في الولايات المتحدة ، والعمال غير المنضمين الى اتحادات عمالية وغير الحاصلين على حق الانتحاب، والفلاحون بصفة خاصة. أن أسس الثورة في فرنسا في القرن الثامن عشر وفي الصين وروسيا في القرن العشرين كانت قائمة على الانتفاضة العفوية الضخمة للفلاحين . فهجومهم على البُنى صاحبة الامتياز في مجتمع زراعي كان عبارة عن شد زناد الانتفاضات في المدن وبالتالي وضعُ الأسس لتنظيم ثوري ثابت . ففي روسيا بعد تموز (يوليو) ١٩١٧، زادت حوادث مهاجمة الفلاحين عِزب مالكي الأرض والاستيلاء على أملاكهم مع بداية فرار الجنود البلاشفة من جبهات القتال والعودة الى قراهم. وانهيار الجبهة البلغارية عام ١٩١٨ اعقبه مباشرة انتفاضة عفوية من الفلاحين البلغاريين . ودفع اعلان الحكومة الشيوعية البلغارية عام ١٩٥٣ بانهاء نظام المزارع الجماعية الفلاحين الى تشتيت عفوي للمزارع الجماعية واستخدام الأراضي الزراعية للمنفعة الشخصية . الا أن السوابق لهذه الانتفاضات الفلاحية وغيرها من الممكن أن توجد في القرن التاسع

عشر وذلك في التعبئة العفوية للفلاحين في ايطاليا واسبانيا ، وخلال ثورة التايبنغ في الصين ، وحتى في مرحلة أبكر وذلك خلال الاصلاح البروتستانتي في أوروبا الوسطى .

إن الانتفاضة العفوية شيء لا يمكن التنبؤ به ، واحد مقاييس عدم القدرة على التنبؤ هذا هو فشل دعاة العفوية (بلان ، باكونين ، سوريل ، لوكسمبورغ ، وفي الوقت الحاضر في فرنسا دانييل كوهن - بيندت) في احداث انتفاضات عفوية يعتبرونها شيئاً أساسياً للثورة . فدعوات بلان المتكررة لحرفيي باريس وعمالها للثورة وقعت على آذان صم . ومع ذلك ، فأن هذه الطبقات نفسها ، وبدون عون من زعماء ثوريين أو ايديولوجية ، انتفضت بشكل عفوي للاطاحة بملكية آل بوربون في ١٨٣٠ ، والملكية الأورليانزية في ١٨٤٨ ، ونويس - نابليون في ١٨٧٠ . والطبقات الاجتماعية نفسها بنفس القدر من العفوية هاجمت السلطات الملكية من كوبنهايجن الى باليرمو ومن باريس الى بودابست وذلك في ثورات عام ١٨٤٨[1] .

ظهر أول اضراب عام صناعي عفوي في روسيا عام ١٨٩٨ ، وحدثت اضرابات عامة عفوية للطبقة العاملة الروسية مرة أخرى في عام ١٩٠٥ وفي ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ . ويتبين هذا الطابع العفوي من أن تروتسكي رغم سوء ظنه في النشاط الثوري غير المنتظم - وهذا نموذجي عند ماركس ولينين ، وكل أولئك الداعين أنفسهم ماركسيين - لينينيين - فإنه سلم على امتعاض بأن ثورة شباط كانت والى حد بعيد حدثاً عفوياً[2] . ايضاً قامت اضرابات صناعية عفوية عام ١٩١٨ في النمسا ، المجر ، وفي كل مناطق الرور ، وسيليزيا العليا ، وفي المانيا الوسطى . وكذلك حدثت اضرابات عامة في شنغهاي عام ١٩٢٥ ، وفي ڤيينا عام ١٩٢٧ . وفي أعقاب الفوز الانتخابي للجبهة الشعبية الممثلة لليسار الفرنسي عام ١٩٣٦ ، أشعلت الطبقة العاملة الفرنسية اضراباً عاماً ابتدأ في باريس مكتسحاً الأقاليم عائداً مرة أخرى الى باريس ، معبئاً العمال ، والفلاحين ، والطبقات الحرفية المدنية . أما الاضرابات من نوع الجلوس في المصانع بدون عمل واحتلال العمال للمصانع عفوياً فقد ظهرت لأول مرة بشكل كبير خلال حركة الجبهة الشعبية في فرنسا . هذه التكتيكات نفسها استخدمت مرة أخرى في عام ١٩٦٨ عندما قام عمال صناعة الطائرات الفرنسيون في نانت بالاضراب للتعبير عن شكاوي ومطالب اقتصادية ، الا أنه عندما أخذت حركة الاضراب في الانتشار الى مصانع أخرى في كافة أرجاء فرنسا وانضمت اليها طبقات اجتماعية أخرى ، فإنها اخذت تتسيس واصبح هدفها الاطاحة بالحكومة الديغولية . وفي تشيكوسلوڤاكيا والمانيا الشرقية عام ١٩٥٣ ، وفي هنغاريا عام ١٩٥٦ ، وكذلك في بولندا خلال أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٧٠ ، و ١٩٨٠ ، قام العمال بالاضراب عفوياً احتجاجاً على الأجور المنخفضة وارتفاع الأسعار وللتعبير عن عدائهم للنظام القائم .

---

(1) Palmer, 1956, Chap. 12.
(2) Trotsky, 1957, Vol. III, pp. 172 and 280.

ولكن عندما أصبح العمال أفضل تنظيماً وأحسوا بأنهم ممثلين في الحكومة عن طريق أحزاب الطبقة العاملة ، فإن امكانيتهم للعمل الجماعي العفوي أخذت في النقصان . وعندما يكونون مستنفرين فإن ذلك غالباً ما يكون تبعاً لعمل الطلاب العفوي . ففي باريس عام ١٩٦٨ ، ادى عنف البوليس الذي جذر الطلاب المستمرين في مقاومة السلطة الى جذب العمال الى الصراع ، بالرغم من اعتراضات الحزب الشيوعي الفرنسي واتحاد العمال . وفي هنغاريا عام ١٩٥٦ ، كانت البطولات المبدئية لطلاب بودابست أيضاً هي التي استنفرت النشاط الثوري للعمال ومن ثم الفلاحين . وفي شنغهاي وهونغ كونغ عام ١٩٢٥ ، كان العمال هم البادئين بالعمل الا أن الطلاب وسعوا من مدى الحركة باللجوء الى مظاهرات الشوارع والمبادرة في مقاطعة السلع والخدمات البريطانية . وعندما تكون امكانية المجتمع الثورية متدنية بشكل خاص ، وعندما لا يكون في متناول الطلاب أي مجال مؤسساتي للتعبير عن مصالحهم ، كما في الولايات المتحدة ، فإن العمل الجماعي للطلاب غالباً ما يكون عفوياً : فغزو الولايات المتحدة لكمبوديا في أيار (مايو) عام ١٩٧٠ اشعل فتيل الاضرابات الطلابية في خمسين حرماً جامعياً على الأقل وذلك بدون أي تنسيق على مستوى البلاد كلها وبدون زعماء طلابيين محليين مدركين البعد الكامل للحركة . كما تشير هذه الأمثلة ونتائجنا السابقة حول دوافع الثورة ، فإن العمل العفوي للفلاحين ، والعمال ، أو الطلاب من الممكن أن يكون مستحثاً بالعديد من الأحداث والظروف : بطالة ، تضخم ، هزيمة عسكرية ، انفجار عفوي لطبقة اجتماعية أخرى ، أزمة سياسية ، أو تغير في الحكومة . اذن فإن العمل العفوي للجمهور ليس بالضرورة هادفاً الى تغير ثوري ، ولكنه قد يكون في سبيل التعبير عن شكاوي آنية فقط[٣] . ويبقى للزعماء الثوريين والايديولوجية والأحداث المتتالية اعطاء الحركة هدفاً أشمل واتجاهاً ثورياً .

كقاعدة ، فإن الانفجارات العفوية تبدأ عندما يكون اهتمام الشعب منصباً على حدث أساسي مرافق لنوع من المواجهة مع السلطة أو عاقباً مباشرة لها . ففي دراسة لسبع وستين مظاهرة ضد العنصرية في الولايات المتحدة وجد أن اثنتين وخمسين منها كانت عقب صدام عنصري[٤] . ان انتشار الاشاعة يتصف بالسرعة وخاصة في محيط مدينة كثيفة السكان ، ووصول الشرطة الى غيتات السود انما يزيد من حدة التوتر الذي من الممكن أن ينفجر عفوياً على شكل عنف جماعي . ففي بودابست في اكتوبر ١٩٥٦ ، جذبت مظاهرة طلابية سلمية تحت رقابة الحكومة حشوداً كبيرة من المتفرجين حيث أدى الحماس المتزايد للمتظاهرين الى صدام مع الشرطة وبالتالي جذب أعداد أكبر من المواطنين وعمال المصانع القريبة الى حركة كانت تأخذ اتجاهاً ثورياً بشكل متزايد[٥] .

إن الطقس ، وخطوط المواصلات ، ووسائل الترفية المتاحة ، ودور الاتصالات

(3) Hobsbawm, 1959 , p. 7 .
(4) Gurr, 1970, p. 197.
(5) Kecskemeti, 1961, Chap. 5.

العامة ، وكذلك فرص الاتصال المباشر وجهاً لوجه ، وكل هذه الأمور من الممكن أن تؤثر على تعبئة الجماهير للعمل الجماعي[٦] . ولكن ما أن يُعبأ الجمهور ، حتى يكون الأساس قد أقيم لسلوك اجتماعي قد يصبح نموذجياً لأغلب المشاركين وذلك في ظرف اجتماعي مختلف . ما يدعوه هربرت بلومير « عملية التفريز » تسهل خلق « مزاج ومشاعر أو دوافع عاطفية عامة » تؤدي الى رفع حدة الوجدان وتقلل أو تبطل أثر الكوابح المعتادة على السلوك الفردي[٧] . فكلما انتقل الجمهور من مواجهة مع السلطة أو رموزها الى مواجهة أخرى ، فإن حساً من التضامن يأخذ في النشوء ويكف المشارك عن النظر الى نفسه على أساس فرد معين في بنية اجتماعية مفككة . فهو يبدأ وبشكل متزايد بمحاكاة افعال الآخرين ويُصبح مقاداً « بالقوة الايحائية » للمشاركة الجماهيرية[٨] . ويصف أحد الكتاب حول ثورة ١٩٥٦ الهنغارية المشاركين الشباب وكأنهم مقادين بنوع من « القوة الدافعة النفسية « حيث يقاتلون وكأنهم » في غشية سرنمية .... فلم يكن من المهم أحيوا أو ماتوا . شيء واحد يدخل في الاعتبار فقط : الحصول على السلاح واستخدامه كلما كان ذلك ممكناً »[٩] .

يقوم الجمهور بالهجوم على رموز السلطة الأكثر وضوحاً : عزبة السيد ، مكتب جمع الضرائب ، أو مراكز التجنيد العسكري . إن الهدف المباشر لسخط الجمهور قد يكون ذو علاقة وظيفية بنشاط الجمهور المتصل : مركزاً للشرطة أو ثكنة عسكرية حيث سلطة النظام واضحة بشكل أكبر وحيث السلاح والذخيرة مخزونة (باستيل باريس) . إن قياس نظامية الجمهور الجماعية وهدفه السياسي إنما يكون عبر رفضه للمشاركة في العنف العشوائي والسلب العام (على عكس أعمال الشغب لسكان الغيتات في الولايات المتحدة) . ففي بودابست ، قام الجمهور بالهجوم على محطة الراديو وذلك في سبيل اذاعة مطالبه ، كما قام بالهجوم على مكاتب جريدة الحزب الشيوعي وأضرم النار في أدبيات الحزب ، وكذلك قام بتمزيق النجمة الحمراء من العلم الهنغاري وكذلك أطاح بتمثال لستالين ، كما انه هاجم مراكز للشرطة وأعدم أعضاء معروفين من الشرطة السرية المكروهة . الا أن أهداف الجمهور كانت ذات طبيعة انتقائية ولم يكن هنالك « سلب ولا تدمير للمتاجر ولا خروج عام على النظامية . كما أن الجماهير لم تبدأ حتى اضطهاداً عشوائياً للشيوعيين . حتى في المدن الصغيرة ، حيث كان أعضاء الحزب واضحين للعيان ، فإن الشيوعيين المحترمين ، تُركوا من غير أذى »[١٠] .

كما تبين هذه الأمثلة ، فإن الجمهور في حالة التمرد العفوي ليس بالكامل مبعثراً بلا دليل أو اتجاه . إن جزءاً مهماً من تاريخ الحركات الثورية ذات القاعدة الجماهيرية هو القصة غير المكتوبة وغير المروية للأفراد الذين كانت لديهم القدرة على رؤية ما يجب أن يعمل

---

(6) Smelser, 1963, pp. 240-41.
(7) Blumer, 1939, p. 234.
(8) Lebon, 1971, p. 164.
(9) Kecskemeti, 1961, p. 113.
(10) Kecskemeti, 1961, p. 112.

والمبادرين الى فعل ذلك . من هم العمال الذين في ثورة ١٩٠٥ الروسية أول من قرر ضرورة التنظيم الذين بادروا الى انتخاب مندوبين الى مجالس سوفييت العمال؟! أو الرجال والنساء في ثورة فبراير عام ١٩١٧ الذين تآخوا مع الجنود وحولوهم بالتالي الى صف الشعب ؟ ففي الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ ، قام مقاتلو الشوارع بتنظيم أنفسهم الى جماعات وأوكلوا الى كل جماعة عملاً عسكرياً معيناً . وبالاستفادة من تجربة مجالس العمال في يوغسلافيا وتجربة البلاشفة مع مجالس السوفييت ، قام العمال في هنغاريا وبولندا عام ١٩٥٦ بانشاء مجالسهم العمالية الخاصة وحتى ، في هنغاريا ، طوروا مجلساً للتنسيق لعموم البلدان . ولكن من كان صاحب المبادرة في هذه المجهودات التنظيمية ؟ وفي باريس ، فيما لا يقل عن ست حالات من النشاط الثوري العفوي بين عامي ١٧٨٩ و ١٩٦٨ ، من كان المسؤول عن تنظيم انشاء متاريس الشوارع ، احتلال المصانع ، نقل الطعام ، البطانيات ، والمواد الطبية ، شبكة المخابرات التي جعلت الجمهور مدركاً لتحركات الشرطة والجيش ؟ نظرية الجماعات ـ الصغيرة تعترف بأنه لا سبيل للتنبؤ بمكان أو تفسير لماذا هؤلاء الأشخاص المركزيون « يتولون مثل هذه الأعمال الأولية »[11] الا أن الدافع الى شكل أولي من التنظيم ، حتى في حالة التمرد « العفوي » ، يوضح استحالة تدمير بنية سائدة معينة بدون اقامة بنية أخرى مكانها .

إن الثورة في هنغاريا عام ١٩٥٦ وفي فرنسا عام ١٩٦٨ قد تكون أفضل تأكيداً على اصرار روزا لوكسمبورغ على القوة الخلاقة للثورة العفوية[12] . فهي ترى أن الزعماء والتنظيمات الثورية متخلفة بشكل حتمي عن الأحداث وينقصها الابداع الملازم للجماهير المعبئة بفعل قوتها الخاصة . وقد كانت مصيبة . الا أن كلتا الثورتين في هنغاريا عام ١٩٥٦ وفرنسا عام ١٩٦٨ أخفقت ، وذلك مثل العديد من الثورات التي افتقرت الى وسائل لتنسيق الحركة الثورية فيما بعد انفجارها الثوري الأول . فالجماهير بنفسها وحتى بالتحالف الذي تفرضه الأحداث بين الفلاحين المستولين على الأرض ، والعمال المحتلين للمصانع ، والطلاب في الشوارع غير قادرة على تحقيق التغير الثوري . فالعفوية قد تدل على القوة الكامنة للمشاعر الثورية ، الا أن التنظيم وحدة هو القادر على اعطائها أثراً باقياً .

البنية

تزداد أهمية التنظيم في الحركات الثورية كلما افتقرت زعامة الحركة الى الجاذبية الكارزمتية، وكلما كانت مقدرتها على التأثير على النظام والحصول على معلومات منه أقل ، وكلما بقيت النخبة السياسية الحاكمة وأجهزتها القمعية متحدة ، وفي الختام كلما طال أمد النضال الثوري . ان المدة القصيرة نسبياً لاحراز السلطة من قبل الحركات الفاشية وذات

---

(11) Redl, 1966, pp. 82-83.
(12) Luxemburg, 1967.

الأساس العسكري الناجحة، وهشاشة الحكومات التي حلوا محلها ، وقدرتهم العالية السابقة على احراز السلطة على التأثير على عملية اتخاذ القرار في النظام والحصول على المعلومات منه ، وكذلك الكارزمتية لزعمائهم ، كل ذلك يساعد على تفسير الضعف النسبي للتنظيم الثوري اليميني ـ خاصة اذا ما قورن بالتنظيم الثوري اليساري .

إن مَثَل الحركات الشيوعية يبين أيضاً أن التنظيم الثوري يميل الى أن يكون قوياً عندما تكون ايديولوجية الحركة نسقاً متماسكاً عالي الدرجة من الترابط لقيم متصلة بقواعد للعمل الثوري ، فالتنظيم الثوري« القوي » يتصف بدرجة دنيا من النزاعات الحزبية الداخلية وسلسلة واضحة ثابتة لتدرج السلطة من أعلى تراتبية التنظيم الى الأسفل . والتنظيم الثوري « القوي » قادر على البقاء بعد هزيمة عسكرية تكتيكية وفقدان واحد أو أكثر من كبار زعمائه . أيضاً فإن القوة التنظيمية للحركات الثورية من الممكن أن تقاس عبر الدرجة التي تستطيع فيها الحركة تأسيس نظام ثابت لتجنيد وتدريب كوادرها ، وإقامة آلية Mechanism أساسية لتهيئتهم الاجتماعية Socialization وتثقيفهم العقيدي المستمر وفق قيم الحركة ، ووجود قنوات للاتصال تساعد على تسهيل وصول استجابة ورد فعل الكوادر الى القيادة ، وكذلك خلق تنظيمات وظيفية فرعية محددة مزودة بواجبات محددة بوضوح .

وعلى ذلك فإن التاريخ مليء بأمثلة الحركات الثورية المهزومة التي اخفقت في التلاؤم مع أكثر او كل معايير التنظيم الثوري هذه.فإنتفاضة التايبنغ في الصين في منتصف القرن التاسع عشر كانت مؤسسة على ايديولوجية ماورائية بحيث كان الزعماء غير قادرين على الاتصال مع كوادر الحركة وانصارها ، ولم يكن هنالك نظام للتجنيد والتدريب والتثقيف العقيدي للكوادر ، كما ان عملية اتخاذ القرار في الحركة لم تكن ذات بنية راسخة وكذلك تراتيبها،واخيراً التناقض المطرد في حيويتها بعد اغتيال زعيمها الرئيسي. ومجهودات المتمردين الايرلنديين ضد انجلترا منذ اواخر القرن السابع عشر على الأقل ، وبشكل احدث محاولة الجمهوريين الإيرلنديين توحيد ايرلندا الشمالية مع الجنوب الكاثوليكي ، كانت وبشكل دائم موبوءة بالصراعات الداخلية الحادة والزعامة الضعيفة . وكان المتمردون الشباب في غابات سيلان عام ١٩٧١ بدون اي قيادة واضحة ولم يكن لديهم تقريباً اي بنية تنظيمية ، بل كانوا مسلحين غالباً بالمثل وعلى ذلك فقد كانوا هدفاً يسيراً للقوات الحكومية المتمتعة بدعم الاتحاد السوفيتي .والشيوعيون الملاويون ، على عكس رفاقهم في فيتنام، كانوا غير قادرين على الاحتفاظ بقاعدة جغرافية لعملياتهم، وعلى ذلك فإنه لم تكن لديهم الفرصة لبناء قوة تنظيمية على اسس المجتمع القروي الفلاحي ، وكذلك افتقروا الى الزعماء ذوي الخبرة الثورية والابداع التنظيمي امثال هوشي منه وفو نجوين جياب .

ان « المراحل » التي تمر بها الثورة تتحدد بقوة الافكار (« متطرف » او « معتدل») بشكل اقل من تحددها بشكل توزيع القوة التنظيمية بين الجماعات الثورية المتنافسة . فالطبقات الدنيا غير المنظمة محكوم عليها بالفشل تقريباً في صراعها مع البرجوازية .

فالبرجوازية لديها « الملكية ، التعليم ، الصحافة ، شبكة من المواقع الاستراتيجية ، وتراتبية (هيداركية) من المؤسسات »[١٣] . والهيجان الثوري في اوروبا عام ١٨٤٨ وفي فرنسا خلال اعوام ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ، ١٨٧٠ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٤ ، و ١٩٦٨ كان قائماً بشكل كبير على النشاط الثوري للطبقات غير المالكة ، الا ان البرجوازية كانت هي الطبقة التي احرزت او احتفظت بالسلطة في كل حالة . وفي فرنسا في ايار ـ حزيران ١٩٦٨ ، اجهضت محاولات لتنظيم اتحاد للجان الاحزاب الطلابية . لم يكن من الصدفة ان الجهود التنظيمية انما كانت بشكل اساسي من التروتسكيين ، كما ان هزيمتهم عكست عداء زعيم الطلاب الرئيسي ، دانييل كوهن ـ بنديت ، للتنظيم وعملية التنظيم . كما انه ليس من الصدفة ايضاً ان الحزب الشيوعي الفرنسي لعب دوراً اساسياً في منع الطلاب من اقامة حلقات اتصال تنظيمية مع لجان الأحزاب العمالية . لو انه في عام ١٩٦٨ كان هنالك حزباً شيوعياً فرنسياً متعاطفاً مع التغيير الثوري ، لكان ذلك شيئاً مختلفاً جداً عن الحزب الشيوعي الفرنسي .

وفي المكسيك ايضاً فإن الراديكاليين ايضاً متزعمين من قبل ڤيلا وزاباتا كانوا غير قادرين على تنسيق انشطتهم ، وحتى عندما تقابل الزعيمان في مدينة المكسيك عام ١٩١٤ ، فإنهما فشلا في تطوير تنظير سياسي للحكم . وسقطت السلطة اولاً بين ايدي الجنرالات ومن ثم بين ايدي اوليغاركية الثروة الجديدة . خلال فترة رئاسة لازارو كارديناس بين ١٩٣٤ و ١٩٤٠ فقط كان هنالك تنفيذ للإصلاحات الصناعية والزراعية يقارب مُثل الثوار الأوائل .

كما ان الحركات الفوضوية ايضاً اخفقت وبشكل ثابت بسبب احتقار الفوضويين للتنظيم السياسي . ونظراً لملاءمتها للنشاطات غير المنسقة للعمال في الورش الصغيرة الموزعة في ارجاء المناطق الداخلية لأوروبا الصناعية ، او للمجتمعات القروية المستقلة في جنوب اسبانيا ، فإن الفوضوية وبشكل متعمد تجاهلت التنظيم والقيادة . وقد كان الافتراض الاساسي هو ان معرفة حقيقة الطبيعة الانسانية وبإدراك الشكل الملائم للتنظيم الاجتماعي متمين بنجاح الحركة وعلى الصعيد العالمي. من الممكن أن يُسأل فلاح اندلسي في اسبانيا ملتزم بالفوضوية ، « كيف سيأتي التغير العظيم ؟ لا احد يدري . اما في الاعماق فإن الفلاحين كانوا يشعرون بأنه سيأتي بطريقة ما عندما يعتبَر الناس انفسهم ملتزمين به في الوقت نفسه »[١٤] . وعلى ذلك فإن الفوضوية تتصف بدرجة عالية من العفوية ولكن لا تنظيم ، وبالتالي اخفاق دائم . وكذلك فإن الحركات القائمة على المشاعر الناشئة عن الانفصالية الثقافية اخفقت ايضاً بشكل ثابت بدون تنظيم ، ويلاحظ تيدغور في شمال اسبانيا ان ، « الانفصاليين الباسك كانوا دوماً معارضين معارضة عنيفة الحكام

(13) Trotsky, 1957, Vol. III, p. 169.
(14) Hobsbawm, 1959, p. 88.

الاجانب منذ بداية التاريخ المسجل بكل ما في ذلك من معنى ، غير ان ذلك كان وفق رد فعل مجتمعي أكثر منه وفق تنظيم رفاقي »[١٥] . ونتيجة لذلك فإن إقامة حركتهم على القيم المشتركة بدلاً من عضوية ومشاركة مؤسساتية ادى الى خضوع دائم من قبل الباسك لتنظيم الحكومة المركزية الاعلى .

وعلى الطرف الآخر نجد ان نجاح متمردي اينانيا عام ١٩٧٣ في جنوب السودان يمكن ان يفسر على أساس احتفاظهم المؤثر بجيش وتنظيم مساند لأكثر من عشر سنوات من الصراع السياسي والعسكري . هذه ايضاً كانت حرب صراع ثقافي بين المتمردين السودانيين ذوي الغالبية الوثنية في الجنوب الساعين الى استقلال اقليمي عن الشمال المسيطر ذي السكان العرب والمسلمين . وقد كان جيش المتمردين مكوناً من حوالي ٥٠٠٠ الى ٨٠٠٠ جندي (بمقابل جيش الشمال المكون من ١٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠) ، منظمين في وحدات قتال تقليدي كبيرة ووحدات حرب عصابات صغيرة ، هذه الوحدات تعمل وفق اوامر مطبوعة ومن خلال الراديو ، وترتدي ازياء خاصة (مؤشر صالح لمدى تنظيم المتمردين في مجتمعات ما دون النمو) ، مؤيدة بفرق طبية ، ويستلمون جزءاً من امداداتهم عبر شحنات بالمظلات يقوم بها الطيران الاسرائيلي[١٦] .

الا انه بالتأكيد فإن النموذج الاساسي لتنظيم حرب العصابات انما هو ذلك الذي طور بواسطة الفيتناميين خلال صراعهم مع اليابانيين والفرنسيين واخيراً الحكومة العميلة للولايات المتحدة في سايغون . فقد كان هنالك نسقان للتنظيم يربطان المتعاطفين مع الانصار والقادة : نسق اقليمي مكون من الافراد Personnel المجندين من قرى مصنفة على شكل مقاطعات بحيث تكون كل مقاطعة خاضعة للجنة اقليمية ، كما ان اللجان الاقليمية منظمة على شكل مناطق بحيث تكون كل منطقة مسؤولة امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ونسق متداخل لتنظيمات المصالح الخاصة حيث يكون التركيز على الفلاحين ، العمال،النساء،الشباب، والجمعيات الثقافية المدنية المهتمة بشكل خاص بالطلاب والمثقفين . وكل عضو في هذه التنظيمات التابعة كان مسؤولاً عن الحفاظ على علاقة وطيدة مع ثلاثة من غير الاعضاء ، بحيث يمتد تأثير الحركة بشكل اعمق الى جذور المجتمع الفيتنامي . وباتباع تأكيدات ماو بضرورة سيادة السيطرة **السياسية** على العمليات العسكرية ، فإن سلطة الحزب كانت مكفولة عن طريق التداخل بين الملاك المحتلين للمراكز العالية سواء في التراتبية السياسية او العسكرية . وبتصاعد الحرب في فيتنام الجنوبية بعد عام ١٩٦٤ فإن الظروف المتغيرة كانت تتطلب تكيفاً متزايداً . وبذلك فإن التراتبية السياسية والتراتبية العسكرية اصبحتا اكثر انفصالاً من الناحية الوظيفية ، بينما اخذت جبهة التحرير الوطنية (NLF) تمارس « سيطرة مركزية محكمة لرسم السياسة مع لامركزية

---

(15) Gurr, 1970, p. 316.

(16) See the article by stanley Meisler in the **Los Angeles Times.** Oct. 18, 1971, Part I-A.

جديرة بالاهتمام من ناحية التنفيذ ... »[١٧] .

ومن ناحية ثانية ، هنالك خطر انحراف التنظيم المساند للحركة الثورية عن الاهداف الأصلية والتحول الى شكل من البيروقراطية كلما اتسع المدى الزمني للتنظيم . وهذا صحيح بشكل خاص بالنسبة للأحزاب السياسية المرتكزة على الطبقة العاملة حيث ان ميولها نحو اللاراديكالية مع مرور الوقت قد أدركت من قبل بعض علماء السوسيولوجيا السياسية منذ العقود الأولى للقرن العشرين على الأقل (بما في ذلك روبرتو ميشيلز وماكس ڤيبر) . فانشغال الأحزاب الاشتراكية ومن ثم الأحزاب الشيوعية بالبقاء والاستمرار ، والعمل في ظروف غير ثورية ، واللهفة على تعميق جذور اتحاداتها العمالية وتوسيع تمثيلها البرلماني ، فإنها احلت التكتيكات السياسية محل الاستراتيجية الثورية . وقد كانت هذه الاتجاهات هي التي دفعت لينين الى الاصرار على تنظيم للطليعة الثورية مكون بشكل صارم من مثقفين مكرسين انفسهم للثورة كما ان ذلك اقنع روزا لوكسمبورغ بضرورة الاعتماد على العفوية الثورية للجماهير .

ولكن هنالك خطر آخر ، من الممكن ان يكون عائقاً لتحقيق الأهداف الثورية . فإحراز الحركة الفعلي للسلطة لا يعني بأي شكل من الاشكال ان مُثُلها الاصلية سوف تنفذ . ان إحراز السلطة ليس مماثلاً لتدعيمها وتعزيزها ، كما ان تدعيم السلطة وتعزيزها لا يعني ايضاً ان الحركة سوف تحقق التحولات الاجتماعية ـ الاقتصادية التي دفعتها الى النشاط الثوري في البدء . فممارسة السلطة تتطلب تغييراً بنيوياً في تنظيم الحركة ، وهذا شيء صعب بشكل خاص عندما يكون الصراع على السلطة قد تضمن حشد عدد كبير من المواطنين من مختلف الطبقات الاجتماعية . فأهمية التحالفات المتداخلة لثورة ناجحة ، والذي نوقش في الفصل الخامس ، قد يصبح مصدر ضعف مصيري للحركة بعد احراز السلطة . اذ ان اشكالاً جديدة للتنظيم تصبح اموراً جوهرية وحيث لا يكون ذلك (كما في اسبانيا الجمهورية والعديد من المستعمرات السابقة في افريقيا السوداء) ، فإن إحباط وفشل الحركة يصبح مسألة وقت فقط .

فالبلاشفة قاموا بإحلال الحزب الشيوعي محل مجالس سوفيت العمال والفلاحين والجنود . وتعزيز الحزب للسلطة كان بدوره معتمداً على منظمة الشيكا (الشرطة السرية) والجيش الأحمر . وقد تعززت فعالية وحدات الجيش الأحمر بواسطة تروتسكي الذي عاد ووضع موضع التنفيذ عقوبة الموت على العصيان الا انه ، وهذا هو الأهم ، قام بتنظيم كل وحدة عسكرية حول نواة من المُخلصين البروليتاريين : فالثوار الصليبيون في كل وحدة عسكرية كانوا قد كسبوا اخلاص العمال الأقل التزاماً ، وهاتان المجموعتان بدورهما كانتا قادرتين على اكتساب دعم الجنود ـ الفلاحين المعتمد عليهم بشكل اقل . وفي النهاية ، كما

---

(17) Rolph, 1971, p. 11, Pike, 1966; Wolf, 1969, pp. 188-89 and 203-7; and Molnar, 1965· , especially Chap. 2.

توقعت روزا لوكسمبورغ وتروتسكي ، فإن الاجهزة السياسية والعسكرية بالكامل اصبحت خاضعة لديكتاتورية المكتب السياسي للجنة الحزب المركزية . وقد كان ظهور ستالين كديكتاتور في المكتب السياسي وديكتاتور في اجهزة الحزب والدولة ، نهاية للآمال في ديموقراطية اجتماعية ثورية ، الا ان احداً لا يشك في فعالية التنظيم .

وفي الصين بعد عام ١٩١١ وكوبا بعد ١٩٥٩ ، فإن تعزيز السلطة الثورية كان معتمداً على خلق بُنى تنظيمية جديدة . فالحكومة الصينية الوطنية كانت تفتقر الى جيش وتنظيم حزبي موحد وكانت معتمدةمنها على « النية الحسنة لأسياد الحرب المحليين ذوي الأطوار الغريبة »[18] الا انه وبعد عام ١٩٢٣ وبمساعدة الحكومة السوفيتية وممثلها، ميكل بورودين ، زود الوطنيون بقاعدة تنظيمية صلبة : مُنظم لكومنتانغ وفق خطوط الحزب البلشفي ، وكفلت اكاديمية وامبوا العسكرية في كانتون (تحت توجيه تشانغ كاي شيك) كادراً من الضباط المتدربين الموثوقين للجيش الوطني .

في كوبا ، كانت ثورة كاسترو على باتيستا قصيرة وسهلة نسبياً ، وعلى ذلك فإنه لم يكن هنالك تنظيم مناسب لحاجات الحكومة الثورية عندما أحرزت السلطة . فالمؤسسة العسكرية للجيش المتمرد لم تكن قادرة على العمل كإدارة سياسية . الا انه بعد ١٩٥٩ كان هنالك كادر منظم من الافراد تحت التصرف ، الحزب الشيوعي الكوبي ، المتصف بدرجة عالية من التماسك التنظيمي والايديولوجي .

فعن طريق تسريب أعضائه الى الجيش ، والادارة الحكومية ، واتحادات العمال ومع التخلص من منافسيه او السيطرة عليهم ، استطاع الحزب الشيوعي تزويد كاسترو بالدعم التنظيمي اللازم لتعزيز السلطة وتنفيذ البرامج الجديدة . وقد كانت القضية هي احـلال الحزب الشيوعي الكوبي محل حركة كاسترو (حركة السادس والعشرين من تموز) وكذلك حرص كاسترو على السيطرة على الحزب : وقد كفلت المناورات وعمليات التطهير خلال فترة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ تحقيق الهدفين ـ لهذا المعنى ، فإن ضـرورات التنظيم السياسي قادرة على تحديد الاتجاهات الايديولوجية والعملية للحركة .

الوظائف

ان « البنية » تتضمن « الوظيفة » ، وبعض الوظائف الاساسية للتنظيم الثوري من المفروض ان تكون واضحة الآن وفق ما سبق ذكره . بشكل عام ، فإن تنظيم الحركات الثورية الناجحة يجب ان يحافظ على قنوات امر واتصال فعالة بين الانصار والقادة . يجب ان يحشد وينسق طاقات الاقليات الفعالة الآتية من مختلف الفئات الاجتماعية . وان يكفل الحفاظ على اعضاء التنظيم والتزامهم الايديولوجي وكذلك الدعم اللازم لنشاطهم الثوري . وان يتكيف مع الظروف الجديدة كلما طال امد العملية الثورية ، كما يجب عليه بشكل خاص

---

(18) North and Pool, 1965, p. 325.

اظهار المرونة والعمل الخلاق بعد احراز السلطة . على اية حال ، هنالك على الأقل وظيفتان محدودتان للتنظيم الثوري تستحقان شيئاً من التركيز الخاص . الأولى تتعلق بالوظائف التماسكية للتنظيم الثوري . فالتنظيم يوجد جزئياً في سبيل تعزيز التزام الاعضاء ، ولفصلهم عن غير الاعضاء والمصادر المتنافسة للمعلومات والقيم ، ولخلق اخلاص للجماعة وتجانس في وجهات النظر اساسي لمهام الثورة[١٩] .

في محيط التنظيم الثوري فقط قد يستطيع مثقف ما او عامل او فلاح تطوير العلاقات الشخصية المتبادلة التي تعطي حياته او حياتها معنىً واتجاهاً . وكذلك فإن الفرد يستطيع كعضو في التنظيم الثوري فقط معرفة معنى المساواة والوضع المتميز والاحساس بهما بعد ما رفض المجتمع اعطاءه مثل هذا الاحساس . وهنالك بعض الدلائل التي يمدنا بها علم النفس الاجتماعي بأن ميل الفرد نحو مجابهة الخطر يزداد عندما يكون او تكون منخرطين في مشاركة واتخاذ قرارات جماعية[٢٠] .

ويبين تاريخ الحركات الثورية بأن الآليات المعدة لأداء هذه الغايات الوظيفية يجب ان تكون نامية في ابعد مداها في التنظيمات الشيوعية . فإحدى وحدات الفيتكونغ أسند اليها القيام بعمل عسكري ، ولكن بعد ان عُرضت الخطة من قبل ضباط الوحدة سُئل الأفراد عن تعليقاتهم واقتراحاتهم . يبرز هنا على الأقل وهم المشاركة في عملية اتخاذ القرار . فالأعضاء الشيوعيون المنتظمون وشبه المنتظمين وكذلك افراد حرب العصابات وشبكة المناصرين عادة ما يدفعون الى اجتماعات صغيرة دورية وذلك بهدف تعزيز التدريب والتثقيف العقيدي . فحلقات النقد والنقد الذاتي المتكررة تخدم تعزيز معايير المجموعة ، والحفاظ على الوحدة الايديولوجية ، كما انها وسيلة هامة لقيام اتصال بين الكوادر الدنيا وتراتبية الحركة العليا . فبإعطاء الفرد سلطة على قرية محلية معينة او وحدة لحرب العصابات وتوكيله بتنظيم جمع ونقل المواد الغذائية او العسكرية او مراقبة والتبليغ عن حركة قوات الحكومة ، فإنه من الغالب ان يتمتع بوضع افضل بين انداده او اندادها مما لو كان او كانت في المصنع او الحقل او المكتب . كما ان الاداء الجيد ايضاً غالباً ما يكافأ عن طريق الترقية ومسؤولية اكبر ، مما يعني توفير الفرصة للفرد لتحسين وضعه مما لا يتوفر خارج محيط نشاطه الثوري . وكلما عظمت مسؤوليته ووضعه في التنظيم ، كلما ازداد الفرد التصاقاً بدوره الثوري ، وكلما انخفض ميله الى الخروج على الحركة والانضمام الى جانب الحكومة او الثورة المضادة .

وفي نفس الوقت فإن التنظيم الثوري يجب ان يوازن في سيره على الخط الدقيق الذي يفصل بين الاعضاء كجماعة منفصلة وبين تداخلهم مع عموم الشعب . فكون الاعضاء جماعة منفصلين يخدم تماسك التنظيم ، الا ان التداخل مع الشعب شيء جوهري لنمو

---

(19) Gusfield, 1968, p. 448, Lipset, 1963, pp. 74-75.
(20) Myers and Bishop, 1970, and Cartwright, 1971.

الحركة وتأييدها الشعبي ، فكما كان على المحرضين البلاشفة الاختلاط مع الجنود والعمال والفلاحين في سبيل اعداد الجماهير لاستيلاء البلاشفة على السلطة ، فكذلك كان الشيوعيون الفيتناميون والصينيون مدفوعين لممارسة « المعيات الثلاث » : تناول الطعام مع الشعب ، والعمل معهم ، والحياة معهم . ان التنظيم الثوري القادر على السير على هذا الخط الدقيق بدون فقدان توازنه غالباً ما يكون اقرب الى الجماهير من الحكومة التي تدّعي ولاءهم . كما ان ذلك يعتبر مقياساً آخر للكمال البنيوي للتنظيم الثوري وفعالية عمله .

الوظيفة الثانية للتنظيم الثوري والتي تستوجب اهتماماً خاصاً يمكن ان توصف وفق عبارة « الحكومة المضادة » ، « السيادة المزدوجة » ، او (وفق عبارة تروتسكي) « السلطة المزدوجة » . ان فعالية التنظيم الثوري وارجحية النجاح تزداد كلما كانت الحركة قادرة على تطوير مؤسسات تعمل وبشكل فعلي كإدارات حكومية .

فالقدرة الكبيرة للحركات الثورية البرجوازية واليمينية على التأثير على اتخاذ القرار في النظام القائم والحصول على معلومات منه تمكنها من التركيز على الاستيلاء على المؤسسات القائمة وذلك في سبيل تحقيق اهدافها الثورية . فقد كانت الخطوة المصيرية لكل من هتلر وموسوليني تنصيبهم الدستوري على رأس السلطة التنفيذية في الحكومة . وبالتالي كانا قادرين على التخطيط في سبيل الحصول على ضمان بالسلطة من البرلمان الذي ، على السطح على الأقل ، بدا وكأنه يمنح شرعية لإدعائهما بالسلطة الدكتاتورية . كما ان الثوار البرجوازيين في فرنسا عام ١٧٨٩ والثوار السبيوريتانيين في انجلترا عام ١٦٤٠ كانوا قادرين على الاستيلاء على السلطة عن طريق المؤسسات التشريعية التي خدمت كوسائل لتحدي سلطة الملكية . كما ان مجلس الدوما الروسي ايضاً كان قاعدة مؤسساتية لتصفية عائلة رومانوف الحاكمة وذلك في ثورة شباط لعام ١٩١٧ .لقد كانت مهمة كل هؤلاء الثوار سهلة بشكل واضح وذلك لأن سلطة الدولة كانت مركزية ولأن المؤسسات القائمة خدمت كقاعدة لشرعية الثورة . كما انه من الواضح ايضاً ان البُنى التنظيمية لهذه الحركات الثورية لم يكن من الضروري ان تكون متطورة او محددة وظيفياً كما في حالة الحركات الثورية اليسارية .

إن حالة الثورة الامريكية تساعد على تصوير العلاقة بين التنظيم الثوري ودرجة مركزية النظام القائم . لقد كانت جهود الامريكيين معقدة نتيجة البنيان المشتت للسلطة البريطانية في المستعمرات . وبالتالي فقد كان تطور التنظيم الثوري الامريكي بطيئاً وبشكل معادل مشتتاً . كما أن مثال الحركات الثورية اليسارية يؤيد ايضاً الفرضيات بأن بنية التنظيم الثوري تميل إلى ان تعكس الخصائص البنيوية للنظام المراد تدميره .

وعلى ذلك فإن تنظيم الثورة الامريكية بدأ مع التحالفات بين التجار المقاطعين للسلع الانجليزية . كما ان قاعدة الثورة المؤسساتية كانت ايضاً معززة من خلال الخبرة الطويلة لمشرعي المستعمرات مع حكومة ذاتية حقيقية . وخلال فترات تقلص العواطف الثورية ، قام كل من ابناء الحرية ولجان المماثلة بالمساعدة على حيوية الالتزام الثوري لأقلية صغيرة

من الشعب ولكن في النهاية ذات تأثير ونفوذ ، وبعد عام ١٧٧٤ ومؤتمر الكونغرس القاري ، خدمت لجان المماثلة كشبكة مخابرات لمراقبة والابلاغ عن تحركات القوات البريطانية . وفي النهاية اصبحت الحكومة البديلة الفعالة للسلطة البريطانية في المستعمرات : « فقد كانوا يعاقبون المنتهكين ، ويصادرون املاك الموالين لبريطانيا ، ويحددون الاسعار ، ويجمعون امدادات الجيش ، ويعدون السفن المهاجمة للأعداء وطاقمها ، ويجندون الناس »[٢١] .

وقد كان ملائماً عام ١٩٦٦ ان توم هايدن ، الذي قد يكون الشخص الاكثر ادراكاً والأكثر فكراً بين الراديكاليين الامريكيين الشباب ، دعا إلى « بناء مؤسسات خارج النظام القائم تسعى لأن تكون مؤسسات حقيقية لعموم المجتمع.» وقد استشهد هايدين بشكل صريح بنموذج الكونغرس القاري خلال الثورة الامريكية واقترح « نوعاً من الحكومة الأخرى ، تقبض الضرائب من انصارها ، وتقيم العلاقات مع الأمم الأخرى ، وتقيم الندوات حول السياسة الامريكية الخارجية والداخلية . وتدافع عن الجامعات المعانية من النظام الامريكي »[٢٢] .

لقد كان بالضبط هذا النوع من الشبكة التنظيمية التي كان الشيوعيون في الصين وفيتنام قادرين على بنائها خلال فترة الصراع على السلطة . ففي المناطق الواقعة تحت النفوذ الشيوعي ، وغالباً في المناطق الواقعة تحت النفوذ الاسمي للحكومة ، كان هنالك نظام متوازي من المؤسسات الحاكمة التي كانت تجمع الضرائب ، وتدير حكومة القرية ، وتنظم وتدير المدارس والمحاكم ، وتنفذ السياسات الاقتصادية والعسكرية للحزب الشيوعي . ان التعقيد الوظيفي لتنظيم الحزب كان واضحاً من خلال تعيين اللجنة المركزية لوزراء مسؤولين عن تنفيذ سياسة الحزب في كل واحدة من مناطق الحكومة المحددة . فعندما يصل التنظيم الثوري الى النقطة التي عندها يعمل كحكومة موازية لمجلس وزراء ظل وموارد مالية ، فإنه يغدو معارضة للنظام القائم ذات تجذر مؤسساتي بنفس قدر كونه حركة ثورية .

تتضح أهمية دور السلطة المزدوجة في الحركات الثورية من خلال وظائف السوفيات الروسية خلال ثورات شباط وتشرين اول عام ١٩١٧ . فقد كان بإمكان سوفيت بتروغراد ادعاء الشرعية السياسية منذ بداية ثورة شباط : فقد كان تعيين مجلس الدوما للأمير لسقوف رئيساً للحكومة المؤقتة مبنياً على استشارة وموافقة سوڤيت بتروغراد . وحتى قبل احراز البلاشفة للأغلبية في السوڤيت ، فإنه كان يعمل كنوع من الحكومة المضادة وذلك « بممارسة سلسلة متكاملة من الوظائف الحكومية...»[٢٣] كما أن بين شباط وتشرين أول كان استمرار الحكومة المؤقتة ، في كثير من الأحيان متعلقاً بسماح وموافقة ممثلي

(21) Beals, 1970, pp. 38-39.
(22) Hayden, 1966.
(23) Trotsky, 1957, Vol. II, p. 321. Also see Janos, 1964, pp. 136-37.

العمال والجنود والفلاحين في السوڤيت . وقد كان الوقت وكفاءتهم التنظيمية الذاتية عاملاً في تقدم البلاشفة .

عقب ثورة شباط ، اخذ نظام السوڤيتيات في النمو على مستوى قومي ، حيث ظهر اولاً في آذار في كل المراكز الصناعية والمدن مواصلاً انتشاره الى القرى الريفية في نيسان وأيار . وبذلك فإن الاساس المؤسساتي اقيم بشكل نهائي في روسيا وذلك لتنسيق الأنشطة الثورية للفلاحين والعمال والجنود والجماعات المنظمة من المثقفين . وبعد تموز ، زاد البلاشفة من مدى تأثيرهم في السوڤيتيات في كل ارجاء البلاد في نفس الوقت الذي كانت فيه السوڤيتيات تزيد من مدى وظائفها الحكومية . ففي العديد من المدن كانت هي السلطة الوحيدة القادرة على تنظيم الانتاج الصناعي وأمداد السكان المحليين بالماء والغذاء والنور والوقود .

وقد كان تنسيق انشطة السوڤيتيات هو المهمة الاساسية للمؤتمر الوطني للسوڤيت حيث عقد المؤتمر الأول في بتروغراد في آذار . غير ان مكاتب السوڤيت المحلية كانت تميل بشكل طبيعي الى اتباع قيادة العاصمة ، وبين نيسان ١٩١٧ وكانون ثاني ١٩١٨ قام سوڤيت بتروغراد بإرسال اكثر من ٢٥٠٠ محرض الى قرى ومدن خمسة وستين اقليماً روسياً . وقبيل ثورة تشرين اول (اكتوبر) ، كان المنظمون البلاشفة قد حشدوا دعم اغلبية مندوبي مكاتب السوڤيت . وعلى ذلك ، فإنه كان من خلال مكاتب السوڤيت استطاع البلاشفة احراز السلطة السياسية وادعاء الشرعية الحكومية . فمنظمة تروتسكي ، اللجنة الثورية العسكرية ، فوضت واعطيت سلطات من قبل سوڤيت بتروغراد ، وقد كانت هذه المجموعة من الثوار المدربين هي التي نفذت فعلاً انقلاب تشرين اول.وبشكل لاحق،قام مؤتمر السوڤيت،بأغلبية بلشفية،بمنح سلطات لإنشاء مجلس مفوضي الشعب بقيادة لينين . وبذلك اصبحت الحكومة البلشفية واقعاً وبإمكانها (حسب قول لينين) البدء « ببناء النظام الاشتراكي» .

ان دور مكاتب السوڤيت الذي لا غنى عنه في التمهيد لاستيلاء البلاشفة على السلطة يعبر عنه تروتسكي بالقول : « ان محاولات قيادة العصيان المسلح مباشرة من خلال الحزب القائم ادت الى نتائج »[٢٤] ان السلطة لم تكتسب بواسطة الحزب البلشفي ، بل من خلال الحزب البلشفي العامل خلال بنية السلطة المزدوجة الممثلة من قبل مكاتب السوڤيت . وقد كان ذلك درساً مهماً في تنظيم الحركات الثورية . وقد افضى تجاهل الثوريين اللاحقين لهذا الدرس ، بما في ذلك الشيوعيين ، الى كارثة مؤكدة تقريباً .

---

(24) Trotsky, 1957, Vol. III, P. 283 .

للفحص

بعض الافتراضات

١ ـ الاقل اندماجاً في المجتمع هم الاكثر ميلاً الى الثورة عفوياً .

٢ ـ يعتمد النجاح الثوري جزئياً على تنظيم الانصار الذين يعبرون عن مشاعرهم الثورية من خلال العمل العفوي . غير ان الانتفاضة العفوية بنفسها غير كافية .

٣ ـ على خصائص التنظيم ان تتغير اذا ما أصبحت الحركة حكومة تريد تنفيذ برنامجها .

بعض الفرضيات

١ ـ كلما كانت الايديولوجية اكثر تطوراً وتماسكاً ، كلما كان التنظيم اقوى .

٢ ـ كلما كان التنظيم قادراً على دمج حياة اعضائه في بنيته ، كلما كان اقوى .

٣ ـ تتغير فرص النجاح الثوري مباشرةً مع قدرة التنظيم على تنظيم بُنىً حكومية متوازية في المجتمع .

الفصل الثامن

الوسائل

العنف

يمكن القول أن « العنف » يعني تلك الأعمال التي يقوم بها الافراد أو الجماعات والتي تهدد الأمن الجسدي للناس أو الممتلكات . إن التهديد بالعنف والقيام بذلك فعلاً وكذلك التبرير الايديولوجي له في سبيل غايات سياسية يعتبر ضمن المؤشرات الأوضح للنية الثورية للحركة الاجتماعية .

قد يسبق العنف احراز الحركة للسلطة أو يعقبه ، أو قد يثبت أنه لا غنى عنه للحركة طوال معظم أو كل مراحل العملية الثورية . الا أن مدى وحدة العنف غالباً ما يتغيران من حركة ثورية معينة إلى أخرى بناءً على العديد من المتغيرات ، بما في ذلك التالي : درجة الدعم الشعبي للحركة ومدى اختراقها للنظام ، قوة التنظيم ، وحدة وعنف معارضتها ، درجة التغير السياسي والاقتصادي ـ الاجتماعي المُزمع انجازه ، وأخيراً دور الدول الأجنبية في دعم أو معارضة الحركة .

هذه المتغيرات العديدة قد تتداخل وبالتالي تعقد تفسير مدى وحدّة العنف الملازم للحركة . فالدعم الشعبي القوي للحركة والدرجة العالية لاختراق النظام يميلان إلى الترافق مع مستوى منخفض من العنف . الا أن تنظيماً ضعيفاً ومعارضة شديدة ، سواء من قبل الحكومه او من قبل اليسار أو اليمين السياسي ، قد يتطلبان اعتماداً شديداً على العنف وذلك في سبيل كسب السلطة وتعزيزها . من ناحية أخرى ، وبالرجوع إلى دور الدول الأجنبية ، فإنه يبدو واضحاً أن مستوى العنف يتزايد عندما يكون هنالك تدخلاً أجنبياً داعماً للثورة أو ، بعد احراز السلطة ، داعماً للثورة المضادة . ففي تركيا ومصر وكوبا ، على سبيل المثال ، كان مستوى العنف الثوري منخفضاً نسبياً ، خاصة بالمقارنة مع عنف الثورتين الفرنسية والروسية . وقد يكون من الممكن تفسير ذلك الى حد كبير بضعف أو بعدم وجود « جماعة اجنبية لاجئة تتآمر مع الغزاة الأجانب لقلب الثورة وإعادة النظام

البائد »[1] . ففي كوبا ، حيث حدث تدخل أجنبي (عام ١٩٦١ في خليج الخنازير) ، تمكنت حكومة كاسترو من دحر الغزاة بجهد بسيط وذلك نتيجة افتقار قوة الثورة المضادة للدعم الشعبي ولضغوط طرق امداداتها . كما أن تدعيم السلطة بعد الثورتين المكسيكية والأمريكية كان لا عنفياً نسبياً : فبالمقارنة مع الثورات الأعنف ، كانت درجة التغير الاقتصادي ـ الاجتماعي المخطط له من قبل النخب الجديدة طفيفة كما أن تدعيم السلطة السياسية للثورة كان وإلى حد كبير غير معارض من قبل مصالح محلية ودول أجنبية .

على أية حال ، مهما كان مدى أو حدّة العنف فإنه طابع عام لكل الحركات الثورية ، سواء كانت على اليسار أو الوسط أو اليمين . فبغض النظر عن المظهر الشرعي الذي رافق صعود هتلر وموسوليني إلى السلطة الدستورية ، فإن قوة حركتيهما كانت تعتمد في جزئها الأكبر على الاستخدام الواضح للعنف ضد خصوم الفاشية والتهديد بالعنف ضد الدولة نفسها . فبأيديولوجيتها المجددة لأخلاق العنف والداعية ان السلطة ملازمة للتفوق المادي Physical ، قامت الفاشية بتنظيم عصابات من السفاكين ووحداتها شبه العسكرية وذلك في سبيل ضرب وارهاب الاشتراكيين والشيوعيين وأعضاء نقابات العمال وغير المتعاونين من موظفي الدولة واليهود وكل أولئك الملتزمين بقيم ومعايير ملائمة لمجتمع مدني . وحال وصولها إلى السلطة ، قامت الفاشية بتقوية الأجهزة البوليسية في الدولة وذلك في سبيل تصفية المعارضة وتركيز السلطة السياسية من أجل تدعيم قبضتها على مجموع الشعب . من أجل ذلك تستحق الفاشية أن تصنف ضمن النماذج المختلفة للحركات الثورية المناقشة في هذا الكتاب .

إن الدور العام للعنف في الثورة ، وكذلك المضامين الواسعة للعنف كمقولة مفاهيمية ، يقودنا إلى التفريق بين أنواع العنف بناءً على ثلاثة أساليب محددة على الأقل : الارهاب ، حرب العصابات ، والانقلاب . الأسلوبان الأولان يميزان الحركات الثورية ذات الاختراق الأقل للنظام ، فحرب العصابات الناجحة تتطلب ، بشكل خاص ، تنظيماً ثورياً كفؤاً ودعماً شعبياً أساسياً ، بينما أسلوب الانقلاب ملائم لمختلف الظروف الثورية (وغير الثورية) . في الحقيقة ، ان الانقلابات ذات تكيف كبير مع مختلف الظروف السياسية لدرجة أنه فقط وبإدراك مؤخر باستطاعتنا القول إذا كان انقلاب معين يستحق التصنيف كجزء من عملية ثورية في أي نظام سياسي معين . الا أنه لا يُشك في العزم الثوري لتنظيم حرب العصابات أو الارهابيين .

الارهاب

الارهاب يتضمن الاغتيال ، والخطف ، وأعمال التفجير ، ويقصد به ارباك سيكولوجية أفراد الجمهور الاجتماعي بنفس الطريقة التي يصمم بها التخريب لاعاقة الانتاج ووسائل

---

(1) Leiden and Schmitt, 1968, p. 210.

النقل وأنظمة الاتصالات في الدولة . فالارهاب في النهاية يتوخى التأثير على العقول بينما التخريب يهاجم بشكل مباشر الوسائل الملموسة للحكومة والسلطة .

وعلى ذلك ، فإن الوظيفة الأساسية للارهاب هي في اقناع الناس أن الحركة الثورية قوية بينما سلطة الدولة ضعيفة . فالارهاب مهم في سبيل زيادة شعور الفرد بالعزلة وعدم القدرة مما يؤدي إلى تعزيز تأثره بدعاوى الحركة الثورية[٢] .

في هذا المجال ، فإنه من الضرورة المطلقة ادراك أن الارهاب وسيلة فعالة للتعبئة الاجتماعية في المراحل الأولية من النشاط الثوري فقط وحيث يكون عموم الشعب متعاطفاً مع أهداف الثوار . وهذا ، بطبيعة الحال ، غالباً ما يكون الحال في مجتمعات ما دون النحو المُسيطر عليها من قبل دولة أجنبية وحيث تكون الغالبية العظمى من الشعب غير منظمة وغير ممثلة في أجهزة صناعة القرار السياسي في الحكومة[٣] .

من الجانب الآخر ، فإن الاقتصار على الاعتماد على الإرهاب كأسلوب ثوري إنما يعبر عن ضعف الحركة الأكيد . ففي الملايو ، لجأ الشيوعيون إلى العنف الواسع عندما بدا أنه من الواضح انهم غير قادرين على كسب حرب عصابات ، غير أن أعمال العنف التي قاموا بها إنما أدت فقط إلى زيادة عزلة مؤيديهم المحتملين ودفعت الحكومة إلى التصميم على تصفية العصيان[٤] . وفي نفس الوقت فإن اعتياد الناس على العنف جعله غير قادر على إحداث ارتباك اجتماعي ونفسي وبالتالي حشد الدعم للحركة . وقد كان ماركس ولينين وريجي دوبريه من ضمن دعاة الثورة الذين بينوا أن الارهاب وحده غير قادر بتاتاً على احداث تغيير ثوري ، وأن الاعتماد بصفة أساسية على الارهاب إنما يعكس استحالة تحقيق الأهداف الثورية تحت الظروف السائدة ، وأن الحركات الثورية اليسارية تكون قد انحرفت بشكل ثابت عن المُثل الاشتراكية طالما أنها تستند على الارهاب كسلاح رئيسي في سبيل احراز السلطة والاحتفاظ بها[٥] .

إذاً ، فإن البدء بحملة ارهابية يجب أن يكون مرافقاً لاستراتيجيات ثورية أخرى ـ بما في ذلك تحذير التنظيم في أوساط الجماهير وكذلك نشر واسع للدعاية ضد الحكومة . أما الحملة الارهابية نفسها فيجب أن تبدأ بنوع من العمل ذي دوي شديد في المجتمع ، عمل واسع المدى وشديد الحدة . أما موضوع الهجوم فيجب أن يكون ظاهراً وكأنه اختير عشوائياً ، وبالتالي زيادة الاحساس العام بعدم الأمن المادي (الجسدي) وبالتالي عدم الطمأنينة النفسية .

ولكن ، في الحقيقة ، يجب على الارهابيين اختيار أهدافهم بحذر وذلك في سبيل عدم عزل تلك القطاعات الشعبية ذات الأهمية لنمو الحركة مستقبلاً . والتاريخ مليء بأمثلة

---

(2) Thornton, 1964, pp. 71-99.
(3) Kecskemeti, 1961, pp. 153-54.
(4) Molnar, 1965, p. 171.
(5) Avineri, 1969, pp. 188 and 193; Debray, 1970, p. 461.

الارهابيين الذين أخفقوا نتيجة الذبح غير المميز ، فالأطفال والنساء والزعماء السياسيون ذوو القبول لدى العامة يجب أن يتجنبوا نهائياً كأهداف . يؤكد هذه النقطة مصير حركة الارهاب الفوضوية . كما أن نتائج التفجيرات الارهابية واطلاق النار في جنوب الولايات المتحدة من قبل العنصريين البيض ، وفي كويبك من قبل الانفصاليين الفرنسيين ، وفي انجلترا وشمال ايرلندا من قبل المتطرفين البروتستانت والكاثوليك ، وفي ايطاليا من قبل الألوية الحمراء ، وكذلك في ألمانيا الغربية من قبل عصابة بادر ـ ماينهوف ، إنما تعتبر مؤشرات معاصرة فقط للآثار غير المثمرة للارهاب عندما لا يكون هنالك تنظيم سياسي ولا دعم شعبي لاعطائه أثراً ثورياً . فعلى الارهابيين أن يكونوا يقظين تجاه تلك العتبة الغامضة والتي اذا استمر الارهاب بعدها كان معنى ذلك قيام أساس اخفاقهم وضلالهم .

وكذلك فإن وظيفة الارهاب إنما تكون في اثارة أحداث عنف واسع وغير مميز ضد الشعب من قبل أجهزة الدولة العسكرية والبوليسية . فبعدم معرفة أين سيضرب الارهابيون في المرة القادمة يساعد على تفتيت آلاف من قوات الحكومة المجبرة على أخذ موقف دفاعي من خلال حراسة موظفي الدولة ، أماكن السكن ، المكاتب ، وتجهيزات المنافع والاتصالات ، فالجنود وقوى الشرطة ، المرتبكون حيال عدم قدرتهم على احداث مواجهة مباشرة ، والظانون أنهم أنفسهم الهدف التالي لعنف الارهابيين ، من الممكن أن يُدفعوا الى التعريف بلاعقلانية وفظاظة . فتفتيش قوات الحكومة للمنازل واحداً واحداً في حي القصبة في الجزائر ، ونقاط التفتيش على وسائل النقل ، ومنع التجول ، وملاحقة المواطنين ، وكذلك سجن وتعذيب المشكوك في أمرهم ، كل هذه الأمور ساعدت على تأكيد طروحات الثوار الجزائريين حول الطبيعة القمعية للاستعمار الفرنسي وبالتالي ساعدت على تعزيز المشاعر الوطنية بين السكان العرب . فإذا ما استثيرت الحكومة نفسها ودفعت إلى القيام بأعمال عنف وارهاب عشوائية ، فإن ادعاءها بكونها حارس القانون والنظام ومصدر السلطة الشرعية تُضعَّف بشكل خطير .

كما أن الارهاب وفق مقياس مناسب بإمكانه اعاقة عمل الحكومة . ففي ڤيتنام الجنوبية بين ١٩٥٩ و ١٩٦٤ ، اغتال الڤيت كونغ أكثر من ٦٠٠٠ من موظفي الحكومة الثانويين ، بما في ذلك مدراء مناطق ، شرطة ، موظفين في القطاع الطبي ، ومدرسي مدارس ، حيث كان العديد منهم يلعبون دوراً آخر كمخبرين للحكومة وعملاء للمخابرات . وقد كان ينظر إلى هؤلاء من قبل الفلاحين المحليين كعالم لسلطة غريبة عنهم فرضت عليهم بواسطة الحكومة المركزية في سايغون .

ولكن حملة الڤيتكونغ الارهابية كانت متناسقة مع تنظيم لحرب العصابات وعملية زرع التنظيم السياسي الشيوعي في القرى الڤيتنامية . فالارهاب لم يكن الأسلوب الرئيسي للعصيان الشيوعي في ڤيتنام الجنوبية . ومن ناحية أخرى ، فمع تصاعد الحرب الڤيتنامية

---

(6) Gurr, 1970, p. 354.

وتدخل الولايات المتحدة بشكل واسع فإن الارهاب استمر في لعب دور هام ، فتناقص التجنيد في الڤيتكونغ وجبهة التحرير الوطنية كان مترابطاً بشكل ايجابي مع عمليات الخطف المتصاعدة وذلك في نفس المناطق . وعقب هزيمة هجوم الشيوعيين للسنة الجديدة عام ١٩٦٨ ، فإن الارهاب في ڤيتنام الجنوبية بدأ في الظهور كشيء أساسي بهدف الحفاظ على تماسك كوادر الثائرين ، والإعلان عن الوجود وإن كان ضعيفاً ، وكذلك تعزيز موقع الشيوعيين في المساومة وذلك في المفاوضات الدولية(٧) .

حرب العصابات

على خلاف العصيان الشيوعي في ڤيتنام الجنوبية ، كانت الحركات الثورية الشيوعية في ڤيتنام الشمالية والصين خالية الى حد بعيد من الارهاب . وهذا يعكس الانشاء المبكر لمناطق آمنة تحت سيطرة الثوار تعمل كقاعدة لعمليات حرب العصابات والتنظيم السياسي ، كما أن ذلك يؤكد النتائج التي توصلنا إليها من حيث منفعة الارهاب (إذا كان هنالك ارهاب) في المراحل الدولية للتنظيم الثوري فقط ، فحيث يكون هنالك قاعدة متماسكة للتنظيم الثوري فإن الارهاب يكون غير ضروري ، وحتى معرقلاً لفعالية النشاط الثوري ، ونتيجة لذلك فإن هو شي منه وماو تسي تونغ كان لديهما القليل لقوله حول دور الارهاب في الثورة . فقد كان تركيزهما الأساسي حول أساليب حرب العصابات .

إلا أن حرب العصابات لم تكن مقتصرة على الثورة الشيوعية في آسيا ولا على التمردات الجماهيرية المسلحة في القرن العشرين . فبعض أشكال تنظيمات وأنشطة حرب العصابات ميزت معظم الجهود العنفية للشعوب الأصلية في مقاومتها الجماعية لغزو واضطهاد الأجانب ، خاصة عندما يكون الأجانب ذوي باع أطول في مجال التنظيم العسكري والسلاح . فالعبرانيون القدماء والرومانيون الأوائل كانوا على معرفة ببعض الأساليب البدائية لحرب العصابات . كما أن جيوش القيصر واجهت مقاومة عصابات في بلاد الغال . والجنود الفرنسيون والبريطانيون ، وبالتالي ، المغامرون والمستوطنون البيض القادمون من شرق الولايات المتحدة كانوا يواجهون أساليب حرب العصابات التي كان يقوم بها الهنود الأمريكيون وذلك في سبيل تجريدهم من الأرض التي كانت شيئاً أساسياً للاكتفاء الاقتصادي والثقافي للهنود ، كما أن القوات البريطانية في الثورة الأمريكية كانت كثيراً ما تتصادم مع قوات أمريكية غير نظامية غالباً ما كانت تنتهز فرصة الالتزام العسكري البريطاني بالحرب التقليدية . كما أن البوشمان في جنوب أفريقيا نظموا حرب عصابات ضد غزو البوير ، المنحدرين من أصل هولندي ، وهُزموا بعد صراعٍ طويل عام ١٧٩٥ . وفي النهاية ، فإن الثورة المضادة في فرنسا بعد عام ١٧٨٩ غالباً ما كانت تأخذ شكل حرب عصابات وذلك في الشيندي وأجزاء أخرى من غرب فرنسا .

---

(7) Fall, 1965; Mallin, 1966; Molner, 1965, Chap. 11; and Rolph , 1971, pp. 46-50.

إن كلمة « حرب العصابات » Guerrilla في اللغة الانكليزية ذات أصل اسباني حيث تعني في الاسبانية الحرب الصغيرة ، واستخدمت لأول مرة في وصف حركة المقاومة الشعبية ضد جيوش نابليون الغازية لاسبانيا عام ١٨٠٨ . وقد تعززت وحدة الفلاحين والأكليروس والنبلاء الاسبان في مقاومتهم لنابليون بالإخلاص العام لـ « الدين ، الملك ، والوطن » ، كما أن الجيوش الفرنسية لم تكن قادرة بشكل كامل على تهدئة الشعب الاسباني . غير أن اسبانيا نفسها وقعت في مشاكل فيما بعد نتيجة حرب العصابات في المستعمرات الأمريكية الاسبانية ، خاصة في كوبا حيث انفجر الصراع الطويل في النهاية على شكل حرب شاملة عام ١٨٩٦ .

وفي القرن العشرين، كان ت . ي . لورنس أول منظري حرب العصابات كما أنه ، في نفس الوقت ، كان قائداً لمحاربي عصابات . فقد قام لورنس بعملية مقارنة بين تحركات القطع البحرية في البحر وبين المصالح التكتيكية لأنصاره العرب في الصحراء . فبين عامي ١٩١٦ و ١٩١٨ ، قام مقاتلو حرب العصابات العرب بإضعاف الجيش التركي عن طريق الهجوم على خطوط اتصالاته وامداداته مع تجنب مواجهة عسكرية مباشرة .

لقد كانت أوراقنا عبارة عن السرعة والوقت ، وليس القوة الضاربة . إن اختراع لحم البقر المعلب كان مفيداً لنا أكثر من اختراع البارود ، حيث أعطانا قوة استراتيجية لا تكتيكية ، ففي الجزيرة العربية كان المدى أكثر من القوة ، والمكان أعظم من قوة الجيوش[8] .

خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، كانت حرب العصابات هي الأسلوب الذي طبع نضال حركات التمرد المسلحة في فلسطين ، اليونان ، يوغسلافيا ، الملايو ، سيلان ، الفيليبين ، الجزائر، وخلف الخطوط العسكرية في كوريا ، في الصين ، ڤيتنام ، لاوس ، وبورما ، في المناطق الجنوبية في عُمان والسودان ، في المستعمرات البرتغالية في أفريقيا ، وبعد ١٩٥٩ في كل بلدان أمريكا اللاتينية تقريباً . هذا لا يعني اعطاء لائحة كاملة ، ولكنه يعطينا فهماً أفضل لأهمية الدور الذي تلعبه حرب العصابات في الحركات الثورية ، كما أنه يمدنا بعينة معينة وذلك في سبيل اعطاء تعميمات حول خصائصها البارزة .

وكما في جادة الارهاب ، فإن حرب العصابات لا يمكن ان تنجح بدون دعم وتعاطف قطاع عريض من الشعب . فمقاتل حرب العصابات يعتمد بشكل كبير على استعداد الفئات الريفية أو المدينية تزويده بالطعام والملجأ والمعلومات والمجندين الجدد والتزام الصمت تجاه هويات وأنشطة المقاتلين عند الاستجواب وحتى التعذيب ، عند ذلك من قبل شرطة الحكومة أو عسكرها . وعلى ذلك فإن الأهمية القصوى لاكتساب دعم الفلاحين في حرب عصابات فلاحية تبرز في الاندلس في الخمسينات وفي سيلان عام ١٩٧١ ، قام مقاتلو حرب

(8) Lawrence, 1962, p. 199.

العصابات المحاصرون بالهجوم على القرى وعزلوا الفلاحين وذلك في سبيل سرقة الطعام والمال وبالتالي عزل الشعب الذي عليه كان اعتماده مما أعطى الانطباع بهزيمتهم الوشيكة من قبل قوات الحكومة . أما ضعف حركات حرب العصابات في أمريكا الجنوبية منذ أوج نشاطها بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ، خاصة في بوليڤيا وكولومبيا وفنزويلا ، فيمكن أن يفسر جزئياً باللامبالاة الظاهرة ، وحتى العداء ، الذي أبداه الفلاحون لمنظمي حرب العصابات وتمردهم المسلح . إن الخطأ الأول لثائر حرب العصابات هو أيضاً خطأه الأكبر : افتراض ، كما فعل تشي غيڤارا في بوليڤيا ، إن كل ما يحتاج إليه في سبيل ثورة ذات قاعدة فلاحية لا يتعدى وجود رجال مسلحين يدعون إلى التحرر من الاضطهاد .

في الصين وڤيتنام وكوبا ، كان هنالك حذر وحرص شديدان في سبيل اكتساب عطف ودعم الفلاحين ، وقد كان ذلك بسيطاً نسبياً في الصين وڤيتنام نتيجة الوجود الظاهر للقوات الأجنبية والسلطة الاستعمارية . وقد كان قادة الڤيت منه والڤيتكونغ حريصين على دفع مقاتليهم بمعاملة السجناء معاملة انسانية واحترام ملكية الفلاحين . وقد كان ماو غالباً ما يكتسب أنصاراً جدداً للشيوعية الصينية عن طريق ايضاح النتائج الصحية للاصلاح الزراعي الشيوعي لجنود الحكومة المأسورين (عادة ما يكونون من أصول فلاحية) ومن ثم يُطلق سراحهم مع اعطائهم شيئاً من المال كافياً لايصالهم إلى بيوتهم وقراهم . وقد أكد ريجي دوبريه على أهمية زيادة الوعي السياسي لدى الفلاحين عن طريق ضمان اتصالهم اليومي مع ثوار العصابات ، الذين يجب عليهم مشاركة الفلاحين ظروفهم المعيشية ، والعمل الى جانبهم ، وكذلك مساعدتهم مساعدة فعلية قادرة على تحسين الظروف المادية لحياة الفلاحين . أن احدى المزايا التي تستطيع الحركة استغلالها في سبيل اكتساب دعم الفلاحين هي شبكة علاقات القربى المتاحة لها . فكل مقاتل عامل في قريته أو منطقته يستطيع استغلال معارفه وأقاربه في سبيل الحصول على ملجأ ومجندين جدد ومعلومات[٩] . وبذلك فإنه وفقط مع وجود الدعم المحلي فإن مقاتلي العصابات قادرون على بناء قاعدة جغرافية ضرورية لتوسيع مدى عملياتهم العسكرية والسياسية . إن القاعدة المثلى لحرب العصابات عادة ما تكون في مناطق وعرة وذلك بهدف عرقلة حركة قوات الحكومة . كما أنها يجب أن تكون قريبة من حدود دولة صديقة للحركة ، حيث يتاح الملجأ للثوار وكذلك حيث تكون سلطة الدولة أقل رسوخاً . كما أنها يجب أن تكون قادرة على امداد الثوار بالكفاية الذاتية اقتصادياً . ولكن يجب الا تكون معزولة بحيث يكون الثوار بعيدون عن الشعب الذي يشكل ، مرة أخرى ، المصدر النهائي لقوتهم[١٠] . إن تأكيد دوبريه على أهمية الحركة الدائمة وضرورة التغيير اليومي لموقع قاعدة الثوار يعكس ضعف حركات حرب العصابات في أمريكا اللاتينية خلال الستينات . فبدون قاعدة للعمليات ، وبدون

(9) Molnar, 1965, p. 74.
(10) McColl, 1967.

« منطقة محررة » قادرة على اعطاء الحركة الفرصة لزرع تنظيمها السياسي ولايضاح برنامجها في الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي ، فإن الثوار سيكونون في عملية هرب دائم وسيكون هاجسهم الأول النجاة أو البقاء التكتيكي وليس الحصول على السلطة السياسية .

إلا أن قابلية التحرك بالفعل تميز المراحل الأولى والوسطى من العمليات العسكرية لثوار العصابات . فالكمين هو التكتيك العسكري الأساسي (وفي ڤيتنام الجنوبية مختلف أنواع الكمائن مثل شرك الغفلة) : فالمفاجأة والمناورة يجب أن يكونا في سبيل مصلحة الثوار ، ففي كل كمين ناجح يغنمون السلاح والعتاد ، ويخفضون من معنويات العدو ، وكذلك ، سياسياً ، يثبتون عدم مناعة الحكومة وبالتالي يعززون دعوتهم إلى الشعب الذي يكون عادة واقعاً تحت تأثير أسطورة جبروت الحكومة . وفي هذا المجال ، فإن مبادىء ماو في التكتيكات الملائمة للجيش الأحمر من الممكن أن تلخص فيما يلي :

١ ـ إن حرب العصابات صراع طويل الأمد ، والعدو يُهزم عن طريق الاحتكاك واضعاف المعنويات اكثر من مواجهة عسكرية حاسمة .

٢ ـ وعلى ذلك فإن الاشتباك العسكري يجب أن يُباشر عندما يؤدي إلى نتائج من مصلحة قوات العصابات فقط .

٣ ـ على الثوار أن يحافظوا على حركاتهم وتجنب حرب موضعية وبناء خطوط ثابتة للقتال .

٤ ـ على العمليات العسكرية أن تكون مصممة في سبيل تدمير القدرة القتالية لوحدات الحكومة المُهاجمة وليس فقط اجبارها على الانسحاب .

٥ ـ وعلى ذلك فإن قوات الثوار يجب أن تكون مُركزة وليست مشتتة ، وكذلك فإن العدو يجب أن يُهاجم في نقطة واحدة وليس في عدة نقاط في الوقت نفسه .

٦ ـ على وحدات الثوار أن تكون ذات اكتفاء ذاتي الى حد كبير ، كما ان التنظيمات اللوجستية وتنظيمات الامدادات يجب ان تبقى في أقل درجة من الظهور .

٧ ـ يجب على الحزب أن يكون مسيطراً على الجهاز العسكري .

٨ ـ على بنية الأمر في التراتبية العسكرية أن تكون مركزية ، ولكن على أن يسمح للمستويات الدنيا باستقلال تكتيكي في مجال تنظيم الثوار والعمليات .

٩ ـ على الثوار الا يقوموا بنهب الفلاحين أبداً وعوضاً عن ذلك يجب عليهم « معارضة أساليب العصابات ، والتمسك بانضباط سياسي صارم »[١١] .

ومن الواضح ان حرب العصابات ليست لشباب غض مندفع وراء مثالية رومانسية ، انها للمتمرسين من المقاتلين الذين تكون ظروفهم الحياتية في تدفق دائم ، ولكنهم دائماً قساة اشداء على ما لا يحتمل . ان حرب العصابات ، يكتب دوبريه ، « هي في المقام

(11) Mao Tse-tung, 1970, p. 416; Giap, 1964, and B. Schwartz, 1958, esp. pp. 189-90.

الأول امتحان قدرة على التحمل لمسيرات مطاردة في مناطق صعبة وليس سلسلة من الاشتباكات العسكرية ، والتي في الحقيقة يجب ان تتجنب وليس ان يُسعى لها . في هذا المنظور ، فإن الرومانسية سرعان ما تتلاشى »[١٢] . وهذا يفسر اهمية التجنيد الحذر في عملية بناء كادر الثوار ومركز ذلك الكادر من المقاتلين، فلا يمكن ان يضاف مجندون جدد الا بناءً على توصية شخصية من اعضاء موثوق بهم الذين بدورهم يكونون مسؤولين في حالة ارتداد او خيانة المجند . ولكن عندما يتحول الثوار نتيجة نجاحهم الى جيش كبير ، وعندما يبدأ الصراع الطويل الأمد بالتحرك نحو مرحلته الأخيرة من الاشتباك الحاسم وفق خطوط الحرب التقليدية ، فإن برنامجاً للتجنيد اقل تمييزاً يقام داعياً القاعدة الجماهيرية في المجتمع . فالإحتكاك وخفض معنويات قوات الحكومة بدأت في جني ثمارها ، كما ان النجاح العسكري المتصاعد للحركة يدفع المواطنين الريفيين والمدينيين للإنضمام الى الحركة . وكذلك فإن الشبكة التنظيمية اصبحت متطورة بشكل اصبحت معه قادرة على جعل الثوار يحرزون السلطة ويعززونها ويديرون المجتمع بعد هزيمة العدو . وتكون هزيمة العدو قريبة عندما تختنق الحياة في المدن نتيجة سيطرة الثوار على الريف (كما حدث في الصين عام ١٩٤٩) او عندما يواجه العدو هجوماً عسكرياً شاملاً (كما حدث للفرنسيين في ديان بيان فو عام ١٩٥٤) . .

الا ان هذا السيناريو المفرح للأحداث ، من منظور الثوار ، عادة ما يضطرب نتيجة نكسات متكررة ومصاعب غير متوقعة . فخلال اواخر الستينات فإن تطور أساليب محنكة للحرب المضادة توحي بانخفاض منفعة اسلوب حرب العصابات لتحقيق تغير ثوري في معظم ، ان لم يكن في كل ، المجتمعات المتخلفة والممزقة . وبناءً على ذلك فإن القسم التالي من الممكن ان يُقرأ من وجهة نظر سالبة ؛ ما يجب على حركات حرب العصابات في الثمانينات وما بعدها ان يتخذوه او يتجنبوه اذا كانت تريد زيادة حظها من النجاح الى الحد الأقصى .

اساليب الحرب المضادة لحرب العصابات

كانت الحرب المضادة في فيتنام الشمالية فاشلة بكل وضوح ، فبالنظر الى ما جرى كان بادياً ان كل ما كان يفعله الفرنسيون كان عاملاً في هزيمتهم . فباتباع « عقلية ادارية » مصرّة على تهدئة حتى ابعد المناطق الواقعة تحت الاستعمار ، فإن الفرنسيين رفضوا تركيز قواتهم في المراكز المدينية الأكثر سهولة في السيطرة عليها في الهند الصينية . عوضاً عن ذلك فإنهم سعوا الى الاحتفاظ بمواقع في مناطق جبلية حيث كان الفيت منه يتمتعون بأفضلية بارزة . وقد قاتل الفرنسيون تقليدياً ، من مواقع ثابتة ، وفي كثير من الاحيان كانوا يبالغون في نشر قواتهم التي كانت معتمدة بشكل اساسي على الامداد

(12) Debray, 1970, p. 457.

اللوجستي من المناطق المدينية . وقد كانت هزيمة الثوار تتطلب نسبة عناصر هي خمسة الى واحد علـى الاقل لصالح قوات الحكومة . غير ان الفرنسيين لم يكونوا قادرين على تعبئة اكثر من ٤٥٠٠٠٠ رجل مقابل قوات الڤيت منه البالغة ٣٥٠٠٠٠ بينما في اليونان ، هُزم الثوار من قبل قوات الحكومة نتيجة تمتعها بميزة ثمانية الى واحد . وفي الجزائر ، استطاع الفرنسيون في نهاية المطاف حشد ستة عشر جندياً مقابل كل ثائر جزائري مسلح[١٣] .

ومن ناحية اخرى ، لم يكن الفرنسيون قادرون على كبح جماح انشطة ثوار جيش التحرير الوطني في الجزائر وذلك بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٦ . فقد كان جيش التحرير الوطني يمارس نشاطه في الصحراء والمناطق الجبلية من الجزائر وكان متمتعاً بالدعم النشط او تعاطف معظم السكان العرب والبربر . الا انه في عام ١٩٥٦ ونتيجة للزيادة الكبيرة في حجم الجيش الفرنسي في الجزائر والتعديلات الاساسية في الاستراتيجية العسكرية الفرنسية فإن النجاحات السابقة للثوار اخذت في الانحسار . فعلى عكس جهودهم المضادة للثورة في الهند الصينية ، قام الفرنسيون في الجزائر بتركيز قواتهم العسكرية في المدن ومراكز النقل والمواصلات . كما انهم ايضاً قاموا باستخدام وحدات متحركة من المقاتلين المتمرسين (بما في ذلك قوات شبه نظامية وقوات التدخل الخارجي) وذلك في سبيل سبر اغوار البر الجزائري وملاحقة الثوار وتحطيم خطوط تموينهم ونظام اتصالاتهم ومخابراتهم . وقد ادى نجاح هذه التكتيكات والاحتواء االلاحق للنضالات المدينية لجيش التحرير الوطني عاملاً على دفع الثوار على الانتقال الى مناطق الحدود بمحاذاة تونس والمغرب ، ومن ثم قام الفرنسيون بمحاصرة المناطق العسكرية لجيش التحرير كل على حدة ، عازلين كل واحدة عن الأخرى وبالتالي عرقلة عملية التنسيق بين انشطة الثوار ، ومن ثم البدء بالهجوم على كل منطقة بالتتابع . وقد كان جزءاً اساسياً من النشاط الفرنسي المضاد للثورة متعلقاً بإعادة توزيع ما يقارب المليونين من الفلاحين وافراد القبائل الجزائريين في مناطق تسيطر عليها الحكومة بشكل افضل . وبالتالي اصبح جيش التحرير الوطني معزولاً وغير قادر على مباشرة عمليات قتالية فعالة . الا ان القمع المميز للحملة الفرنسية المضادة للثورة ، وآثار برنامج اعادة التوزيع بشكل خاص ، ادت الى تصعيد الوطنية الجزائرية بعلاقة غكسية مع النجاحات العسكرية للفرنسيين ، كما ان التكاليف الباهظة للحرب ، بالإضافة الى الانقسامات في الحكومة الفرنسية في باريس وتعبها من الحرب ، كل هذه الأمور وضعت الاساس للاستقلال الجزائري اللاحق[١٤] .

إذاً ، فإن الحرب المضادة لحرب العصابات انما هي عبارة عن صراع من قبل الحكومة وذلك في سبيل كسب عقول وتعاطف السكان الاصليين . وعلى ذلك فإن الثوار ،

(13) Kelly, 1970, p. 427.
(14) Wolf, 1969, 1969, pp. 238-41; Murray and Wengraf, 1963.

وان هُزموا ، يجبرون الحكومة على التكفير عن سنوات من الاهمال والاستغلال، ويرينا سجل التاريخ ـ للملايين التي عانت ـ بأن العنف بالفعل قادر على اجبار الحكومات على تنفيذ التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الملحة(١٥) .

فسقوط فيتنام الجنوبية في ايدي الشيوعيين عام ١٩٧٥ ، اكد الشكوك المسبقة للعديد من دارسي سياسات منطقة جنوب شرق آسيا : ذلك ان برنامج الاصلاح الزراعي ، الذي انجزته حكومة فيتنام الجنوبية اخيراً عام ١٩٧٠ ، كان مثالاً تقليدياً على عمل الشيء بعد فوات الأوان . كما ان الحرب المضادة للعصيان قد تعرقلت ايضاً نتيجة القمع المميز لبرامج سايغون والولايات المتحدة المضادة للثوار . فاجتثاث الغابات ، والحرب الكيماوية، وتدمير المحاصيل والحيوانات ، والقصف غير المميز ، وكذلك ضرب وتعذيب الأسرى من الفيتكونغ او المشكوك في امرهم ، كل هذه الامور كانت تؤكد الدعاية الشيوعية . كما ان برنامج القرى الصغيرة الاستراتيجي ، والذي كان يهدف الى عزل الفلاحين عن ثوار العصابات (كما حدث في الجزائر والملايو) ، ابتدأ بالترحيل الاجباري للفلاحين من بيوتهم وقراهم ، والتي غالباً ما كانت تُدمر من قبل قوات الحكومة مع عملية اخلاء السكان .

حقيقة ان القمع الكثيف قادر على النجاح ، مؤقتاً على الأقل ، في بتر انشطة ثوار العصابات . الا ان النجاح الدائم للحرب المضادة للعصيان تعتمد على الاقناع وليس القمع ـ ان عقول وعواطف الناس تكتسب عن طريق اقناعهم بأنه من الارجح ان حياتهم سوف تكون افضل في ظل الحكومة القائمة ، وليس عن طريق تدمير محاصيلهم وبيوتهم وقتل اصدقائهم واقاربهم . فعندما تبلغ انتفاضة ثوار العصابات حداً لا يمكن ان تُهزم فيه الا عن طريق تدميرٍ شامل للموارد الطبيعية والقتل غير المميز للمواطنين ، فإنه من الأرجح ان العقلاء من الناس سيرتابون بقبول تبرير هذه التكاليف الانسانية بهزيمة الثوار .

لقد كانت حملة الحكومة الفلبينية الناجحة على ثوار عصابات الهوك ، والتي انتهت خلال عام ١٩٥٤ ، متضمنة جهوداً اساسية نحو الاصلاح الزراعي والسيطرة على العنف اللامميز للقوات الحكومية . فقد أُسس « مكتب الشكاوي العسكري » لإجراء بحث حول كل التهم المتعلقة بالأعمال الوحشية العسكرية ، كما ان عقوبات قاسية اتخذت ضد موظفين حكوميين في قضايا فعلية .

كما ان نجاح البريطانيين في الملايو وكينيا يؤكد ايضاً اهمية تقليل الاحتكاك بين المواطنين وبين قوات الحكومة في الحرب المضادة للعصيان . ففي الملايو اثبتت الشرطة الفدرالية المنشأة خصوصاً لهذه الظروف فعالية اكبر في التعامل مع السكان الاصليين من القوات الحكومية ، خاصة في المناطق الـتي قطنتها الشرطة والتي كانت تحت اشرافها كما ان افراد الشرطة كانوا معروفين لدى السكان المحليين . وبالمقارنة بين الجهود المضادة للثورة في الجزائر وفيتنام الجنوبية ، فقد كان برنامج القرى الصغيرة الاستراتيجي في

---

(15) Moore, 1966, p. 505; Gurr, 1970, p. 358; and Iglitzin 1972, p. 150.

الملايو مقاماً لحد كبير على اساس الاقناع وليس الاكراه : فقد كانت خطة برغس المتضمنة اعادة توطين اربعمائة الف من الملاويين في ٤١٠ «قرية جديدة» ، تحت الرقابة البوليسية بشكل اكبر ولكنها ايضاً وعدت المواطنين بظروف معيشية افضل وخدمات صحية وتعليمية افضل . فالفلاحون الصينيون المالكون للأرض بوضع اليد اعطوا عقود ايجار لزراعة اراضيهم ، والخروج على الثوار كان مُشجعاً من خلال اقناع اصدقاء واقارب ثوار العصابات لهم بالخروج (وخاصة في كينيا) اكثر منه من خلال الدعاية الحكومية . فمن خلال هذه الاحتكاكات الشخصية وُعد المنشقون بمكافآت نقدية وتدريب عملي لتطوير المهارات الوظيفية بدلاً من العقاب . كما ان البريطانيين ايضاً قاموا بتعجيل برنامجهم المتعلق بحكومة ذاتية ملاوية وانشأوا احزاباً سياسية وحكومة ائتلافية مشكلة من ممثلين من كافة الجماعات الاثنية الاساسية في الملايو ، بما في ذلك الصينيين المحليين والذين كانوا قاعدة التجنيد لثوار العصابات الشيوعية .

وقد كان جانب الاقناع في الحملة المضادة للعصيان في الملايو مدعماً بواسطة استخدام وحدات صغيرة متحركة من مقاتلي الادغال المتمرسين ومركزة كل عمليات المخابرات في مكتب المفوض السامي البريطاني . كما ان حدود الملايو مع تايلاند أُقفلت في وجه ثوار العصابات وبالتالي حرمانهم من الملجأ والامداد الخارجي ، وبالتالي اصبحوا غير قادرين على اقامة قاعدة ثابتة للعمليات . وبذلك فإن الانشطة المعادية للعصابات بالتالي اصبحت افضل تنسيقاً من انشطة ثوار العصابات انفسهم ، كما ان تصفية ميزتهم العسكرية عُززت من خلال اقامة نظام الهوية لكل المواطنين والرقابة الدقيقة على توزيع الطعام : ففي المناطق الكثيفة الثوار ، كانت السلع المعلبة تُحرق لمنع الثوار من تكديس امدادات غذائية كبيرة . وقد كان البريطانيون ، في تنفيذهم لبرنامجهم في قمع العصيان ، مستندين بنظام للخدمة المدنية افضل تدريباً ومهارة ، حيث كانت كفاءته الادارية اسبق بكثير من انظمة الخدمة المدنية الفاسدة للكومنتانغ في الصين ولحكومة سايغون في فيتنام الجنوبية . اذ ان افضل برنامج لمقاومة العصيان على الورق من الأرجح ان يبقى حروفاً ميتة اذا كان اولئك المسؤولين عن تنفيذه وعن مساعدة السكان المدنيين مهتمين بالكسب الشخصي اكثر من اهتمامهم بالصالح العام(١٦) .

وقد كان العجز الاداري والفساد السياسي لنظام حكم باتيستا في كوبا من العوامل المعرقلة للجهود المضادة للعصيان ايضاً ، حيث كان النظام غير عالم وسائل مكافحة العصيان المطورة من قبل الفرنسيين والبريطانيين في آسيا وافريقيا . ومن ناحية اخرى فإن نجاح كاسترو في كوبا عام ١٩٥٩ كان يعني بأن اساليب ثورية مشابهة قد تخفق على الأرجح في مواضع اخرى من أمريكا اللاتينية . فحكومات امريكا اللاتينية كانت قد بدأت تعي وتتجاوب مع التطورات الهامة التي حصلت في اساليب الحرب المضادة للعصيان

(16) Thompson, 1966; Molnar, 1965, esp. Part VI; and Burton, 1976.

والثورة وبالتالي فإنها خلال منتصف الستينات كانت وبشكل فعال استطاعت ان تتخلص من خطر حرب عصابات فعالة وواسعة الانتشار . فمن خلال الامدادات العسكرية الكثيفة وبرامج التدريب الامريكية ، استطاعت هذه الحكومات التنسيق بين برامج العفو والاغراء وبين المهارات القمعية لوحدات التجول المتحركة المزودة بأحدث الاسلحة . وحتى حكومة باتيستا ، بكل نقاط ضعفها ، كان بإمكانها جداً ان تنجح في تغيير مصير ثوار كاسترو في السييرا مايسترا بشيء يسير من الرقابة بواسطة حفنة من المقاتلات العمودية . ان ظهور محاربي عصابات مدينيين في امريكا اللاتينية في اواسط الستينات ، خاصة التوباماروس في الاورغواي ، كان يشير في الحقيقة الى فاعلية أساليب مقاومة العصيان والامكانية المنخفضة لتنظيم العصابات في ريف امريكا اللاتينية .

الا ان الثوار ذوي القاعدة المدينية يستحقون لقب « ارهابيين » اكثر من لقب « محاربي عصابات » . فحركتهم محدودة جداً ، كما انه من المستحيل عليهم ان يركزوا وان ينقلوا مجموعات من الرجال المسلحين ، وكذلك فإنه من الواضح انه تنقصهم امكانية انشاء قاعدة ثابتة ومنطقة محررة لأغراض العمليات الثورية والحكم . فاغتيال احد عملاء القمع الحكومي ، والهجوم العرضي على الشرطة او اختطاف رجال الدولة او مواطنين اثرياء في سبيل اطلاق سراح رفاق معتقلين ، ولإجبار الحكومة على توسيع مدى الحريات المدنية ، او لتحصيل اموال عن طريق الفدية (حتى لو وزعت هذه الفدية على الفقراء المدينيين والعاطلين عن العمل)، كل هذه الامور لا تمثل اكثر من ازعاج للنظام اكثر من كونها خطراً ثورياً . ان ضعف كلا الارهابيين المدينيين ومحاربي العصابات الريفيين ، في الوقت الحاضر وفي المستقبل المنظور في معظم بلاد العالم ، يشير الى ضرورة تطوير اساليب جديدة اذا كانت الحركات الثورية تسعى الى تدعيم فرصها في النجاح ، غير انه، من ناحية اخرى ، فإن اسلوباً قديماً دائماً تقريباً في متناول اليد ، ومن الارجح ان يبقى اسلوباً رئيسياً في عملية التغير السياسي ـ ذلك هو الانقلاب .

الانقــلاب

ان الكلمة الفرنسية coup تحمل نفس المعنى الذي تحمله الاصول اللاتينية والاغريقية للكلمة ، « انفجار » ، اما كلمة coup d'état فتعني حرفياً « تفجير » او « الاطاحة بالدولة » . اذن فالمفهوم يتضمن اساساً الاستيلاء على السلطة بشكل مفاجيء وغير دستوري من قبل افراد او جماعات يتمتعون بمناصب في السلطة السياسية .

يتمثل هذا المعنى بكل دقة من خلال الانقلاب الذي قام به لويس ـ نابليون بعد انتخابه رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية عام ١٩٤٨ . ففي الثاني من كانون اول (ديسمبر) عام ١٨٥١ قام بحل الهيئة التشريعية وقامت قوات الحكومة باحتلال المكان الذي كانت تنعقد فيه . وقمعت انتفاضة لعمال باريس . وسرعان ما أقر تولّي هذه السلطة الدكتاتورية (في كانون ثاني ١٨٥٢) وذلك بواسطة استفتاء شعبي تميز بإرهاب الناخبين

والتلاعب في الانتخابات . الا ان لويس ـ نابليون بالرغم من ذلك كان يتمتع بقاعدة شعبية عريضة ، وكان قمعه للجمهوريين راديكاليي الطبقة العاملة مؤيداً من قبل المحافظين الفرنسيين ، بما في ذلك اكثرية الفلاحين ، والجيش ، واعضاء المؤسسة الكنسية . وهذا بدوره يشير الى انه مهما كان اسلوب الانقلاب مفاجئاً وفعالاً ، فإن قابلية الاستمرار للنظام الجديد تعتمد على مدى التمثيل الذي يشكله لمصالح المواطنين الملتفين حوله . وكذلك فإن الانقلاب الناجح ، كما في حالة الارهاب او حرب العصابات ، يتضمن شيئاً اكثر من مجرد مهارة وطموحات اولئك المسؤولين عن اطلاق الرصاص او حشو صناديق الاقتراع . ان فرص الانقلاب في نجاح دائم تتزايد كلما كان المشاركون فيه متحدين فيما بينهم ، وكلما كان اختراقهم للنظام اعلى وذلك قبل الانقلاب ، وكلما كانوا قادرين على خلق دعم شعبي قبل وبعد الانقلاب ، وكذلك كلما كانوا قادرين على تفادي اساليب اخرى للعنف السياسي تعتمد على حشد اعداد كبيرة من المواطنين . فعصيان جماهيري او اضراب عام ، على سبيل المثال ، اصعب في التحكم فيها ، اذ انها تعطي الفرصة لأجهزة الدولة القمعية لنشر واستخدام قوتها وبالتالي تضع الاساس لنشاط ثوري من الممكن ان يهدد الاهداف المحددة للقائمين بالإنقلاب .

ان الأهداف السياسية الممثلة بأنقلاب من الممكن ان تكون واسعة النطاق : من الرجعية (انقلاب لويس ـ نابليون في ١٨٥١ او ، عام ١٩٢٣ ، انقلاب الجنرال بريمو دي ريفيرا على البرلمان الاسباني) الى المحافظية conservatism الى التغير الاجتماعي ـ الاقتصادي الجذري . فمعظم الانقلابات العسكرية في امريكا اللاتينية منذ اواسط الثلاثينات كانت محافظة في تطلعاتها ، هادفة الى « صد الاغلبية المنتخبة » ومنع السياسيين الاصلاحيين من تهديد وضع اوليغاركية راسخة[١٧] . كما ان تروتسكي والبلاشفة اوضحوا ان الانقلاب من الممكن ان يخدم مصالح ثورة يسارية . ان قدرة الانقلاب على التكيف مع مختلف الاهداف السياسية تعكس الاختلاف في الظروف التي يستطيع الانقلاب فيها مواجهة الدولة . الا اننا غالباً ما نكون بصدد محاولة تغيير ثوري كلما ضم القائمون بالانقلاب الى صفوفهم عناصر من خارج الجهاز الحكومي وكلما كان الاستيلاء الفعلي على السلطة مترافقاً مع عنف جماعي .

ان القصد الثوري لمهندسي الانقلاب يكون واضحاً بشكل خاص عندما ، وذلك بعد الاستيلاء على السلطة ، يحاولون اقامة بُنى لتنظيم سياسي خارج اطار الحكومة القائمة والنظام الحزبي . وقد كانت هذه هي الحالة في كل من مصر وبوليفيا بعد ١٩٥٢ عندما قامت انقلابات عسكرية قلبت الانظمة القائمة كمقدمة لجهود في سبيل تحولات اجتماعية ـ اقتصادية بعيدة المدى . الا انه وعلى خلاف الحركات الثورية القائمة على اساس حرب العصابات او اي اساليب اخرى للحشد الجماهيري ، فإن الايديولوجية غالباً ما تلعب دوراً

---

(17) Needler, 1966.

ضئيلاً في الحركة الثورية النابعة من انقلاب . فبرامج عبد الناصر الاصلاحية بعد عام ١٩٥٢ ، مثلاً ، كانت تتصف بالارتجالية اكثر من التوجه المذهبي ، ولم تبرز ايديولوجية متماسكة نسبياً في الاشتراكية في مصر الا عام ١٩٦١ فقط[١٨] .

وبذلك فإن الانقلاب اصبح يعني اي تغيير في جهاز صنع السياسة بناءً على اجراءات غير دستورية ، سواء كان القائمون بالإنقلاب يتمتعون بسلطة سياسية مسبقة او لا . الا انهم غالباً ما يمتلكون قاعدة مؤسساتية للسلطة في النظام السياسي القائم (وخاصة في المؤسسة العسكرية)[١٩] ، وكذلك توجهاً غير ايديولوجي بشكل كبير ، ودعم تنظيمي منخفض (خاصة بالمقارنة مع منظمي حرب العصابات) ، كما ان العنف وعدد المواطنين المشاركين في الاستيلاء على السلطة غالباً ما يكون صغيراً نسبياً . وكما في حالة « الثورة » او « العملية الثورية » فإن مشكلة تعريف « الانقلاب » تقع في خانة اكثر ـ او ـ اقل ، وليس اما ـ او .

ان قدرة الانقلاب على التكيف مع الأهداف السياسية والاجتماعية المختلفة تصور غالباً عن طريق بيان اوجه الشبه بين استيلاء البلاشفة على السلطة عام ١٩١٧ والاساليب الموظفة من قبل الفاشيين الايطاليين عام ١٩٢٢[٢٠] . ففي الحقيقة ، يبدو ان موسوليني وقادة فرقة القمصان السوداء كانوا قد درسوا بدقة اساليب الانقلاب التي نفذها تروتسكي ، الذي رفض استراتيجية الاضراب العام والعصيان الجماهيري المسلح التي أيدها ستالين ولينين من خلال وجهة نظره القائلة « بالقيام بالهجوم الرئيسي على الحكومة من خارج بتروغراد » ، وذلك بالاعتماد بصفة رئيسية على « قوات عسكرية من فنلندا »[٢١] . غير ان تروتسكي ادرك بأن القوة التنظيمية للبلاشفة ، وتأييد او حياد الحاميات العسكرية ، وضعف الحكومة المؤقتة ، كل هذه الأمور تؤدي الى استخدام اساليب ثورية بتكاليف اقل ، كما ان « فن العصيان » ما هو جزئياً الا تطبيق اقل قدرة من القوة الضرورية للاستيلاء على المراكز الاستراتيجية للسلطة .

وكذلك فإن كلاً من البلاشفة والفاشيين الايطاليين كانوا قادرين على تحييد او الحصول على تأييد الجيش والشرطة . وكلا الفريقين كان معتمداً على فعالية وحدات شبه عسكرية من المقاتلين المسلحين والتقنيين ، وقد كان هؤلاء الأخيرين من المهرة في عمليات التلفون والتلغراف ، والمنشآت الكهربائية وانظمة التوجيه في الخطوط الحديدية والمرور . كما ان كلا الفريقين ركز على عدم رغبة وعدم قدرة الحكومات القائمة على الفعل السريع والحاسم تجاه الخطر الثوري . وكلا الفريقين ، عند ساعة الصفر ، قام باحتلال

---

(18) Beling, 1970, p. 191.
(19) Huntington, 1968, p. 218.
(20) Hunter, 1940, pp. 213-49.
(21) Trotsky, 1957, Vol. III, p. 135.

المراكز الرئيسية للإتصالات والمواصلات . وقد كان البلاشفة قادرين على الاعتماد على سيطرتهم على التنظيمات الجماهيرية ومجالس السوفيت المنظمة من قبل العمال والجنود والفلاحين . كما ان الفاشيين ، قبيل « مسيرتهم الى روما » في تشرين اول (اكتوبر) عام ١٩٢٢ ، كانوا مسؤولين على السلطة في توسكانا . وبذلك فإن تعيين موسوليني رئيساً للحكومة من قبل الملك وحل البلاشفة للمجلس التأسيسي (الذي كانوا فيه أقلية) انما اقر الأمر الواقع فقط .

الا ان هذه ليست الحالة في معظم الانقلابات التي حدثت في بلاد العالم الثالث في آسيا وافريقيا والشرق الأوسط وامريكا اللاتينية . ففي هذه البلدان كان الانقلاب الناجح يتضمن مشاركين اقل ومستويات ادنى من العنف والتنظيم عنها في حالة استيلاء البلاشفة والفاشيين على السلطة . فقد كان معظم هذه الانقلابات متزعماً من قبل ضباط صغار او متوسطي الرتب في الجيش . الا ان السياسيين والموظفين العامين ورجال الاعمال البارزين كانوا غالباً ما يلعبون دور سند مهم[٢٢] .

الا ان الجيش ، من ناحية اخرى ، هو الطرف الاكثر احساساً بشكل خاص بالحاجة الى التحديث وذلك في سبيل زيادة القوة العسكرية للدولة . كما ان الجيش ايضاً غالباً ما يكون اقل احتمالاً للإنقسامات في صفوف السياسيين المدنيين والمعدل العالي للفساد الملازم غالباً للبيروقراطية الحكومية في معظم المجتمعات ما دون النامية . ان استيلاء الجيش على السلطة يكون يسيراً عندما تكون السلطة السياسية مركزة بشكل كبير في ايدي ثلة من الساسة المتمركزين في العاصمة ، وحيث تلعب وسائل الاتصال العامة دوراً ضعيفاً في الاتصالات السياسية ، وحيث يكون السكان المدنيون قليلين، واخيراً حيث يكون معظم المواطنين غير منظمين وبدون اتجاه سياسي قائم . ومن الواضح ان هذه الشروط لانقلاب ناجح غالباً ما تكون متوفرة في مجتمع غير نامي ، صغير في السكان والحجم الجغرافي ، وحيث تكون شرعية الدولة قائمة على الشخصية السياسية اكثر من كونها قائمة على السلطة المؤسساتية .

ان امكانية الانقلاب تكون عالية بشكل خاص عندما يكون السياسيون المدنيون ـ الذين غالباً ما يكونون مقيدين باقتصاد معتمد على سلعة تصديرية واحدة ـ غير قادرين على اشباع التوقعات الشعبية الناتجة عن الفوز بالاستقلال من سلطة استعمارية ولكن عندما يستولي الجيش على عنان السلطة ويجد نفسه مواجهاً بنفس المشكلات العنيدة التي غمرت سابقيه ، فإن خشبة المسرح تكون معدة لصراعات اجنحة في الجيش وبالتالي بداية سلسلة لامتناهية من الانقلابات . ويصبح الانقلاب عرفاً قائماً في الحياة السياسية كما ان تكراره يعطيه حتى نوعاً من الشرعية شبه الدستورية .

---

(22) Stepan, 1971.

إن هذا يفسر المعدل العالي للانقلابات العسكرية في العالم غير النامي منذ الحرب العالمية الثانية . لقد كان هنالك أربعة عشر انقلاباً ناجحاً في الخمسة والثلاثين بلداً افريقياً مستقلاً غير أبيض بين ١٩٤٦ و ١٩٦٧ ، كما أنه كان هنالك عدد أكبر من الانقلابات الفاشلة والعصيان المسلح والتمردات العسكرية في نفس هذه البلدان(٢٣) . وبين الست والخمسين دولة التي نالت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، فإن ثلث هذا العدد كانت حكوماته قد أطيح بها حتى عام ١٩٦٨(٢٤) . وحتى في الدول الأقدم في أمريكا اللاتينية فقد كان هنالك واحد وثلاثون انقلاباً ناجحاً بين ١٩٤٥ و ١٩٥٥ ، هذا وقد قام احد الدارسين للسياسة في أمريكا اللاتينية (ي . فوسوم) باحصاء خمسة وتسعين انقلاباً ناجحاً في الدول الأمريكية اللاتينية العشرين بين ١٩٠٧ و ١٩٦٦(٢٥) . من ناحية أخرى فقد كانت السبعينات عقداً بارزاً في الانقلابات الناجحة ، حيث استطاعت النخب العسكرية الاستيلاء على السلطة في أوقات مختلفة في الاكوادور والهندوراس والأرغواي وغانا والنيجر واوغندا(٢٦) . وهذه ليست قائمة كاملة. فليست هنالك قائمة تستطيع حتى ادعاء مقاربة الكمال بدون أخذ بوليفيا في الاعتبار وهي التي شهدت انقلابات ناجحة في أعوام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ . ذلك العنف المولد للعنف يتبين من خلال العلاقة الوطيدة بين المعدل العالي للانقلابات والنضال السابق ضد الاستعمار والمتميز بصراع حاد طويل الأمد : فثلثا البلدان الواقعة في هذا التصنيف شهدت انقلاباً ناجحاً بعد الفوز باستقلالها(٢٧) . كون الانقلاب يولد انقلاباً آخر يتبين من خلال تركز الانقلابات في حفنة من البلدان ، وخاصة في أمريكا اللاتينية : فعلى سبيل المثال ، خلال ما يقارب ١٦٠ عاماً من الاستقلال، سجلت بوليفيا ١٨٩ انقلاباً وانتفاضة، كما أن الرقم المقابل في الهندوراس هو ١٣٧ .

إن العامل الحاسم المساعد على تفسير تواتر الانقلاب هو المدى الذي كان عنده الفوز بالاستقلال السياسي مرافقاً بنمو تنظيم جماهيري ذو اتجاه نحو تغيير اجتماعي ـ اقتصادي . وهنا يتبين أيضاً الفائدة الجلية للثوار المتبنية ايديولوجية قائمة على القومية . تلك الايديولوجية التي تأخذ أبعد وأقوى تعبير سياسي لها من خلال أسلوب حرب العصابات الموجهة من قبل حزب ثوري قوي . ففي أمريكا اللاتينية على وجه الخصوص ، فإن الضعف النسبي للحركات الثورية والمعدل العالي للانقلابات انما يعكس الأحراز المبكر للاستقلال من اسبانيا والبرتغال (في أوائل القرن التاسع عشر) ، وذلك قبل حلول التحديث الاجتماعي والاقتصادي. فحركة الاستقلال في هذه البلدان كانت بشكل كبير شأن

(23) Luttwak, 1969, pp. 17-24.
(24) Von der Mehden, 1969, p. 92.
(25) Kling, 1956. Fossum's Findings are reported in Gurr, 1970, p. 219.
(26) Miller, 1971.
(27) Von der Mehden 1969, p. 92.

النخب الوطنية ، والايديولوجية القومية كانت هادفة لتطويق الأوليغمار كيان ذات الطابع الاقطاعي في أمريكا اللاتينية ، ساعية الى توحيد ملاك الأراضي والكنيسة والجيش وذلك في سبيل الحفاظ على مواقعها الاجتماعية وثرواتها وسلطتها السياسية[٢٨] . وبذلك فإن الراديكاليين والثوريين المعاصرين في معظم بلدان أمريكا اللاتينية (باستثناء كوبا وتشيلي) كانوا غير قادرين على اعطاء جهودهم طابعاً قومياً مناهضاً لحالة واضحة من الاستغلال الاستعماري . إن تواتر الانقلابات في أمريكا اللاتينية ما هو الا نتيجة للامكانية الثورية المنخفضة (وليست المرتفعة) لهذه المجتمعات . اذن فإنه من خلال الانقلاب العسكري يرى المواطنون ذوو التطلعات (وخاصة في الرتب العسكرية الصغرى) أن بامكانهم التعبير عن مطالبهم من مؤسسات المجتمع القائمة . فبالنسبة لهم ، فإن القضية ذات علاقة بالوضع الشخصي ، والسلطة السياسية ، والتوزيع القائم على المحسوبية أكثر من كونها ذات علاقة بتغير اجتماعي جذري . ويتفق العديد من دارسي الانقلابات العسكرية على وجه العموم وأمريكا اللاتينية على وجه الخصوص على أن وظائف الانقلاب مشابهة لوظائف الانتخابات والاستفتاءات الشعبية في المجتمعات الاكثر استقراراً . في هذا المعنى ، فإن الانقلاب انما يمثل وسيلة مؤسساتية للمنافسة السياسية[٢٩] . وهذا صحيح على وجه الخصوص في الأنظمة السياسية ذات الأحزاب الضعيفة وبالتالي ، حيث يكون هنالك القليل من (اذا كان هنالك شيء على الاطلاق) قنوات التعبير عن المعارضة السياسية . في هذه الحالة فإن الجيش يصبح الوسيلة الأساسية ، وفي بعض الحالات الوحيدة ، للمعارضة السياسية وتحسين الأوضاع الشخصية[٣٠] الا أنه من الواضح أن استخدام الانقلاب في سبيل منافع شخصية أو سياسية ضيقة غير متّسق مع السعي الى أهداف ثورية . ومن المفيد هنا التكرار بأننا نستطيع الحكم بعد حدوث الواقعة فقط يكون الانقلاب جديراً بالتصنيف كجزء من عملية ثورية في مجتمع معين أو لا . ومن المرجح أن تكون هذه هي الحالة فقط عندما تقوم النخبة الجديدة بتنظيم دعم سياسي مقام على قاعدة جماهيرية وخارج البنية القائمة للسلطة . وإلا فإن قادة الانقلاب الناجح يقيمون الأساس لهزيمتهم بأنفسهم (انقلاب آخر) كلما دفعوا الى الامام برامج تهدد التوزيع السائد للأوضاع والثروة والسلطة . يقول ساموبل هنتينغتون بأن أهداف الجيش ووظائف الانقلاب تختلف بناءً على نوعية النظام السياسي ومستوى الحداثة في المجتمع[٣١] . فعندمايكون مستوى التحديث منخفضاً ويكون النظام السياسي قائماً على أوليغاركية ضيقة ، فإن الجيش يميل الى أن يلعب دوراً ثورياً . وتصور مصر عام ١٩٥٢ هذه النقطة ، فهزيمة اسرائيل للجيش العربي في ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ساعدت على زيادة احساس الجيش المصري

---

(28) Beals, 1970, pp. 9-10.
(29) Degalo, 1976; Bwy, 1968; Rapoport, 1966; Huntington, 1962, Blanksten, 1958; Kling, 1956.
(30) Huntington, 1968, pp. 408 and 422; Taylor, 1970; Putnam 1967, p. 98.
(31) Huntington, 1968, p. 221.

بالحاجة الى تغيير داخلي جذري .

ولكن عندما يكون المجتمع مجتازاً لفترة تحديث ، وتكون الطبقات الوسطى في فترة نمو في الحجم والقوة ، وعندما يقوم النظام السياسي بتوسيع مدى الفرص لمشاركة شعبية ، فإن دور الجيش وأهداف الانقلاب تأخذ طابعاً محافظاً متزايداً . ففي كوريا الجنوبية وتركيا عام ١٩٦٠ ، وفي اليونان عام ١٩٦٧ ، ومرة أخرى في تركيا عامي ١٩٧٢ و ١٩٨٠ ، فإن الجيش تدخل لكبح اندفاع ظاهر نحو اليسار ولتقوية يد الحكومات المهددة من قبل عنف شامل (تميز خاصة بتململ طلابي) . انه لمن الجلي انه في معظم المجتمعات الحديثة والأنظمة السياسية الراسخة فإن الجيش إما أن يكون خاضعاً لسيطرة المدنيين أو يعتمد عليه فقط في لعب دور رجعي ، خاصة في حالة تهديد عنف سياسي يساري .

مع الأخذ في الاعتبار الاتجاهات الظاهرة نحو التحديث على الصعيد العالمي ، فإننا على ذلك من الأرجح أن نكون مصيبين أكثرمن كوننا مخطئين بالاستنتاج بأن الانقلاب مثله في ذلك مثل أساليب الارهاب وحرب العصابات ذو منفعة متناقصة في المبادرة الى التغير الثوري . هذا لا يعني القول إن الانقلاب ، سواء كان منفذاً كتعبير عن تململ شعبي أم لا ، سوف يتوقف عن لعب دورة كأداة للتغيير في أفراد النخبة الحاكمة . ولكن في الحقيقة من الممكن أن يكون صحيحاً القول بأن الثورة المميزة بشكل فريد للمراحل المبكرة من عملية التحديث وللمشاعر القومية القوية للحركات المناهضة للاستعمار ، عبارة عن اثر من الماضي أكثر من كونها وعداً للمستقبل. وبالتالي فإن الثوريين المعاصريين يجب عليهم التركيز أكثر على الخصيصية المتكررة للعملية الثورية : الدعم الخارجي الذي تستطيع الدول الأجنبية اعطاءه للحركات الثورية خارج حدودها .

للفحص

بعض الافتراضات

١ ـ مقارنة بالانقلابات والارهاب ، فإن حرب العصابات أكثر اتصالاً بالمجتمعات الفلاحية ، والايديولوجيات اليسارية ، والقدرة المنخفضة على اختراق النظام ، والتنظيمات الثورية القوية ، والصراع الطويل الأمد ، والتدخل الأجنبي .

٢ ـ تحدث الانقلابات غالباً في البلدان التي هي ،

أ ـ ناقصة النمو اقتصادياً ،

ب ـ حديثة الاستقلال ،

ج ـ حصلت على الاستقلال من خلال العنف وليس عن طريق وسائل سلمية ،

د ـ ذات تاريخ في الانقلابات .

بعض الفرضيات

١ ـ كلما كانت امكانية المجتمع الثورية منخفضة ، كلما كان الاتجاه نحو العنف والارهاب اكبر .

٢ ـ كلما كان اعتماد الثوار على الارهاب أكبر ، كلما كان حظهم في النجاح اقل .

٣ ـ تزداد فرص نجاح مقاومة الثورة كلما كان مقاتلو حرب العصابات ،

أ ـ مضطرين الى سلب وارهاب السكان ،

ب ـ مفتقدين الى قاعدة عمليات جغرافية أمينة ،

جـ ـ منعزلين عن السكان ،

دـ أقل عدداً بنسبة مقدارها خمسة الى واحد على الأقل ، بالعناصر المسلحة .

هـ ـ سبباً (غير مباشر) في دفع الحكومة على تنفيذ اجزاء من برنامجهم .

الفصل التاسع

الدعم الخارجي

الملاذ والامداد

في المراحل الأخيرة جداً فقط من حرب العصابات يكون الملاذ عاملاً ثانوياً في نجاح الحركة الثورية . اما خلال مرحلة الانشاء والمرحلة المتوسطة للتنظيم والعمليات العسكرية فإن مقاتلي العصابات يعتمدون بشكل أساسي على الأمن الجغرافي الذي تمدهم به أما مناطق نائية في بلدهم الأصلي أو دول مجاورة متعاطفة مع الأهداف الثورية للمقاتلين . وعندما يفتقد مقاتلو العصابات الملاذ فإنهم أيضاً يفتقدون عادة الامداد والتجهيز المتاح من قبل المتعاطفين الأجانب والأساسي لنجاح المقاتلين العسكري . فبين عامي ١٩١٠ و ١٩١٦ ، كانت جيوش بانشو ڤيلا العاملة في شمال المكسيك تتمتع بدعم سكان الحدود الأمريكية الذين أمدوا الڤيليستاس بالملاذ والامدادات العسكرية وذلك مقابل الماشية والقطن المصادرة من مزارع شمال المكسيك . كما أن الڤيت منه في ڤيتنام الشمالية كانوا قادرين على تسريع نشاطاتهم القتالية ضد الفرنسيين وذلك بعد انتصار الشيوعيين في الصين عام ١٩٤٩ ، حيث استطاع الڤيت منه الاستفادة من مناطق الحدود الصينية وكذلك التجهيزات العسكرية وتدريب الكوادر المقدم من الصينيين. وانشاء دولة بنغلادش في باكستان الشرقية عام ١٩٧١ كان من الممكن أن يكون مستحيلاً بدون دعم الهند . فقد أتاحت الهند الملاذ للمتمردين البنغاليين وذلك بعد هزيمتهم الساحقة من قبل الجيش الباكستاني الغربي ، ومن خلال غزو الجيش الهندي اللاحق لشرق وغرب الباكستان فقط استطاعت « حركة البنغال الحرة » ضمان أهدافها السياسية .

وفي أمكنة أخرى خلال أوائل السبعينات أثبت ثوار العصابات مدى الاعتماد الأساسي على الدعم الخارجي في سبيل البقاء . فمقاتلو العصابات في جنوب السودان وجدوا ملاذاً في أوغندا . والمتمردون على سلطان عُمان حصلوا على الملاذ والدعم من الحكومة الثورية في اليمن الجنوبي . وجبهة تحرير موزامبيق في قتالها للاستعمار البرتغالي اعتمدت بشكل اساسي على الملاذ المتاح في مناطق الحدود في تنزانيا ومالاوي وزامبيا .

إن فعالية حركات التمرد هذه يبدو أيضاً أنها تتلازم بشكل كبير مع مدى التجهيزات العسكرية والتدريب المتاح من قبل الدول الأجنبية ،بما في ذلك الصين في حالة جبهة تحرير موزامبيق وكل من الصين والاتحاد السوفيتي في حالة حركة التمرد في جنوب عُمان . وبدون الدعم الخارجي الأساسي للباثيت لاو والشيوعيين التايلنديين ، فإن هذه الحركات أيضاً كان من الممكن أن تكون أكثر هشاشة الى حد بعيد وذلك في مواجهة برامج القسر والاغراء للحرب المضادة للثورة في لاوس وتايلند .

وعلى النقيض من ذلك كان مصير ثوار العصابات الشيوعيين في اليونان قد تحدد عام ١٩٤٨ ، وذلك في أعقاب الانشقاق بين ستالين وتيتو ، حيث قامت الحكومة اليوغسلافية بإغلاق حدودها في وجه المتمردين اليونانيين . كما أن هزيمة ثوار الهول في الفلبين والمتمردين الشيوعيين في الملايو من الممكن أن تُفسر جزئياً بناءً على افتقارهم للملاذ والامداد الخارجي ، والذي كان نتيجة العزلة الجغرافية ، فعزلة الماو ماو في كينيا في أوائل الخمسينات والمتمردين السيلانيين عام ١٩٧١ أدت الى تعزيز فعالية الجهود المضادة للعصيان من قبل الحكومتين البريطانية والسيلانية . كما أن التعاون المتزايد بين حكومتي دبلن ولندن في السبعينات ساعد على التقليل من الأنشطة الارهابية للجيش الثوري الايرلندي في ايرلندا الشمالية ، تلك الأنشطة التي كانت معتمدة على خطوط الملاذ والامداد المتاحة من الجنوب .

إن مصير حركة ثورية معينة اذن ليس فقط معتمداً (جزئياً) على مدى دعمها الخارجي ، ولكن أيضاً على الدعم الخارجي المتاح للحكومة وقوى الثورة المضادة . ففي أمريكا اللاتينية ، لعبت الولايات المتحدة دوراً رئيسياً في هزيمة حركات كانت تطالب بتغييرات جذرية وهذا يتضح أكثر في غواتيمالا ، والبرازيل ، وبوليفيا . وفي الصين في العشرينات والثلاثينات كان نجاح الكومينتانغ في صراعهم مع أسياد الحرب الاقطاعيين والشيوعيين الصينيين نتيجة الى حد كبير للمساعدات الاقتصادية والعسكرية الكبيرة ، بالاضافة الى المستشارين السياسيين والعسكريين ، القادمة من الاتحاد السوفيتي .

ولكن عندما تكون الحكومة القائمة غير قادرة على تدبير دعم خارجي لها في وجه حركة ثورية قوية فإن هزيمة مثل هذه الحكومة ما هي الا مسألة وقت فقط . فسحب الولايات المتحدة دعمها الدبلوماسي لنظام باتيستا عام ١٩٥٨ ، وحظر ادارة ايزنهاور شحن السلاح الى كوبا (تحت ضغط الكونغرس) أدى الى تسهيل استيلاء كاسترو على السلطة . في الحقيقة ، أن القول بأن حياد الولايات المتحدة (أو موقفها المتكافىء) قد يكون شرطاً لنجاح الثوار في أمريكا اللاتينية كان واضحاً مرة أخرى في احداث نيكارغوا بين عامي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ : فقد قامت ادارة كارتر بفرض حظر على مبيعات السلاح الأمريكية الى نيكاراغوا ، مانعة بذلك حكومة سوموزا من الحصول على قرض بعشرين مليون دولار من صندوق النقد الدولي ، كما أنها ساعدت على اقناع منظمة الدول الأمريكية بشجب ديكتاتورية سوموزا . وبالاضافة الى الملاذ والامداد التي كان ثوار العصابات المعارضون

لسوموزا يحصلون عليها عن طريق كوستا ريكا (في الجنوب) والهندوراس (في الشمال)، فإن هذا المزيج من الدعم الخارجي المباشر والغير مباشر ساعد على جعل نجاح ثوار العصابات مسألة **متى** وليس بشرط أن .

وفي انجلترا ، خلال الثورة البيوريتانية ، هُزم الملك تشارلز عندما أخفق في اكتساب حلفاء عسكريين سواء من انصار الملكية في ايرلندا أو في القارة ، بينما كان نجاح البرلمانيين مؤكداً من خلال التدخل العسكري للاسكتلنديين البرسبيتاريين الى جانب الجيوش البيوريتانية وذلك عام ١٦٤٤ .

إن مثال الثورة البيوريتانية يساعد على تبيان ان الدعم الخارجي كان عاملاً حاسماً في نجاح أو فشل الحركات الثورية قبل القرن العشرين بكثير وقبل بروز حرب العصابات الشيوعية . وهذا واضح بشكل خاص في حالة حركات الاستقلال المعادية للسيطرة الاستعمارية ، حيث يكون الملاذ أقل أهمية من ائتلاف القوى المحشود في سبيل أو ضد الحركة . فمن المحتمل جداً ، على سبيل المثال ، أنه بدون تدخل فرنسا ، وخاصة البحرية الفرنسية ، فإن البريطانيين كان من الممكن أن ينجحوا في حرب الاستنزاف مع سكان المستعمرات الأمريكية . كما أن الدعم الفرنسي والروسي والبريطاني العسكري كان أكثر مساعدة في انتصار الوطنيين اليونانيين على السيطرة العثمانية عام ١٨٢٩ . وقد أدت ثورة باريس في تموز (يولييو) ١٨٣٠ الى ظهور حركات استقلال في بولندا وبلجيكا (وأماكن أخرى) ؛ فالثوار في بولندا افتقدوا الدعم الخارجي وبالتالي دُمروا بكل سهولة من قبل القوات القيصرية الروسية ، بينما نجحت الحركة البلجيكية ضد السيطرة الهولندية بسبب الدعم البريطاني لقيام بلجيكا محايدة ومستقلة .

كما أن نجاح حركات الاستقلال ضد اسبانيا والبرتغال في أمريكا اللاتينية خلال أوائل القرن التاسع عشر يجب أن يفسر بالرجوع الى دور الدعم الخارجي . فعن طريق الصدفة ، كانت حملة نابليون على شبه الجزيرة واحتلال اسبانيا هي التي فتحت الطريق لاستقلال أمريكا اللاتينية ، وفي الوقت ذاته كانت البحرية البريطانية تمنع اسبانيا من تثبيت السيطرة الاستعمارية في أمريكا اللاتينية (وبالتالي أضافت قوة عسكرية لاعلان ادارة مونرو في الولايات المتحدة) . كما أن هزيمة اتحاد الجنوب في حربه مع الشمال، والذي كان متفوقاً على الجنوب عسكرياً وصناعياً ، كانت نتيجة متوقعة بدون دعم خارجي . حقيقة أن الدول الأوروبية الرئيسية كانت متعاطفة مع المتمردين ، الا أنها رفضت تزويد الجنوب بالمساعدات سواء الدبلوماسية أو العسكرية . وكذلك فإن خسارة اسبانيا لكوبا كانت شيئاً مؤكداً من خلال تدخل الولايات المتحدة في الحرب الاسبانية الأمريكية عام ١٨٩٨ .

إن الدعم الخارجي من الممكن أن يكون جوهرياً لانشاء تحالفات متداخلة والتي تعتبر الأساس لحركة ثورية قوية . ففي نضالهم ضد السيطرة العثمانية بين ١٥٩٣ و ١٦٠٦ ، كان الفلاحون البلقانيون والنبلاء متحدين فقط في حالة تلقيهم « الوعد بدعم أسرة

هاسبورغ ... »[1] كما أن التحالف بين القبائل العربية المهتز دائماً والمنظم من ت . ي . لورنس والموجه ضد الأتراك من ١٩١٦ الى ١٩١٨ والذي شكل قوة عصابات مؤثرة كان معتمداً بشكل أساسي على المال والسلاح البريطانيين . ولكن حتى وإن تمتع الثوار بدعم تحالفات متداخلة واسعة فإنهم ذوو مناعة متدنية تجاه رجال الثورة المضادة والممتعة بمزية الدعم الخارجي الواسع : فبدون العتاد والرجال القادمة من المانيا النازية وايطاليا الفاشية ، فإن الفاشيين الاسبانيين تحت قيادة الجنرال فرانكو كان من المحتمل أن يُهزموا من قبل الجمهوريين الاسبانيين[2] .

عندما يكون من الجلي أن كافة الظروف لتعبئة ثوريةموجودة ، ولكن الحركات الثورية تكون ضعيفة أو غير موجودة ، فإن المتغير المحـدِّد غالباً ما يكون غياب الدعم الخارجي . وإلا فإنه من الصعب تفسير ، على سبيل المثال ، الاخفاق الدائم للوطنيين الايرلنديين في اشعال تمرد واسع المدى ضد الاستغلال الاقتصادي والاضطهاد الثقافي المفروض على ايرلندا من قبل انجلترا منذ القرن السادس عشر على الأقل ـ إن حرب العشائر والانقسام الحاد بين الايرلنديين انفسهم يشيران الى أن التنظيم الثوري والقيادة كان من الواجب أن يعتمدا على تدخل سلطة خارجية في سبيل تماسك وقوة حركة الاستقلال الايرلندية . وقد كان من الظاهر أن هذا ما كان الفرنسيون يأملون في أن يحققوه خلال الحرب النابليونية (١٨٠٣ ـ ١٨١٥) ، الا أن خطة ارسال اسطول فرنسي الى ايرلندا لم تنفذ أبداً . إن الانتفاضة الأبرز للأيرلنديين على الحكم الانجليزي ، تمرد عيد الفصح عام ١٩١٦ ، كان في الحقيقة عملاً متسرعاً للألمان خلال الحرب العالمية الأولى عندما قامت غواصة المانية بإنزال روجر كاسمنت وعملاء المانيين على أرض ايرلندا بهدف محدد هو اشعال تمرد .

كذلك فإن جنوب أفريقيا المعاصرة حالة أخرى : فكل الشروط لحركة ثورية مناهضة للأقلية البيضاء المتمتعة بكافة الامتيازات يبدو انها متوفرة ، إلا أن السود في جنوب أفريقيا من غير المرجح أن يحشدوا في سبيل عمل ثوري اللهم الا من خلال تدخل قوة خارجية[3] . إن مـثال جنوب أفريقيا يشير الى أنه ، في سبيل النجاح ، فإن الدعم الخارجي يجب أن يختلف في الدرجة بناءً على مستويات العنف والاضطهاد المُميزة للنظام المراد تدميره . هنالك متغيرات أخرى يجب أن تؤخذ في الاعتبار أيضاً والأمثلة السابقة تمدنا بعينة جيدة من الحالات وذلك في سبيل تعميمات أكثر تنظيماً .

الدعم الخارجي والحركات الثورية

باديء ذي بدء أنه من الواضح مما سبق بأن الدعم الخارجي في كثير من الأحيان كان عاملاً حاسماً في نجاح أو فشل الحركات الثورية ، سواء يساراً أو يميناً ، وسواء في

---

(1) Fischer-Galati, 1963, p. 13.
(2) Beals, 1970, pp. 182-85.
(3) Colin and Margaret Legum, 1964.

القرن العشرين أو في مراحل أبكر من مناهضة الاستعمار والتحديث . وتبين دراسة تيد غور لمائة وأربعة عشر بلداً خلال فترة قصيرة ، من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ ، بأنه كان هنالك أربع وخمسون « حرباً داخلية » ، وفي ثلاثين منها كان المتمردون مستفيدين من الدعم الخارجي لدول أجنبية(٤) . وبالتالي فإنه من الصعب معرفة المنطق الذي يسند وجهة النظر القائلة بأن افضل وصف للحركات الثورية هو « الحروب الداخلية » . وتستنتج دراسة حديثة قامت بها حكومة الولايات المتحدة لأكثر من « خمسين حالة من العنف المحلي المعاصر بأن الحد بين الحرب العالمية والداخلية ضئيل »(٥) .

وهذا الحد يصبح حتى أقل قابلية للادراك كلما استطاعت الحركة الثورية تعبئة اعداد أكبر من المشاركين وكلما استطاعت الانتشار مع الوقت . فالانقلاب ،وان كان يهدف الى تغييرات ثورية ، من غير المرجح أن يؤدي الى تدخل خارجي مثل حرب عصابات طويلة الأمد ، ويرجع هذا جزئياً الى قصر مدة الانقلاب والمستوى المنخفض للأيديولوجية الذي يساعد على اخفاء التطلعات الثورية للقائمين بالانقلاب . ففي مصر عام ١٩٥٢ ، على سبيل المثال ، كان الملك فاروق معتمداً ، دونما جدوى ، على تدخل البريطانيين ضد الانقلاب العسكري المُنظم من قبل عبد الناصر ونجيب . وقد أدى نجاح انقلابهما بالاضافة الى تطلعاتهما القومية الى خسارة فاروق لعرشه وانخفاض النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط وفي النهاية انهاء السيطرة البريطانية على قناة السويس . لو كانت حركة الوطنيين المصريين ذات أمد أطول ولو أنها استخدمت أساليب مختلفة للاستيلاء على السلطة ، فإن الدعم الخارجي كان من المحتمل أن يلعب دوراً أبرز وذلك سواء مع أو ضد الثوار . من ناحية أخرى فإن الدعم الخارجي للثوار قد يؤدي بشكل كبير الى دعم خارجي للحكومة المُعارضة . وهذا صحيح بشكل خاص في حالة حرب العصابات حيث يكون مستوى الصراع الايديولوجي عالياً وحيث يقوم المتمردون ببسط تطلعاتهم الثورية بكل وضوح . وتلعب الايديولوجية دوراً متعاظماً في تبرير التضحيات التي يقدمها الانصار كلما امتد أمد الحركة وحُضوا على تقديم مثل هذه التضحيات وكذلك تلعب الدور نفسه في تماسك الحركة. إن التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي مجال السياسة الخارجية الموعودة من قبل الثوار أو المُتضمنة في ايديولوجيتهم تؤدي الى اهتمام عالمي متعاظم وغالباً ما تقوم الدول الأجنبية بالتعبير عن دعمها سواء للثوار أو السلطة . وبذلك فإن مستوى العنف يميل على الأرجح الى التزايد ، وبالتورط الدولي فإن الأطراف المتنازعة اقل قابلية لأن تساوم على فروقاتها . ويوضح الصراع الحاد بين الولايات المتحدة والمتمردين الشيوعيين في ڤيتنام الجنوبية بين ١٩٦٥ وأوائل السبعينات هذه النقطة . وكذلك تصاعد التنافس بين القوى العظمى والقوى التابعة في أفريقيا يوضح هذه النقطة ـ ابتداءً من الكونغو في

---

(4) Gurr, 1970, pp. 270-71.
(5) Kelly and Miller, 1970, pp. 230-31.

الستينات ممتداً الى النضال في سبيل استقلال انجولا وناميبيا في السبعينات وعن هذا السبيل يكتشف الفقراء والأبرياء فجأة أن بلدانهم أصبحت مسرحاً للصراع بين المصالح المتنافسة للاتحاد السوڤيتي والصين والولايات المتحدة(٦).

من ناحية أخرى فإن اعتماد الحكومة على الدعم الخارجي بشكل أساسي في سبيل استمرارية بقائها قد يؤدي الى تعزيز القبول الشعبي للثوار عن طريق التركيز على هويتهم الوطنية مقابل التبعية الأجنبية للحكومة . فقد نجح الشيوعيون الصينيون على الرغم من (أو ، من الممكن ، بسبب) انخفاض مستوى الدعم الخارجي لهم حتى عندما كانت الولايات المتحدة تزود الوطنيين الصينيين ببليوني دولار من المساعدة العسكرية والاقتصادية بين ١٩٤٥ و ١٩٤٩ . ولكن عندما يكون الثوار أنفسهم معتمدين بشكل أساسي على الدعم الخارجي فإنهم يعرضون قبولهم الشعبي للشبهة في مجال المشاعر الوطنية . اذ أنهم يصبحون هشين في مواجهةالدعاية الحكومية المضادة للثورة ، والتي تستطيع الادعاء أن الصراع ليس ضد قوى محلية ولكن ضد غزاة أجانب . وقد كانت هذه أحد العوائق الواضحة التي واجهت ثوار العصابات الكاستروية في أمريكا اللاتينية خلال الستينات ، وخاصة في فنزويلا وبوليڤيا .

الا أن هذه المجازفات ضرورية عندما يكون الثوار ذوي مستوى منخفض على اختراق النظام ، وفي الزعامة الكارزمية ، والكفاءة التنظيمية ، والدعم الشعبي ، والامداد اللوجستي ، وكلما كان الدعم الخارجي الضروري موجهاً من خلال زعيم معين أو مجموعة معينة في الائتلاف الثوري ، فإن سلطة زعامة الحركة وتماسك التنظيم الثوري قد يتعززان . أن مهمة الزعامة اذن هي زيادة الفوائد من الدعم الخارجي والتقليل من اعتمادية أو تبعية الحركة على مثل هذا الدعم ، وإلا فإن الثوار قد يجدون أنفسهم مقيدين بمصالح أجنبية كانت هي الأساس [الهجوم عليها] للنجاح الثوري. على أية حال، كلما استطاعت الحكومات تطوير المهارات في حرب مناهضة العصيان وكلما استطاعت زيادة قدراتها القسرية [القمعية] ، فإن مجرد بقاء الحركات الثوريةسوف يعتمد على الأرجح على مستويات عالية جداً من الدعم الخارجي .

للفحص

بعض الافتراضات

تؤدي الزيادة الملحوظة في الدعم الخارجي لحكومة غير مستقرة الى تخفيض

---

(6) Rosenau, 1964. Marcum, 1978. Gurr, 1970, pp. 270-71,

يشير Gurr الى ان هنالك عامل ارتباط مقداره ٠,٨٣ بين الدعم الخارجي للمتمردين والدعم الخارجي للنظام في دراسته لأربع وخمسين حرباً داخلية بين ١٩٦١ و ١٩٦٥ .

شروعيتها السياسية. (وبذلك ، من وجهة نـظـر الحكومة ، فإن هذه النقيصة السياسية يجب أن يُعوض عنها بمزايا مادية من مصادر دعم خارجية اضافية) .

٢ ـ يؤدي الانخفاض الملحوظ في الدعم الخارجي لحكومة غير مستقرة الى تحسين فرص الثوار في النجاح .

٣ ـ يؤدي اعتماد الثوار الكبير على الدعم الخارجي الى التقليل من فاعلية دعوتهم الايديولوجية .

بعض الفرضيات

١ ـ فرص النجاح الثوري ،

أ ـ ذات علاقة مباشرة بمدى الدعم الخارجي للحركة ، .

ب ـ وذات علاقة عكسية بمدى الدعم الخارجي للحكومة المُعارَضة .

٢ ـ يزداد الدعم الخارجي لكل من الثوار والحكومة كلما اتسع الصراع الثوري ،

أ ـ زمنياً ،

ب ـ وجغرافياً .

٣ ـ كلما كانت القدرات القمعية للحكومة اقوى كلما كان اعتماد الثوار على الدعم الخارجي أكبر (اذا أرادت الحركة النجاح) .

الجزء الثالث

الاسباب والنظريات

الفصل العاشر

الاطار : المعجِّلات

تمثل عناوين الفصول في الجزء الثاني لهذا الكتاب فـهمي للخصائص الرئيسية للحركات الثورية . وكل واحد من هذه الفصول عَرَض فروض وفرضيات استُخرجت من العديد من الحركات الثورية ، وكل واحد من هذه الفروض والفرضيات دمجت في مقولات مفاهيمية تتضح من خلال عناوين الفصول ورؤوس المقاطع .معظم هذه الفرضيـات والفروض كانت مصممة على اساس المساعدة على اجابة سؤال محدد : ما هي العوامل التي يبدو انها تساهم في نجاح او فشل حركة ثورية معينة ، وهل هي يسارية المذهب او وسطية او يمينية ؟ وحتى في هذا الجزء غير المعقد نسبياً من دراستنا للحركات الثورية ، كنا غير قادرين على تجنب اسئلة تتعلق بمسألة السبب والنتيجة . أما الجزء الثالث فإنه يتعمق بجلاء اكثر في مجال المسألة السببية . في هذا المجال فإننا لا نسأل اسئلة متعلقة بنجاح او فشل الحركات الثورية ولكننا نبحث في الظروف والشروط التي يبدو انها غالباً ما ترافق تطورها . في هذا المجال فإننا مهتمون بشكل اقل بماذا تنجح او تفشل الحركات الثورية من اهتمامنا بماذا تقوم اساساً . وانه لمن المناسب ان نحذر القارىء بأننا بذلك انما نسير على ارضية اكثر اهتزازاً . فبناءً على قواعد المنهج العلمي ، نحن غير قادرين اطلاقاً على **اثبات** السببية . في افضل الاحوال نحن قادرون على **تبيان** درجات مختلفة من الاحتمال probability في علاقات ظواهر معينة . أما قوة اقناع استدلالنا السببي فإنه على الأكثر مسألة بداهة منطقية اكثر من كونه يقيناً عينياً. باختصار ، ان السببية ما هي الا شيء من اعمال العقل .

هذه الملاحظات حول الحدود الضرورية لمعرفتنا ذات علاقة بشكل خاص بدراسة الثورة كلما اتسعت مقولاتنا التحليلية في الزمان والمكان . ان فروضنا حول « شروط » الثورات غالباً ما تكون مترددة حتى اكثر من استنتاجاتنا حول « معجِّلاتها » . وعلى ذلك فإنه من الضروري لبدء دراستنا حول أسباب الحركات الثورية الرجوع الى تلك الأحداث التي يبدو انها الأكثر علاقة بانفجار الثورة . ان هذه « المعجلات » هي « الاسباب النهائية ،

او المباشرة ، للثورة ... »[١] انها احداث منفصلة تجري في ازمنة محددة . وظيفتها الاساسية هي دمج الافراد ذوي القيم المشتركة في جماعة ذات امكانية ثورية . وبين العديد من معجلات الثورة التي من الممكن ان ترد ، فإن اوضحها هو التالي .

الهزيمة العسكرية

كانت الثورة البيوريتانية مسبوقة بشكل مباشر بالحملة العسكرية غير الناجحة للملك تشارلز على اسكتلندا بين عامي ١٦٣٩ ـ ١٦٤٠ . كما ان لويس السادس عشر عام ١٧٨٨ شهد مرة اخرى حرباً على بريطانيا العظمى ، وقد فاقمت هذه الحرب من نقاط الضعف لدى الملكية الفرنسية ـ خاصة فيما يتعلق بالإدارة المالية ـ فيما ساهم في انفجار الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ . وفي سنة ١٨٥٩ انهارت السيطرة الامبراطورية النمساوية على شمال ايطاليا تحت ضربات لويس ـ نابليون وقد عقب الهزيمة النمساوية مباشرة تحريض ثوري في كافة ارجاء شبه الجزيرة الايطالية . كما ان فشل جيوش لويس ـ نابليون في الحرب الفرنسية ـ البروسية خلال ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ قد وضع الاساس لثورة اخرى في باريس وقيام كومونة باريس. وكذلك فإن مدى الاحداث الثورية في روسيا كان ذا علاقة مباشرة مع مدى الكوارث العسكرية لجيوش القيصر خلال ١٩٠٥ و ١٩١٧ .

عقب هزيمة القوى المركزية في الحرب العالمية الاولى ، انفجرت الثورات في كل من المانيا ، النمسا ، هنغاريا ، وتركيا . وقد ادى نجاح اليابان العسكري في الصين والمستعمرات الفرنسية والهولندية في جنوب شرق آسيا الى وضع الاساس لثورات شيوعية ومعادية للاستعمار في الصين وفيتنام واندونيسيا وذلك عقب هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية . ولم ينمُ النشاط المعادي للفاشية بشكل كبير في ايطاليا حتى عام ١٩٤٤ وهزيمة الحلفاء لجيوش موسوليني في الجنوب الايطالي .

وبالتركيز على اوروبا ، قام بوبرت هنتر بإحصاء تسع عشرة ثورة بين عامي ١٢٠٤ و ١٩١٩ « كانت كلها مباشرة عقب هزيمة حربية »[٢] . كما ان بيتيرم أ . سوروكين في دراسته للعنف السياسي في اوروبا منذ الاغريق والرومان القدماء حتى عام ١٩٣٣ ، وجد ان هنالك علاقة بين اوقات الصراع الدولي وتكرارية الصراع المحلي ويبدو ذلك واضحاً في حالة تلك البلدان التي منيت بالهزيمة في الحرب[٣] .

ما الذي يفسر هذه العلاقة الظاهرة بين التورط العسكري الدولي ، خاصة عندما ينتهي بهزيمة ، وبين انفجار الثورة ؟ احد اهم المفاهيم النافعة في تطور نظرية للثورة هو مفهوم **الشرعية** الحكومية او السياسية . ان عدم وضوح هذا المفهوم ما هو الا مقياس

---

(1) C. Johnson, 1966, p. 91.
(2) Hunter, 1940, p. 126.
(3) Sorokin, 1970, pp. 137-39.

جزئي لمنفعته في تفسير العديد من الظواهر المحددة للعملية الثورية . الا ان علماء السياسة يتفقون على ان « الشرعية » تعني موقف المواطنين من افراد وسياسات وقوانين ومؤسسات الحكومة . فعندما تكون الشرعية عالية ، فإن معظم المواطنين يؤمنون ان الحكومـة تملك الحق في ان تفعل ما تفعل . وعندما تكون الشرعية منخفضة ، فإن معظم المواطنين يؤمنون ان الحـكومة مخطئة في ان تفعل ما تفعل. وقد ينظر الى مؤسسات الحكومة على انها تتمتع بدرجة عالية من الشرعية ، الا ان الافراد والسياسات او قوانين محددة للحكومة قد تُرفض بسبب لاشرعيتها الظاهرة . ان المنطق الاستدلالي يخبرها ، وهذا ليس بالأمر المدهش ، بأنه عندما تتدهور شرعية بعض او كل مظاهر الحكومة ، فإن الامكانية الثورية تزداد(٤) .

بشكل عام ، فإنه من الممكن فحص العلاقة بين الشرعية والامكانية الثورية وذلك بتواجد معلومات مسح زمني متسلسل تعمل على تعيين كلا المتغيرين . ولكن من الافتقار للمزايا الواضحة لمثل هذا البحث ، فإننا يجب ان نستدل على التغيرات في الشرعية لمجتمع محدد من خلال المعلومات المتاحة والاحداث المعينة لتاريخه السياسي ، إذن ، وبالتعرف ، فإن الثورة تشير الى شرعية متدنية ، والعلاقة وطيدة بين الهزيمة العسكرية والثورة تعني ان الفشل في الحرب يؤدي بشكل حاد الى تدني شرعية الحكومة .

بإمكاننا الافتراض ان الحكومات الاستعمارية ذات شرعية منخفضة نسبياً . كما ان هزيمتها العسكرية تقوض شرعيتها بشكل ابعد وتجعل من ادعاءاتها المستمرة في السلطة على السكان الاصليين ممارسة غير ذات معنى للتلاعب بالرموز . فتميل المشاعر القومية الى الازدياد حدة . ولكن حتى في المجتمعات غير المستعمرة ، فإن هزيمة الحكومة العسكرية تشير الى ان الاساطير الموظفة من قبل الحكومة لدفع المواطنين على الاخلاص والتضحية قد اصبحت بعيدة عن ارض الواقع وتفتقر الى الموثوقية. فمن وجهة نظر المواطن، فإن الحكومة المهزومة عسكرياً اما ان تكون قد أدارت الحرب بشكل سيء أو أنها كان من المفروض ألا تذهب إلى الحرب في المقام الأول . وفي أي من الحالتين فإن الحكومة وبكل بساطة غير كفؤة .

ان هذا المنظور مميز بشكل خاص للنخب العسكرية ، التي يؤدي استعدادها على اتهام الحكومة المدنية بالتقصير في اعقاب هزيمة حربية الى زيادة ميل الجيش الى الدعوة الثورية ـ سواء من زمر من الجيش او من حركات ثورية ذات طبيعة فاشية .

ايضاً فإن الهزيمة العسكرية التي لا يعقبها احتلال غازي اجنبي تؤدي إلى وجود فراغ في السلطة من الممكن ان يخدم اهداف الثوار الاكثر تنظيماً من الحكومة الضعيفة (البلاشفة على سبيل المثال) . اما الهزيمة العسكرية المترافقة مع احتلال اجنبي فإنها تفتح الطريق لحركات ثورية تتمتع بدعم واسع النطاق وذات تنظيم سياسي قوي متجذر في اعماق المجتمع (الشيوعية الصينية على سبيل المثال) .

---

(4) Gurr, 1970, pp. 183-85.

وفي المجتمعات الأقل نمواً اقتصادياً حيث المؤسسات السياسية ذات قواعد ضيّقة ، فإن مجرد المبادرة في حرب واسعة النطاق تؤدي إلى زيادة امكانية المجتمع في المطالبة بتغيير جذري . فالحرب واحدة من اكثر الوسائل فعالية وسرعة في التعبئة الاجتماعية . قد تطالب طبقة وسطى حديثة الظهور بتمثيل سياسي كشرط لاستمرارية دعمها الاقتصادي للحكومة . وفي المجتمعات الفلاحية على وجه الخصوص ، فإن التجنيد الاجباري الواسع النطاق يؤدي الى تعبئة الفلاحين وبالتالي رفع مستوى الوعي السياسي لديهم . والفلاح الجندي هو ايضاً فلاح مسلح . ومئات الألوف او ملايين الفلاحين المسلحين يضعفون من المنزلة الرفيعة للجيش النظامي وكذلك من فاعلية الاجهزة القسرية للحكومة . والهزيمة العسكرية تزيد من امكانية العصيان المسلح ، سواء على الجبهة او في الداخل حيث يعتبر رفض القوات اطلاق النار على جماهير المتظاهرين معجل بنفسه للعملية الثورية .

الا انه لكل المواطنين ، فإن الحرب ترفع من مستوى العنف في محيطهم الاجتماعي وتعودهم على حل الخلافات بالعنف المادي . وتبدأ المعايير القديمة والاعراف في التفتت السريع . ان الحكومة التي تسعى الى الحرب بغرض تعزيز شرعيتها ورفع مستوى التماسك الاجتماعي انما تزيد عوضاً عن ذلك من امكانية المجتمع الثورية كلما اصبحت الحرب طويلة الامد ، دموية ، وتسير بشكل لا مفر منه نحو الهزيمة.ان الهزيمة العسكرية ، مثلها مثل معاداة الاستعمار ، تعتبر ايضاً واحدة من الوسائل الاكيدة في التأثير على التحالفات المتداخلة التي توحد طبقات المجتمع الرئيسية في عداء مشترك للحكومة القائمة .

في المراحل الأولى من الحرب تقوم الحكومة بتوسيع دورها في الاقتصاد الوطني وتزيد من قوة المركزية الادارية في الدولة . ويصل الانتاج الصناعي الى مداه ، وتنخفض البطالة ، ويزداد انفاق الحكومة ، وترتفع الأجور . وقد تُفرض رقابة الحكومة في سبيل تخفيض الاسعار كما ان البطالة المزمنة من الممكن استيعابها عن طريق الانخراط في الجيش . اذن ، فحتى النتيجة الناجحة للحرب غالباً ما تؤدي الى أزمة اقتصادية مؤقتة ومرحلة من عدم الاستقرار النسبي كلما خففت الحكومة من سيطرتها وخفضت من انفاقها، وكلما ابتدأ الاقتصاد في العودة الى انتاج حالة السلم واخذ الجنود المسرحين بالبحث عن عمل . ولكن الهزيمة العسكرية لا تعني ازمة اقتصادية ولكن كارثة اقتصادية : انحدار سريع في الانتاج ، ندرة اقتصادية ، بطالة واسعة ، تضخم متزايد بإصدار الحكومة لنقد ورقي لسد التزاماتها ، وتصفية مدخرات ملايين المواطنين بتخفيض قيمة العملة . وكلما كانت الهزيمة العسكرية اقسى ، كلما كانت المشاكل الاقتصادية التي على الحكومة المنْتَهَكة ، المتدنية الشرعية ايضاً ، ان تواجهها اكثر ارباكاً .

في هذا المعنى ، فإن الهزيمة العسكرية تفاقم من اثر المعجلات الأخرى للحركات الثورية ، بما في ذلك ما سيناقش تالياً . ليس من الضروري ان تكون هذه المعجلات ملازمة لظروف الحرب ، الا انه لا شك في انها عندما تتعزز بهزيمة عسكرية فإن امكانية المجتمع الثورية تزداد بشكل ملحوظ .

الأزمة الاقتصادية

في الثالث عشر من كانون ثاني (يناير) ١٩٧٢ ، قام انقلاب عسكري في غانا بالاطاحة بواحدة من الحكومات البرلمانية القليلة الباقية في افريقيا في فترة ما بعد الاستعمار . وقد كانت النخبة المدنية تواجه انتاجاً زراعياً متناقصاً ، اسعار سوق متدهورة لسلعة التصدير الرئيسية في غانا (الكاكاو) ، عدم توازن تجاري كبير وديون خارجية هائلة ، واخيراً معدلات متزايدة للتضخم والبطالة . في سبيـل حل هـذه المشكلات الاقتصادية ، قامت الحكومة بوضع برنامج للتقشف الاقتصادي وانقصت من قيمة العملة الوطنية بما مقداره ٤٤ في المائة . كما انها حاولت ايضاً التخفيض من الانفاق في مجالات الخدمة العامة ، الشرطة والجيش ـ وهذه خطوة مميتة .

في غانا والعديد من دول العالم الثالث ، كانت التغييرات السطحية التي قدمتها الديكتاتوريات العسكرية ذات اثر ضئيل او معدوم على المشكلات الاقتصادية الاساسية . وكانت النتيجة عدم استقرار سياسي مستمر . ففي اعقاب الانقلاب العسكري في غانا عام ١٩٧٢ ، على سبيل المثال ، فقد استمر الاقتصاد في التدهور ومن ثم ، في اواسط السبعينات ، كان مدمراً تماماً نتيجة الأثر المباشر وغير المباشر لأسعار النفط المتزايدة بسرعة جنونية . ووصل معدل التضخم السنوي في غانا الى ١٠٠ في المائة . واصبح النقص في المواد الغذائية اكثر تكرارية وقساوة . واستولت نخبة عسكرية جديدة على السلطة عام ١٩٧٨ . واعقب ذلك انقلاب عسكري آخر عام ١٩٧٩ . وآخر عام ١٩٨٢ . وقد كانت تكاليف المعيشة في غانا قبل انقلاب ١٩٨٢ تسعة اضعاف ما كانت عليه عام ١٩٧٧ ، فقد كان سعر رغيف الخبز معادلاً لمرة ونصف الأجر اليومي الأدنى ، كما ان ٤٠ في المائة من ميزانية الحكومة كانت تذهب على شكل مرتبات إلى الموظفين العامين ، واصبحت السوق السوداء منهجاً مقبولاً في الحياة ، وكان التهريب عبر الحدود الغانية مزدهراً ، واصبح الفساد في كلا القطاعين العام والخاص هو القاعدة وليس الاستثناء . وتنطبق هذه النقطة الأخيرة ايضاً على الحالات التي تتحول فيها السلطة بشكل غير دستوري من نخبة حاكمة الى اخرى . في امريكا اللاتينية ايضاً فإن معدل الانقلابات يرتفع في سنوات التدهور الاقتصادي ، وينخفض في تلك السنوات التي تمتاز بارتفاع حقيقي في الدخل الفردي العام(٥) .

كان هنالك حصاد سيء في فرنسا سنة ١٧٨٨ . وخلال الاشهر الأولى من سنة ١٧٨٩ ، ارتفعت الاسعار ، وانخفضت الاجور ، وارتفعت نسبة البطالة في المدن والمناطق الريفية . ويلاحظ ان تعبئة جماهير باريس خلال فترة الثورة الفرنسية كانت متلازمة مع اسعار الخبز ، ففي تموز (يوليو) ١٧٨٩ كانت اسعاره اعلى من اي وقت مضى منذ وفاة

---

(5) Needler, 1966.

لويس الرابع عشر في ١٧١٥ . كما يلاحظ انه خلال السنتين السابقتين لثورة باريس لسنة ١٨٤٨ كان هنالك كساد وبطالة مرتفعة . وبعد ١٨٤٨ ، في فرنسا واماكن اخرى من اوروبا الغربية ارتفعت الأجور والعمالة وانخفض التحريض الثوري[٦] .

في ايطاليا قبل ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، كان هنالك مائة الف عاطل عن العمل وكان الفاشيون ذوي صيت ذائع الا انهم ما زالوا حزباً متطرفاً صغيراً . وفي اوائل ١٩٢٢ ، كان هنالك ستمائة الف عاطل عن العمل وكانت العضوية في الحزب الفاشي تنمو بشكل مضطرد . وفي المانيا ، انخفضت العضوية في الحزب النازي وذلك بعد الاستقرار الاقتصادي سنة ١٩٢٣ . الا انه مع بداية الكساد عام ١٩٢٩ ارتفعت البطالة في المانيا من مليونين الى ستة ملايين وذلك خلال السنوات الثلاث اللاحقة ، وارتفع عدد اعضاء الحزب النازي من مائة الف عام ١٩٢٨ إلى مليون واربعمائة الف عضو عام ١٩٣٢ . كما ان الكساد في المانيا ادى الى زيادة ملحوظة في مشاركة الناخبين وذلك لمصلحة كل الاحزاب المتطرفة ، الا ان الدعم الانتخابي للنازيين كان هائلاً : من ٨١٠٠٠٠ صوت في ١٩٢٨ الى ٦,٤ مليون صوت في ١٩٣٠ إلى ١٣,٧ مليون صوت في تموز (يوليو) ١٩٣٢[٧] .

في الدول الشيوعية في المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٣ ، وفي بولندا عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٠ ، ادت الازمة الاقتصادية ومحاولة النظام تحديد الاستهلاك وزيادة حصص الانتاج للعمال الى انفجارات عنف جماعي فجائية ومباشرة . وفي بولندا ، فرضت الاضرابات التلقائية وتنظيم العمال الناتج عن ذلك تغييراً في القيادة العليا للحزب والدولة في كلا عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٠ . فلا النخب السياسية ذات الأيديولوجية القائمة على رفاه الطبقات العاملة ولا الدول السلطوية ذات الاجهزة القمعية المتطورة ذات حصانة من النتائج السياسية للأزمة الاقتصادية . ويوضح نيل سميلسر مدى قِدم واتساع العلاقة بين الازمة الاقتصادية والعنف الجماعي :

إن العوامل الاقتصادية ، مثل النقص الحاد في المواد الغذائية ، البطالة ، ارتفاع الأسعار ، وانخفاض . الأجور ذات علاقة وطيدة مع انفجار العنف الجماعي وذلك في حالات مختلفة كثيرة كما في الثورة الفرنسية ، مظاهرات الطبقات الدنيا في المكسيك وانجلترا في القرن السابع عشر ، مظاهرات الغذاء في انجلترا في القرن الثامن عشر ، عنف تحطيم الآلات (اللوديت) في انجلترا في القرن التاسع عشر ، اضطرابات العمال الأمريكيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الاهلانية الأمريكية ، والانتفاضات الفلاحية في اليابان في نهاية فترة التوكوجاوا[٨] .

---

(6) Rudé, 1959, pp. 196-200; Palmer, 1956, pp. 341,472, and 493.
(7) Smelser, 1963, p. 373; Linz, 1968, Table Following p. 109; Woolf, 1969, pp. 123-29; Converse, 1964, p. 253.
(8) Smelser, 1963, p. 246.

إن الانسان غالباً ما يتجه نحو الفعل المباشر نتيجة الظروف الاقتصادية المباشرة اكثر منه نتيجة الدعوات الايديولوجية للعدالة الاجتماعية . ولكن ما ان يقوم بالإحتجاج على نقص الغذاء والبطالة او الاسعار المرتفعة ، فإنه يصبح اكثر عرضة للتأثير بالأيديولوجية والتنظيم الثوريين . وبشكل خاص عندما تبدي قوات النظام تعاطفاً مع المتظاهرين والمضربين (كما حدث في روسيا خلال ثورة شباط) ، فإن الشكاوي الاقتصادية الاساسية من الممكن ان تتسع لتشمل مطالبة بتغيير سياسي واجتماعي اساسي . فعلى سبيل المثال ، في اثيوبيا عام ١٩٧٤ ، ادى التضخم المتصاعد الناتج عن ارتفاع اسعار النفط العالمية الى خروج الطلاب الى الشوارع، وتحولت المظاهرات الى شغب ، إنتشر الاضراب بين العمال وشل شبكة مواصلات البلد ، وفي الختام استولى الجيش على ثاني اكبر مدينة اثيوبية واخذ في المطالبة برفع الأجور ـ غير انه بعد ذلك بفترة وجيزة وجد نفسه على رأس ثورة خلعت الامبراطور هيلاسيلاسي واطاحت بتقليد الملكية المطلقة عمره اكثر من ثلاثة آلاف عام .

ما سبق يشير الى ان الازمة الاقتصادية بذاتها غير قادرة على اثارة عنف جماعي بهدف ثوري . يجب على الأزمة الآنية ان تعكس مشكلات اجتماعية واقتصادية اساسية اكثر بحيث تقوم الازمة بالمساعدة على تركيز هذه المشكلات ووضعها في قالب مسرحي وذلك في منظور الثوار المحتملين . في هذا المعنى تقوم الأزمة الاقتصادية بالعمل على شكل معجل للثورة ، مساعدة على تخفيض شرعية الحكومة وذلك مع تصاعد الوعي السياسي للمواطنين .

الا ان تاريخ المجتمعات بطبيعة الحال مليء بأمثلة التقلبات الاقتصادية ، نهوض وسقوط الانتاج والاستهلاك ، توسع وتقلص سوق العمل ، وتقلبات معدلات الاجور ومستويات الاسعار . ان تكرارية الانكماش في الدورة الاقتصادية Busincss تشير الى اننا لو نظرنا الى كل فترة ثورية تقريباً فإننا سنجد قروحاً اقتصادية ملتهبة في الجسم الاجتماعي . وبينما نجد ان العديد من حوادث العنف السياسي والثورة من المستطاع ارجاعها الى الأزمة الاقتصادية فإن معظم الازمات الاقتصادية لا تؤدي سواء الى العنف او الثورة . متغيرات اخرى يجب أن تدخل في الاعتبار .

من الواضح ان الاقتصاد يجب ان يكون غير نامي ومعظم المواطنين يجب ان يعيشوا على حد الكفاف . تحت مثل هذه الظروف فإن اي زيادة في اسعار الطعام او الضرائب ، او القحط او خطر المجاعة والبطالة من الممكن ان تزيد من امكانية المجتمع الثورية(٩) . في المجتمعات غير النامية فإن نكسة اقتصادية مؤقتة من الممكن ان تؤثر جدياً على اداء الحكومة لكافة وظائفها ، خاصة فيما يتعلق بتوفير الرفاه والخدمات للغالبية الفقيرة من السكان . فبالنسبة لهؤلاء المواطنين فإن شرعية الحكومة مرتبطة بشكل وثيق بظروفهم

(9) Gurr, 1970, p. 131.

الاقتصادية الآنية ، وغالباً فإن شرعية المؤسسات الجديدة للدولة غير قادرة على تعويض العجز الاداري او الحظ الاقتصادي التعس للنخبة السياسية .

غير ان الازمة الاقتصادية بالتعاون مع مؤسسات سياسية ضعيفة تستطيع ان تزيد من الامكانية الثورية لكلا المجتمعات الزراعية والصناعية . في حالة المجتمعات الزراعية المستعمرة ، فإن النتيجة غالباً ما تكون حركات ثورية يسارية . اما في الاقتصاديات الاكثر نمواً مع وجود مؤسسات سياسية ضعيفة فإن الكساد والدعوات الوطنية غالباً ما تقود الى حركات ذات طابع فاشي ، كما في ايطاليا ، المانيا ، واسبانيا بعد الحرب العالمية الأولى .

كذلك فإن البنية الاجتماعية لمجتمع غير نامي هي ايضاً ذات حساسية تجاه التغير الاقتصادي على وجه الخصوص ، وفي الحقيقة سواء النمو الاقتصادي المضطرد او الكساد قادران على هز المعايير القائمة واضعاف التماسك الاجتماعي[١٠] . فالكساد الاقتصادي يزيد من حدة المنافسة في سوق العمل ، بينما للنمو الاقتصادي اثر متساوي حتمي على قطاعات مختلفة من السكان . في اية حالة فإن الانقسامات الايديولوجية والاثنية والعرقية غالباً ما تتسع ، رافعة بذلك من امكانية الصراع الطائفي[١١] .

بالإضافة الى شرعية مؤسسات المجتمع السياسية ومرحلة التطور الاقتصادي ، فإن هنالك متغيراً متدخلاً آخر يؤثر على العلاقة بين الثورة والازمة الاقتصادية الا وهو طبيعة التغير قبل مرحلة الازمة . وقد قام جيمس س . دايفز بشرح هذه العلاقة على شكل « منحنى ـ ج » : غالباً ما تحدث الثورة بعد فترة طويلة نسبياً من النمو الاقتصادي يعقبها انكماش مفاجيء في الاقتصاد[١٢] . وقد قام ريموند ثانتر ومانوس ميدلارسكي بتطوير هذه الفرضية وفق معدلات التطور الاقتصادي السابق والانحدار اللاحق : فكلما كان معدل النمو في الانتاج القومي للفرد قبل ثورة معينة مرتفعاً ، وكلما « كان الاتجاه المعاكس اكثر حدة مباشرة قبل الثورة ، كلما كان امد وعنف الثورة اكبر » . وقد فُحصت هذه الفرضية بشكل مرضي بناءً على اربعة عشر بلداً ، بما في ذلك ستة بلدان في آسيا واربعة في الشرق الاوسط ، حيث كانت معاملات الارتباط المعينة للمتغيرات (معدلات النمو الاقتصادي والانحدار في مستوى العنف) مرتفعة جداً ، ٠,٩٤ و ٠,٩٦[١٣] .

ومن الملائم ان هذه النتائج قد استخرجت من مجتمعات ذات اقتصاديات ناقصة النمو نسبياً . غير ان ما يبعث على عدم الارتياح ان البحث المؤيد لفرضية منحنى ـ ج كان مركزاً بشكل شبه كامل على المجتمعات التي اجتازت ثورة . فباختيار تجربة ثورية ، فإنه من الغالب ان نقوم بتحديد مرحلة من النمو الاقتصادي سابقة لأزمة اقتصادية ومن ثم الحادثة الثورية التي حددت في البدء بحثنا . ان اتجاهات منحنى ـ ج، مثلاً، من الممكن

---

(10) Olson, 1963; Geschwender, 1968.

(11) Berelson and Steiner, 1964, pp. 503 and 513; Melson and Wolpe, 1970; Lemarchand, 1968.

(12) Davies, 1962.

(13) Tanter and Midlarsky, 1967, p. 272 and Table 6, p. 273.

ان تُميز قبيل تزايد ملحوظ في العنف السياسي في فرنسا عام ١٩٦٨ ، في ايطاليا وسيلان بين ١٩٧٠ ـ ٧١ ، قبيل الثورات الفرنسية اعوام ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، و ١٨٤٨ ، وفي الحقيقة في كل الثورات المذكورة في هذا الكتاب تقريباً .

الا ان ما سبق لا يقول شيئاً عن العديد من الأمثلة في الدورة الاقتصادية والتي لا تتوافق سواء مع عنف او نشاط ثوري،يجب علينا وبكل وضوح ان ننظر بشكل اوثق الى الظروف الاساسية للمجتمعات التي تمر بتجربة الثورة ، بما في ذلك مراحل التطور الاقتصادي وشرعية المؤسسات السياسية ، وكذلك الى معجلات الثورة الأخرى والتي من الممكن ان تعزز آثار الأزمة الاقتصادية ـ بما في ذلك ما يلي .

العنف الحكومي

ليس الثوار وحدهم هم الذين يمارسون العنف في سبيل اغراض سياسية . كما ان ممارسة الحكومات للعنف ليست مقتصرة على المجال الدولي . فالعنف الحكومي في الشؤون المحلية يُبرر على اساس المحافظة على القانون والنظام . الا ان المواطنين في كل مجتمع يمتلكون مفهوماً معيناً حول الحدود التي تفصل بين ما هو شرعي وما هو غير شرعي في العنف الحكومي . موقع هذه الحدود يختلف من مواطن الى آخر وفق الاتجاه الايديولوجي ، الوضع الاجتماعي ـ الاقتصادي ، التعليم ، التجربة السياسية ، وتكرارية العنف في المحيط الاجتماعي للفرد .

حتى المواطنين في الولايات المتحدة ، حيث الاستقرار السياسي والشرعية مرتفعان نسبياً ، يفرضون قيوداً على استخدام الحكومة للعنف . فقد وجد من عينة تمثيلية لمواطني الولايات المتحدة في تشرين اول (اكتوبر) ١٩٦٩ أن ٩ في المائة يؤيدون المقاومة العنيفة ضد الحكومة اذا ما قامت «باعتقال وسجن العديد من الزنوج»في اماكن اقامتهم، « حتى اذا لم يكن هنالك اية متاعب » وقد تزايد عدد المؤيدين لعنف المواطنين ضد الحكومة كلما تزايد العنف المفترض للحكومة : ٤٨ في المائة ايدوا اعمال العنف من قبل المواطنين في حالة « قيام الحكومة باعتقال واطلاق النار على اعداد كبيرة من الابرياء بما في ذلك اعضاء من عائلتك »[١٤] . كون اقل من نصف السكان ايدوا عنف المواطنين حتى تحت مثل هذه الظروف المتطرفة ما هو الا اشارة للشرعية العالية التي يعزوها معظم الأمريكيين للمؤسسات السياسية الامريكية .

وبذلك فإن عنف الحكومة الذي يبدو أنه عشوائي واعتباطي يميل الى الاقلال من شرعية الحكومة وزيادة امكانية المجتمع الثورية . فأولئك الملتزمين بالاصلاح قد يتطرفون نتيجة العنف الحكومي ، خاصة عندما يكون التعرض لقوة الشرطة واضطهاد الجيش ناتجاً بشكل مباشر . كما أن أولئك المواطنين السلبيين عادة أو غير مباليين سياسياً قد يسيِّسوا

---

(14) Levy, 1970.

نتيجة عنف الحكومة ، مما يؤدي بالتالي الى اتساع عدد النشطين ويساعد على تحوير أهدافهم من الاصلاح الى الثورة .

في شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ في باريس قام المتظاهرون بالتجمع أمام سكن رئيس الوزراء وأطلقت عليهم النار من قبل البوليس . وقتل عشرون شخصاً . عقب ذلك مباشرة قاموا بتمجيد شهدائهم عن طريق مسيرة مشاعل ، أعقبها اضطرابات واسعة والتي بدورها عجلت سقوط عهد الملك لويس فيليب . وفي كانون ثاني (يناير) سنة ١٩٠٥ في سانت بطرس بورغ ، قامت قوات القيصر بقتل مئات من المتظاهرين المسالمين وبالتالي ساعدت على اشعال شرارة موجة من الاضرابات الصناعية ، تنظيم مجالس سوڤيات العمال ، تمرد الفلاحين ، ونمو متصاعد للجماعات الثورية في روسيا .

وقد استفادت الجيوش الشيوعية في روسيا خلال الحرب الأهلية ، وفي الصين ، وفي ڤيتنام الجنوبية ، ورجال عصابات كاسترو في كوبا من أعمال الحكومة أو القوات المضادة للثورة التي قامت بلا تمييز بسرقة وتعذيب أو قتل الفلاحين وتدمير قراهم . وعلى العكس من ذلك ، فإنَ الحزب الشيوعي الصيني « أنشأ قاعدة أساسية بعدم السماح لقواته بالدخول الى قرية لجمع الحبوب والمجندين »[١٥] .

في أيار (مايو) ١٩٦٨ في باريس ، قامت الشرطة باقتحام السوربون وذلك لفض تجمهر طلابي . وقد لعبت مقاومة الطلاب دوراً معجلاً لحركة اضرابات صناعية ووسعت من مدى العنف الطلابي الذي هدد أسس الدولة الديغولية . وتقريباً كل الاضطرابات المدينية للمواطنين السود في الولايات المتحدة في الستينات كانت منطلقة من أحداث أولية بملاحقة للشرطة أو قسوة : بالاضافة الى ذلك ، فأن رد فعل الشرطة المتزايد تجاه الأحداث الدولية عادة ما حولها [الأحداث] الى اخلال واسع بالأمن[١٦] . كما أن موجة العداء والاشمئزاز الخلقي الذي اكتسح نظام الشاه في ايران سنة ١٩٧٩ كان جزئياً نتيجة الارهاب الواسع والاضطهاد المميزين للساڤاك ، جيش الشاه من الشرطة السرية والجواسيس ، وكانت الحادثة الحاسمة التي عجلت العملية الثورية في نيكارغوا بعد ١٩٧٨ هي اغتيال الدكتور بيدرو جامورو . وقد كان جامورو زعيم القوى المحافظة المعارضة لديكتاتورية سوموزا وقد كان يملك ويحرر الصحيفة الأوسع انتشاراً في البلد . وقد كانت جنازته مناسبة لتجمع معادٍ للحكومة لآلاف النيكارغواييين ، وقد ساعد استشهاده على جعل المعارضة لسموزا متطرفة وتوسيع التحالف المتداخل الذي في النهاية أطاح بنظامه .

يستنتج تحليل للعوامل Factor analysis لأربعة وثمانين بلداً بين ١٩٤٨ و ١٩٦٢ علاقة وطيدة بين مختلف أنواع عنف الحكومة والمواطنين . فالاعتقالات الواسعة تقع بشكل عالٍ على عامل « الاضطراب » و « المظاهرة » ، بينما متغير اعدامات الحكومة يقع بشكل

---

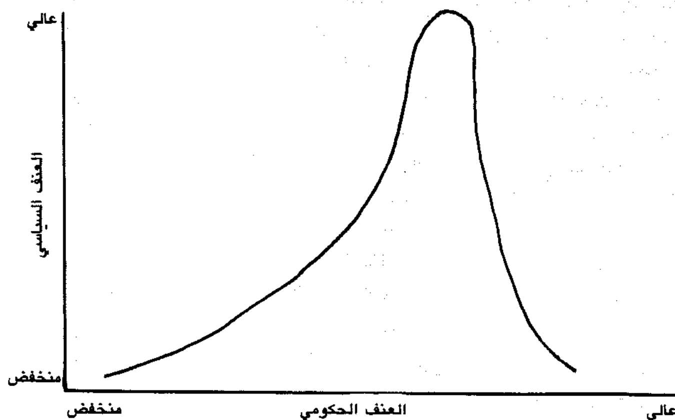
(15) Kataoka, 1972, p. 426.
(16) Gurr, 1970, p. 249.

عال على العامل المميزكـ « الحرب الأهلية »(١٧) . من ناحية أخرى فإن بعداً زمنياً يجب أن يدخل في الاعتبار وذلك في سبيل . توضيح العلاقات السببية بين المتغيرات . وإذا قمنا باستكمال هذه المعلومات عن طريق معلومات سلسلة ـ زمنية لأمريكا اللاتينية ، فإننا نجد انه في تسع عشرة حالة من ست وعشرين فإن القانون العرفي (مؤشرنا للعنف الحكومي) كان في الحقيقة معلناً **قبل** استهلال الثورة .

من ناحية أخرى ، فإنه كما في الحرب المضادة للعصيان فإن العنف الحكومي مأخوذاً على صعيد كبير كافي قادر على قمع النشاط الثوري الجلي . ففي هنغاريا عام ١٩٥٦ ، أدت المواجهة الأولى بين الشرطة والمتظاهرين الى « دفع الجماهير الى حالة من الجنون ، كما أعطى امتلاك السلاح ، المتحصل عليه من متعاطفين في صفوف الجيش ، احساساً بالقوة اللامحدودة »(١٨) . الا أن الدبابات الروسية المساندة للحكومة ، والحل اللاحق لمجالس العمال ، واعتقال وسجن زعماء مجالس العمال ولجان الاضراب ، كل هذه الأمور أدت الى سحق الثورة وإعادة سلطة الحكومة .

وبذلك فإن العلاقة بين العنف الحكومي ومعظم أنواع العنف السياسي تبدو على شكل منحنى اضلاع : يزداد العنف السياسي مع زيادة العنف الحكومي ، وذلك حتى الوصول الى عتبة معينة حيث يترافق العنف الحكومي المتزايد مع انخفاض مضطرد في العنف الجماعي للمواطنين(١٩) . (انظر الشكل ١٠ ـ ١) . هذه العتبة تختلف بطبيعة

شكل ـ ١٠ ـ ١ : العنف السياسي والعنف الحكومي علاقة منحنى



(17) Feieraband and Feieraband, 1966, Table 2, p. 255.
(18) Kecskemeti, 1961, p. 111.
(19) Bwy, 1968, Gurr, 1970, pp. 239-40; Markus and Nesvold, 1972.

الحال من حادثة ثورية معينة الى أخرى ، وبناء على مدى عداء المواطنين للنظام . من ناحية أخرى فإن امكانيتهم الثورية ، وكذلك قدرة النظام على العنف المضاد للثورة ، من الممكن أن يكونا معتمدين بشكل كبير على تماسك النخبة السياسية .

تمزق النخب

لاحظ أفلاطون ، اليكس دي توكوڤيل ، والعديد من الكتاب المعاصرين حول الثورة بأن الثورة في كثير من الأحيان تبدأ مع وجود « انقسامات بين أعضاء الطبقة الحاكمة »[٢٠] . كما أن تمزق النخب نفسه ذو علاقة وطيدة مع الهزيمة العسكرية والأزمة الاقتصادية ، وحتى لجوء النخبة الى مستويات أعلى من العنف الحكومي قادر على أن يهدد تماسكها . مهما كانت الصعوبات الآنية ، فإن الزمر داخل النخبة تميل الى أن لا تتفق حول كيفية حلها ، كما أن الشخصيات المتصارعة من الممكن أن تستغل فرصة لازمة لتحقيق مطالبها بمراكز أعلى في الحكومة . إن تمزق النخبة الناتج هذا ما هو بشكل خاص الا اشارة واضحةلتدهور كفاءة الحكومة ومن المرجح أن يقلل من شرعية النظام عند المواطنين .

هذه هي الحالة بشكل خاص عند موت حاكم أوتوقراطي تاركاً وراءه ازمة خلافة . فموت القيصر الكسندر الأول عام ١٨٢٥ فتح المجال لانشقاق في النخبة حول دور القيصرية الروسية ووضع الاقنان مما ساهم في اندلاع ثورة الديسمبريين . موت ستالين عام ١٩٥٣ اعقبه صدامات عنيفة بين الشرطة والمتظاهرين في هنغاريا ، تشيكوسلوڤاكيا ، والمانيا الشرقية ، وكذلك صراع على السلطة في الاتحاد السوڤيتي وصل الى ذروته المسرحية عام ١٩٥٦ من خلال هجوم خروتشوف على ذكرى ستالين ـ الذي يمثل رمزاً أساسياً للشرعية لكل الأحزاب والدول الشيوعية . وقد قاد الصراع الناتج بين النخب الشيوعية الى انتفاضات شعبية بشكل دقيق في تلك الأماكن حيث أفراد الدولة والحزب كانوا أشد انقساماً (في بولندا وهنغاريا) ، وقد كانوا منقسمين ليس فقط حول قضية الستالينية بل حول وسائل حل المشكلات الاقتصادية القائمة وحول دور السلطة الروسية في أوروبا الشرقية[٢١] .

أحد المعجلات المهمة في ثورة كاسترو في كوبا كان التمزق المتزايد لائتلاف باتيستا الحاكم بعد ١٩٥٦ ، بما في ذلك القيادة العليا للجيش الكوبي[٢٢] . وبأخذ عدد الوزراء المعفيين من مراكزهم كمؤشر على تمزق النخبة ، وجدت دراسة لستة عشر بلداً في أمريكا اللاتينية بين ١٩٤٨ و ١٩٦٢ علاقة وطيدة بين تكرارية الاعفاء واندلاع الثورة[٢٣] . وجدت

---

(20) Richter, 1966, p. 107; C. Johnson, 1966, p. 103; Pettee, 1966, pp. 16-17; Edwards, 1971, p. 84; Brinton, 1965, pp. 51-55; Gottschalk, 1971, pp. 107-8.

(21) Kecskemeti, 1961, pp. 118-22; Dallin and Breslauer, 1970, pp. 205-6; Meyer, 1971, esp. pp. 146-47.

(22) Wolf, 1969, p. 272; Beals, 1970, p. 248.

(23) Again, we here are interpolating the Feieraband's data into time-series variables.

أيضاً دراسة أكثر تعقيداً احصائياً لعدم الاستقرار في أمريكا اللاتينية أن « تمزق النخب وتشتتها يحدثان بشكل ثابت قبل حدوث حرب داخلية »[٢٤] .

الاصلاح والتغير السياسي

من الممكن أن يُعجل تمزق النخبة عن طريق محاولات طرف من النخبة البدء بمشروع اصلاح . وخاصة عندما يكون التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي غير مرافق بتغيرات في المؤسسات السياسية والتمثيل السياسي ، فإن قرار النظام تنفيذ اصلاح يمثل انقطاعاً حاداً مع ممارسات وسياسات الماضي . عادة ما تكون جهود الاصلاح نابعة من غير رغبة جادة ، فهي جزئياً مرتبطة بتمزق النخب ، غير أنها وبشكل حتمي تتضمن الانفصال مع ممارسات الماضي الغير عادلة مما قد يؤدي لاحقاً الى الاقلال من شرعية النظام .

دي كوكو ڤيل ، الذي كان يكتب في خمسينات القرن التاسع عشر حول الثورة الفرنسية ، يقدم تعميماً ينطبق على حكم أسرة المانشو قبل الثورة الوطنية في الصين ، وعلى روسيا تحت حكم كاترين الثانية ونقولا الثاني ، وعلى الحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ :

> لا تحدث الثورة دائماً عندما تكون الأمور سائرة من السيء الى الأسوأ . إنها تحدث غالباً عندما تقوم أمة كانت قد قبلت ، وبالفعل ، لم تعط أية اشارة الى كونها مدركة للقوانين الماحقة ، برفضها في اللحظة التي يكون تأثيرها قد خف . ان النظام المُدمر من قبل ثورة تقريباً دائماً أفضل من ذاك السابق له ، وتعلمنا التجربة أنه في العادة فإن أكثر الأوقات خطراً على الحكومة السيئة هي عندما تحاول أن تصلح نفسها[٢٥] .

إن الاصلاحات التي حاولها العديد من الوزراء في الحكومة الفرنسية قبل ١٧٨٩ ، لم تؤد فقط الى تمزيق النخبة التقليدية المؤيدة للملكية . بل إنها أيضاً جعلت من غير المحتمل جهود النبلاء لتأكيد بعض امتيازاتها الاقطاعيـة . وفي انجلترا أيضاً حاول جايمس الأول وتشارلز الأول احياء الالتزامات الاقطاعية وذلك قبيل الثورة البيوريتانية . وثورة باريس لعام ١٨٣٠ جاءت مباشرة بعد محاولات من تشارلز العاشر لاعادة **النظام البائد** والملكية المطلقة . اذن ، فإن محاولات الحكومات للمسير سواء الى الامام أو الى الخلف وذلك في سبيل حل صعوبات جارية من الممكن أن تؤدي الى قيام ثورة .

كذلك فإن قرار النخبة السياسية مركزة السلطة الادارية للدولة قادر أيضاً على تعجيل العملية الثورية ، خاصة عندما يكون الاستقلال الاقليمي والثقافي مهدداً بالمركزية . فانتفاضات الفلاحين والقوزاق الروس في القرنين السابع والثامن عشر كانت تسير جنباً الى

(24) Bwy, 1968, p. 236.
(25) Quoted in Richter, 1966, p. 119.

جنب مع المركزية المتزايدة للدولة الروسية في ظل نظام الموسكوفي والقياصرة ، الذي كان توسيع نفوذهم ليشمل نبلاء الأقاليم يعني اخضاع الفلاحين للنبلاء كأقنان أيضاً . كما أن الثورة المضادة في جنوب فرنسا وأقاليمها بعد ١٧٨٩ كانت متطابقة مع محاولات الجمعية الوطنية انهاء الاستقلال النسبي لبرلمانات الأقاليم . وأيضاً فإن جزءاً من دوافع العصيان الشيوعي في فيتنام الجنوبية كان نتيجة انهاء حكومة ديم لحكم القرى الذاتي وذلك بعد ١٩٥٤ . وانفجار الصراع القبلي في نيجيريا والحرب الأهلية النيجيرية كانا مباشرة مسبوقين وذلك في كانون ثاني (يناير) ١٩٦٦ بقرار الحكومة المركزية انشاء دولة موحدة وتعيين افراد الخدمة العامة دون أخذ التمثيل الاثني في الاعتبار .

إن مدى حدة الصراع الثقافي أو الجماعاتي Communal يميل في الغالب الى أن يشتد من خلال التغيرات الحادة في الأوضاع السياسية للنخب المحلية . فالفوز بالاستقلال من قوة استعمارية ، على سبيل المثال ، بامكانه التعجيل بحدوث هذه النماذج من الصراع ، كما في حالة الكونغو في ١٩٦٠ وزنجبار في ١٩٦٤ . فانتفاضة الأفارقة السود في زنجبار جاءت مباشرة عقب رحيل الإدارة الإستعمارية البريطانية ، والتي خلفت الأقلية العربية بأقل قدر من السيطرة ـ الا أن النخبة العربية نفسها كانت ممزقة في ١٩٦٣ وذلك من خلال تشكيل حزب عربي معارض[٢٦] .

إن الأوضاع السياسية للنخب المحلية في كلا المجتمعات الأقل نمواً والمتقدمة من الممكن أن تتغير أيضاً وبشكل مفاجىء من خلال انتخابات حاسمة ، التي بدورها يمكن أن تخدم كمعجل للعنف والثورة . فالانتخابات في نيجيريا ، باكستان ، وترينيداد في الستينات وأوائل السبعينات وفي فرنسا ، اسبانيا ، والمانيا في الثلاثينات أدت الى رفع مستوى الوعي السياسي للمواطنين وقطّبت صراعاتهم حول خطوط ايديولوجية واثنية من الصدام . ففي ايطاليا ، المانيا ، واسبانيا بعد الحرب العالمية الأولى كان النجاح الانتخابي لليسار هو الذي ساعد جزئياً الحركات الفاشية على تعبئة المؤيدين من ضمن الطبقات الوسطى الخائفة ، الكنيسة ، والجيش ، وأوليغاركية الأرض . خاصة في المجتمعات الأقل نمواً التي تتميز بالخلاف الجماعاتي ، فان الاستقلال الوطني وتنظيم انتخابات تنافسية قد يعني صراعاً رئيسياً طالما أن الأحزاب السياسية المنشأة حديثاً تعزز الانقسامات الثقافية . وعلى ذلك فإن « الديموقراطية » ، في بيئة من المؤسسات السياسية الضعيفة والصراع الثقافي ، من الممكن أن تقيم الأسس لحرب أهلية ، أو انقلاب عسكري كلما ازداد التهديد بالعنف ، أو كلاهما .

الا أن الانتخابات الحاسمة ، الفوز بالاستقلال القومي ، المركزية الادارية ، محاولات الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، وكل المعجلات الممكنة للثورة والمناقشة في هذا الفصل غير قادرة على الأرجح ، بنفسها ، على أحداث ثورة . فكما نستطيع العثور على العديد من

---

(26) Lemarchand, 1968.

الأمثلة لأزمة اقتصادية لم تترافق مع اندلاع ثورة ، فإننا أيضاً نستطيع العثور على العديد من الأمثلة لعنف حكومي وتمزق نخبوي يمثلان مجرد أحداث عابرة في تاريخ نظام سياسي مستقر .

على ذلك ، فإن المعجلات اسباب ضرورية ومباشرة للثورة ، الا أنها غير كافية . وفي الحقيقة ، حتى في هذا المسح الوجيز للمعجلات لم يكن في مقدوري تجنب الرجوع الى بعض الأسباب الأكثر أساسية في الثورة والتي نوقشت في الفصل اللاحق تحت عنوان « الشروط » . الا أن مدخل ختامي يجب أن يضاف الى قائمة المعجلات التي لدينا ، وهذا المدخل يتعلق بتلك الخصائص للعملية الثورية التي من غيرالسهل تصنيفها والتي اجتذبت انتباهاً أقل في أدبيات الثورة من المعجلات المعينة فيما سبق .

اثر المحاكاة

« أثر المحاكاة » Demonstration Effect هو تعبير مستمد من النظرية الاقتصادية . إنه يصف ميل المستهلكين الى تغيير أنماطهم الاستهلاكية بناءً على تغير الأنماط الاستهلاكية لجيرانهم أو معارفهم . وعادة ما يكون التغيير نحو مستويات معيشة أعلى[٢٧] .

ويبدو أن التعبير مناسب أيضاً لدراسة الثورة[٢٨] . وهذا لأن الحركات الثورية التي يقوم بهاالجمهوريون ، العمال ، الفلاحون ، الوطنيون ، الفاشيون ، الانفصاليون ، وكذلك حرب العصابات ، الانقلابات ، وحتى الاضطرابات الطلابية ، ليست موزعة بشكل عشوائي خلال التاريخ . انها تميل الى أن تتركز في وقت معين ، مشيرة بذلك الى أن حادثة ثورية في مكان معين قد تعمل كمعجل لعملية ثورية في مكان آخر وذلك في لحظة معينة تقريباً من الزمن . ومن الممكن أن يعبر عن هذه الظاهرة بشكل آخر تحت عنوان « الثـورات المتزامنة » .

فنجاح الثورة الأمريكية ، على سبيل المثال ، في كثير من الأحيان يعزى اليه المساهمة في اندلاع الثورة الفرنسية . واندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ أعقبه مباشرة نشاط ثوري في سيلسيا ، هامبورغ ، بلجيكا ، ايرلندا ، وأماكن اخرى في وسط وشمال أوروبا . كما أن الثورة الفرنسية والحروب النابليونية بدورها وضعت الأسس لحركات الاستقلال في أمريكا اللاتينية بين ١٨١٠ و ١٨٣٠ . وثورة باريس الناجحة في تموز (يوليو) ١٨٣٠ على ملكية آل بوربون العائدة أدت الى قيام الحركات الوطنية في بولندا (ضد السيطرة الروسية) ، وفي بلجيكا (ضد السيطرة الهولندية) ، كما يبدو أنها كانت وبشكل كبير المعجل لحركات ثورية ليبرالية في ايطاليا ، سويسرا ، المانيا ، اسبانيا ، البرتغال ـ كما أن باريس في ١٨٤٨ كانت مرة أخرى برميل البارود لانفجارت ثورية في كافة

---

(27) Duesenberry, 1949; Olson, 1963, p. 538; and Ridker, 1962, p. 5.
(28) Deutsch, 1964, p. 100.

أرجاء أوروبا ، من كوبنهاغن مروراً ببرلين الى ڤيينا، بودابست ، لومبارديا ، وباليرمو[٢٩] .

ان نجاح اليابان العسكري على روسيا سنة ١٩٠٥ كان يشير الى أن القوى الأوروبية ليست بتلك المنعة، ويبدو أن الدرس أدى الى تعجيل تعبئة الحركات الوطنية في فارس سنة ١٩٠٥ ، وتركيا سنة ١٩٠٨ ، وكذلك الصين في ١٩١١ . وقد استنتجت دراسة لكتابات المثقفين الصينيين الراديكاليين الأوائل الى انهم « كانوا يعرفون عن الثورات الأخرى ، كما يبدو انهم كانوا يعرفون الشيء الكثير عن الفرنسيين ، وكذلك فإنهم كانوا يتابعون تقدم تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٥ الروسية بشكل دقيق وانفعال كبير ، كما أنهم كانوا يرجعون الى هذه الثورات وثورات أخرى بشكل متكرر »[٣٠] .

كذلك فإن الأخبار حول الثورة البلشفية في ١٩١٧ أنعشت الحركات الفوضوية في جنوب اسبانيا وكانت الدافع الروحي للانتفاضات الشيوعية في أوروبا الوسطى . وقد أقيمت حكومات ذات طابع سوڤيتي لفترة وجيزة في هنغاريا وباڤاريا . كما أن احزاب شيوعية رئيسية نُظمت في فرنسا سنة ١٩٢٠ وفي ايطاليا سنة ١٩٢١ ، وكذلك اندلعت انتفاضة شيوعية في سكسونيا سنة ١٩٢٣ . ويبدو أن التهديد اليساري المتصاعد هو المحرض لنمو الفاشية ، وذلك في جدلية للتطرف السياسي . فالانقلاب البلشفي الذي صممه تروتسكي سنة ١٩١٧ خدم كنموذج لموسوليني سنة ١٩٢٢ . كما ان اساليب موسوليني كانت وراء محاولة هتلر الانقلابية في ميونيخ سنة ١٩٢٣ . ونجاح النازيين في المانيا في كانون ثاني (يناير) ١٩٣٣ أعقبه بشكل سريع سلسلة من الانقلابات الفاشية وشبه الفاشية من فنلندا الى اليونان ، وفي النمسا في اذار (مارس) ١٩٣٣ وبلجيكا في أوائل ١٩٣٤ حلت ديكتاتوريات ذات طابع فاشي محل مؤسسات ديمقراطية ذات طابع مؤقت[٣١] .

يبدو أن « الصدفة التاريخية » غير قادرة على تفسير توقيت اندلاع الثورة الجزائرية في تشرين أول - تشرين ثاني ١٩٥٤ . فالاستعمار الفرنسي في الهند الصينية كان قد واجه نكسة في ديان بيان فو في ايار (مايو) واقيمت دولة مستقلة في ڤيتنام الشمالية في تموز (يوليو) . وكذلك فإن حركات الاستقلال المعادية لفرنسا في الجزائر ، تونس ، والمغرب في أواسط الخمسينات كانت تعزز بعضها بعضاً بشكل متبادل . واستقلال غانا عن بريطانيا العظمى سنة ١٩٥٧ ادى الى تصعيد الدعاية المعادية للاستعمار في الكونغو البلجيكي وانغولا البرتغالية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات . ويبدو أن الاضطرابات العنصرية في الولايات المتحدة ، والانقلابات العسكرية في الشرق الأوسط ، وفي افريقيا السوداء ، وأمريكا اللاتينية كانت أيضاً موزعة بشكل غير عشوائي زمنياً . فعقب الاطاحة بديكتاتورية سوموزا في نيكارغوا في ١٩٧٩ ، على سبيل المثال ، فإن

---

(29) Palmer, 1956, pp. 353, 456-58, and Chap. 12; Palmer, 1959-64; and Hobsbawm, 1959, p. 96.
(30) Gasster, 1969, p. XXV.
(31) Borkenau, 1962, pp. 380-81; Scalapino, 1964, p. 117.

حكومة السلفادور أطيح بها من السلطة من قبل ـ هيئة عسكرية ـ مدنية . هذه الهيئة نفسها عانت بعد ذلك من ضغوط المظاهرات الجماهيرية ومعارك الشوارع التي قضت على حياة المئات .

وقد أدت نشاطات اليسار الى تعبئة اليمين الذي عاهد على أن يقابل العنف بالعنف والارهاب بالارهاب . من الصعوبة بمكان تجاهل توقيت هذه الأحداث ـ التي تبدو أنها في أوائل الثمانينات ذات علاقة وطيدة بالثورة النيكارغوانية سنة ١٩٧٩ كما كان عدم استقرار امريكا اللاتينية في الستينات ذا علاقة بثورة ١٩٥٩ الكوبية .

هذه الأمثلة المحددة تشير الى أن أثر المحاكاة قابل لأن يكون ذا قدرة قياسية في مجال الحركات السياسية . فالحركات المعادية للملكية أو حروب العصابات تؤدي الى تعجيل الحركات المعادية للملكية أو حروب العصابات ، وليس الانقلابات العسكرية . والانقلابات العسكرية تؤدي الى تعجيل الانقلابات العسكرية ، وليس الحركات المعادية للاستعمار أو الاضرابات الصناعية العامة . واحتلال العمال لمصنع أو حرق الفلاحين لمزرعة يحث عمالاً آخرين أو فلاحين آخرين على القيام بأعمال مشابهة . وفيما يتعلق بالنوعين الأخيرين من العنف الجماعي بشكل خاص ، فإن أثر المحاكاة يساعد على تفسير كيفية نشوء الحركات التلقائية الكبيرة . وكلما كانت سلسلة الأحداث الثورية متداخلة أكثر زمنياً ، كلما كان دور التلقائية في التعبئة الثورية أبرز .

وعلى ذلك فإن المدى الذي تعمل من خلاله حادثة ثورية كمعجل لنشاط ثوري مشابه في مكان آخر يعتمد على (١) فعالية شبكة الاتصالات ، (٢) النجاح الظاهر للعمل الثوري الأولي ، (٣) الملائمة الثقافية المتبادلة للأساليب والايديولوجية المميزة للعمل الثوري الأولي ، وأخيراً (٤) التشابه الثقافي المتبادل « الشروط » الثورة . وسيلاحظ القارىء اليقظ أن المتغير الأخير يعلن مرة أخرى عن موضوع الفصل التالي .

للفحص

بعض الافتراضات

١ ـ اكثرية المؤيدين أو المشاركين في الحركات الثورية يفعلون ذلك مدفوعين بمصلحتهم الذاتية واهتماماتهم المباشرة بالرفاه الشخصي .

٢ ـ تميل الامكانية الثورية الى الزيادة أكثر عندما تبادر الحكومة القائمة بالقيام باصلاح أو السعي نحو تغيّر انماطٍ سياسية قائمة ـ حتى عندما يكون الاصلاح والتغيير في صالح المستضعفين وأولئك الذين من الممكن أن يتعاطفوا مع الثورة .

٣ ـ تميل الأحداث الثورية المتشابهة في بقاع جغرافية مختلفة الى التزامن .

بعض الفرضيات

١ ـ امكانية المجتمع الثورية ذات علاقة مباشرة بحدة ،

أ ـ الهزيمة العسكرية ،
ب ـ الأزمة الاقتصادية ،
جـ ـ تمزق النخبة الحاكمة .
٢ ـ هنالك علاقة طردية بين امكانية المجتمع الثورية ومدى العنف الحكومي .
٣ ـ هنالك علاقة عكسية بين امكانية المجتمع الثورية وشرعية النظام السياسية .

الفصل الحادي عشر

الاطار : الشروط

الجغرافيا

انه لمن الطبيعي ، ونحن المحيرون بأسئلة معقدة ، أن نبحث عن أجوبة سهلة . الا أننا يجب أن نقاوم اغراء تفسير الأسباب البعيدة المدى للثورة - أو أي ظاهرة اجتماعية - وفق متغير واحد ، مهما كانت قيمته التفسيرية بديهية موضوعية . إن الوعي الانساني يتفاعل مع شروط الوجود الانساني ، ويستطيع الانسان تغيير بيئته الاجتماعية وتطوير أنماط مختلفة للسلوك حتى وإن كانت ظروفه الموضوعية متشابهة أو متماثلة .

ليس المقصود من هذا الشرط المسبق القول بوجود حتمية جغرافية في العملية الثورية . الا أنه قيل ما فيه الكفاية حول دور الجغرافيا في حرب العصابات والدعم الخارجي لإيضاح أن الشروط الجغرافية في كثير من الأحيان تحدد نجاح أو فشل الحركات الثورية . ومن الممكن قول نفس الشيء حول شروط ظهورها .

إن الجغرافيا ، على سبيل المثال ، تلعب دوراً هاماً في بنية شبكة الاتصالات التي بدورها ، تساعد على تحديد المدى الثقافي المتبادل لأثر المحاكاة . ولم يكن من الصدفة بمكان أن الأحداث الثورية في فرنسا من ١٧٨٩ وحتى ١٨٤٨ كانت ذات أثر أكبر في المناطق الجغرافية المجاورة لفرنسا (الأراضي المنخفضة ، سويسرا ، ايطاليا ، ومنطقة الراين) منها في الدول الاسكندناڤية ، بريطانيا العظمى ، شبه الجزيرة الايبيرية ، شرق أوروبا ، أو روسيا . نخلص من ذلك الى أن العزلة الجغرافية النسبية لبلد معين باستطاعتها الاقلال من أو محو تأثير أثر المحاكاة .

كما أنه من الممكن أن تعمل العزلة الجغرافية بطرق أخرى أيضاً . فقد كانت البنية السياسية الاجتماعية في السويد مماثلة لتلك التي في المانيا قبل الحرب العالمية الأولى ، خاصة فيما يتعلق بالأرستقراطية ذات الوعي الطبقي المرتفع والطبقة الوسطى اللتين قاومتا عملية الدمقرطة السياسية وتقدم الطبقات السويدية الدنيا . الا أن عزلتها الجغرافية مكنتها من تجنب الحروب والأزمات السياسية والاجتماعية الناتجة التي دمرت المانيا والقارة

وجعلتها تسير في اتجاه الديموقراطية الاجتماعية بدون لحظات الانفصال التاريخية الممثلة بالثورة[١] . والعزلة الجغرافية لايرلندا والملايو كانت تعني فشل الحركات الثورية طالما أنها معتمدة على الدعم الخارجي في سبيل النجاح . أما في بريطانيا العظمى ، فإن الحماية الموفرة من قبل البحر كانت تعني دوراً ضئيلاً نسبياً للجيش في المجتمع والسياسة البريطانيين ونحو طبقة وسطى مغامرة وذلك مع التجارة النامية والتبادل التجاري البحري . هذه الأمور بدورها ساهمت في نمو الراسمالية في انجلترا ، وبعد ١٦٨٩ ، في تطور نظام سياسي ديموقراطي ومستقر نسبياً[٢] .

كذلك . فإن العزلة الجغرافية والالتقاء الذاتي الاقتصادي يساعدان على تفسير الاستقرار السياسي النسبي للولايات المتحدة ، كندا ، استراليا ، ونيوزيلندا . فبالإضافة الى عوامل أخرى ، كان البعد الجغرافي لهذه البلاد يعني أن استعمارها من قبل الأوروبيين متأخر جداً لاقامة بنية اجتماعية اقطاعية والتي ، في أوروبا ، أقامت الأسس لتاريخ تميز بالصراع الطبقي . بهذا المعنى ، فإن الانتشار العالمي للبنية الاجتماعية ، وكذلك الثقافة السياسية ، هو جزئياً مرتبط بالجغرافيا الطبيعية .

أيضاً فإن الجغرافيا الاقتصادية لبلد معين تساعد على تحديد امكانيتها الثورية وخصائص الحركات الثورية التي تظهر . ففي الصين من أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين ، كانت المناطق المعانية بشكل كبير للفيضانات والقحط ، خاصة في وادي الياتغنسي ، تزود الانتفاضات الصينية الدورية بأعداد مختلفة من الزعماء والأنصار الثوريين[٣]. حيث تنمو طرق المواصلات وأيضاً حيث يكون التغير الاقتصادي مضطرداً أكثر . ومعدلات التطور الاقتصادي المتغيرة بدورها تزيد من العداء بين الجماعات الاثنية المختلفة والفئات الاجتماعية اللاقتصادية . و « الموارد » المعدنية المتاحة ، وخصوبة التربة ، والقيمة التصديرية للسلع الزراعية المحلية ، وتقارب تقاطعات طرق المواصلات - كل هذه الأمور تؤثر على سرعة التغير الاجتماعي » وبالتالي ، خصائص الصراع الاجتماعي والامكانية الثورية[٤] .

إن العلاقة بين الجغرافيا الاقتصادية والجغرافيا السياسية لبلد معين من الممكن أن تؤثر على معدل وطبيعة التغير الاجتماعي . فحيثما تكون الصناعة والجامعات واقعة في أو قرب عاصمة دولة مركزية (كما في فرنسا ، ولكن ليس في انجلترا) ، فإن تحريض العمال والطلاب يميل أكثر الى أن يكون ذا أثر سياسي هام . وفي مصر ، جعلت المركزية السياسية وضيق الحدود الجغرافية لمصدر مصر الاقتصادي الرئيسي - وادي نهر النيل - من المستحيل تنظيم حركات ثورية فلاحية . وبالتالي كانت الحركات المعادية للاستعمار

(1) Lipset, 1967, p. 270.
(2) Moore, 1966, p. 444.
(3) North and Pool, 1965, p. 404.
(4) Melson and Wolpe, 1970, p. 1116.

البريطاني ضعيفة وكان العنف السياسي في مصر يأخذ بشكل ثابت شكل اضطرابات مدينية وانقلابات حكومية(٥) . كما أن الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والطبيعية لبلد ما قد تلعب دورها دوراً مؤثراً في توزيع وحركة سكانها .

الديموغرافيا

بين عام ١٧١٥ وثورة ١٧٨٩ الفرنسية ، ازداد عدد سكان فرنسا بمقدار النصف تقريباً ، من ١٨ إلى ٢٥ مليوناً ، وكان معدل النمو السكاني مرتفعاً خاصة بين ١٧٥٨ و ١٧٧٠ . والمولودون في هذه المرحلة الأخيرة بلغوا سن الرشد سنة ١٧٨٩(٦) . وانخفض سكان الصين في النصف الأول من القرن السابع عشر ، الا أنهم بلغوا تقريباً ثلاثة أضعاف بين ١٧٠٠ و ١٨٥٠ . ومن الممكن أن يؤرخ تمرد التايبنغ من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٥ . وخلال الستين عاماً السابقة لانتفاضات الصين الأولى في القرن العشرين ، نما الشعب الصيني بمعدل لم يسبق له مثيل منذ القرن الرابع عشر على الأقل(٧) .

الا أن الزيادة السريعة في حجم سكان بلد ليس بحد ذاته نذير ثورة . فبين ١٨٥٠ و ١٩٠٠ ، ازداد عدد سكان معظم البلدان الأوروبية بشكل سريع ، إلا أن هذه الفترة أيضاً كانت فترة هدوء اجتماعي وسياسي نسبي . فبالاضافة الى النمو السكاني ، فإن العديد من المتغيرات المتدخلة ، بما في ذلك طاقة الموارد الاقتصادية للبلد ، يجب أن تلعب دوراً في تصعيد الامكانية الثورية . فضغوط السكان-المتزايدين على الموارد الزراعية المحدودة اعتبرت شرطاً هاماً للراديكالية الريفية في الصين ، الفلبين ، المكسيك ، الجزائر ، البيرو ، بوليفيا ، فيتنام (خاصة في الشمال) ، الهند ، والعديد من البلدان الأخرى(٨). كما أن المعدل الذي عنده يتجاوز النمو السكاني الموارد الزراعية من الممكن أن يتزايد من خلال نظام الوراثة التي تتطلب توزيع أرض الأب بالتساوي بين كل وارثيه (كما في حين قبل الثـورة) ، وامكانية العنف الريفي عالية بشكل خاص حيث يكون اثر أعداد أكثر من اللازم من الناس على أجزاء أقل من اللازم من الأرض قوياً بفعل التوزيع غير العادل بشكل كبير للأرض بين مختلف فئات الفلاحين .

إن التضخم السكاني في المناطق الريفية يؤدي ، بدوره ، عادة الى نمو سكاني مضطرد في المدن ، وذلك من خلال الهجرة من الريف الى المدن بصفة أساسية . وعندما يكون التطور الصناعي والفرص الوظيفية بشكل خاص غير قادرة على مجاراة النمو السكاني في المدن ، فإن امكانية العنف المديني تصبح عالية . فسكان باريس نموا بشكل مضطرد

---

(5) Leiden and Schmitt, 1968, pp. 160 and 165.
(6) Melotti, 1965, pp. 156-57.
(7) Gasster, 1969, p. 4; Wolf, 1969, pp. 127-28.
(8) Zagoria, 1971.

بين ١٨٠٠ و ١٨٥٠ وبالتالي أقاموا الأساس للمشاركة الجماهيرية التي ميزت ثورات ١٨٣٠ و ١٨٤٨[٩] . وبين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ تزايد سكان موسكو بمقدار ٤٠٠ في المائة كما أن سكان سانت بطرسبورغ تزايدوا بمقدار ٥٠٠ في المائة[١٠] . وحتى بالنسبة لأولئك الحاصلين على عمل، فإن العمل في مصانع كبيرة من الآلاف من العمال الآخرين (كما في موسكو وسانت بطرس بورغ) زاد من امكانيـة التسيّس والمشاركـة في الحركـات الجماهيرية . فالعامل في المصانع الكبيرة يكون خاضعاً لبيروقراطية ادارية لاشخصية أكثر ، وتكون الاتصالات بين العمال أسهل، وكذلك فإن وعيهم السياسي يكون قابلاً للازدياد أكثر من خلال التحريض والدعاية الراديكاليين[١١] .

ولكن حتى لسكان المدن هؤلاء العاطلين أو الواقعين على هامش الدورة الاقتصادية والقادمين حديثاً من المناطق الريفية ، فإن الحياة المدينية تعني تفسّخ المعايير التقليدية والأمن المادي وبين السلطة الممثلة من قبل العائلة ، القبيلة ، الدين ، الطائفة ، والقرية . وبناءً على ذلك فإن ميل ساكن المدينة الى العنف الجماهيري والتعبئة الثورية تزداد غير أن الحركات الثورية ذات الأمد الطويل والبنى المؤسساتية من غير الأرجح ، الى حد كبير ، أن تتواجد في محيط مديني . فصعود الفاشية في المانيا وايطاليا ، فُسر جزئياً كنتيجة للهجرة من الريف الى المدن (مدفوعاً بمعدلات الولادة المرتفعة قبل ١٩١٤) التي أدت الى اتساع طبقات المدن الدنيا وزاد من حساسية الطبقات الوسطى المدينية تجاه وضعها الاجتماعي المهدد . وفي الحقيقة ، ما إن أصبح النازيون الألمان والفاشيون الطليان في السلطة فإنهم لم يقوموا فقط باخضاع نقابات العمال الى سلطة الدولة بل انهم كبحوا تدفق سكان الريف الى المدن[١٢] .

عندما تتوفر شروط الثورة ولكن الحركات الثورية تكون ضعيفة أو غير موجودة، فإن الهجرة الى الخارج بأعداد كبيرة غالباً ما يبدو أنها متغير تفسيري رئيسي . فهؤلاء المهاجرين الى مناطق غير مأهولة أو الى بلاد أجنبية هم أكثر المؤهلين للزعامة الثورية والمشاركة فيما لو أجبروا على البقاء في الوطن ، اذ أنهم يمثلون الشباب والقادرين على التنقل الاجتماعي والأنشط سياسياً. فرحيلهم في سبيل آفاق أفضل يقلل من امكانية المجتمع الثورية أو فرص النجاح في حالة نشاط ثوري . هذه الديناميات الديموغرافية يبدو أنها كانت ذات فاعلية في ايرلندا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي انجلترا بعد الثورة البيوريتانية والتحريض العمالي المرافق للشارتية في منتصف القرن التاسع عشر ، وفي جنوب ايطاليا حوالي بداية القرن العشرين . في كل حالة ، خفضت

---

(9) Pinkney, 1964 , p. 2 .
(10) Davies, 1963, p. 351.
(11) Trotsky, 1957, Vol. 1, pp. 9-10; Hamilton, 1967, p. 134; zeitlin, 1967, pp. 168-79; Wolf, 1969, pp. 74-75.
(12) Organski, 1969, pp. 23-38; Galle et al., 1972.

الهجرة الى الولايات المتحدة (أو استراليا) الضغوط الديموغرافيـة على الموارد الاقتصادية وساهمت في الاقلال من العنف في البلد الأم . وقد ذكرت نفس الظاهرة في حالة الجزائريين المهاجرين الى تونس تحت ضغط الاستعمار الفرنسي ، والمؤيدين لبريطانيا الذين غادروا المستعمرات الأمريكية الى كندا بعد ١٧٧٥ ، والعمال والمزارعين المغادرين شرق الولايات المتحدة باتجاه التخوم الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكاثوليك ڤيتنام الشمالية الفارين الى ڤيتنام الجنوبية بعد ١٩٥٤ ، والالمان الشرقيين المنتقلين الى المانيا الغربية قبل ١٩٦١ ، والمعادين لكاسترو المغادرين كوبا بعد ١٩٥٩ ، وكذلك الصقليين المهاجرين الى الشمال الايطالي في الخمسينات والستينات . في كل حالة ، ترك المهاجرون وراءهم سكاناً سلبيين سياسياً غالباً لأنهم كانوا متجانسين اكثر اجتماعياً ، مما عمل في صالح النظام القائم .

الانقسام الثقافي

عندما يكون المهاجرون مختلفين بشكل خاص ثقافياً عن أغلبية السكان المحليين ، فإن الهجرة الى الداخل قد تعزز من الحزازات القائمة أو تدخل انقسامات جديدة الى المجتمع ، رافعة بذلك من امكانيته للعنف الجماعي . فمن غير الضروري تذكير مواطني الولايات المتحدة بأن الانقسامات العنصرية أو الاثنية غالباً ما تكون مرافقة للصراع الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي .

فالأمريكيون ذوو الأصول السلافية ، الألمانية ، الصينية ، اليابانية ، اللاتينية ، والايطالية ، وكذلك الهنود ، واليهود ، والسود الأمريكيون كانوا دائماً أهدافاً للعنف الجماعي في مراحل مختلفة من التاريخ الأمريكي . وحتى قبل الاضطرابات المدينية بين ١٩٦٥ الى ١٩٦٨ ، فان سجل ست وسبعين مظاهرة عنصرية على الأقل بين ١٩١٣ و ١٩٦٣ يشير الى بعض الاخفاق الكبير في تحقيق المثل الأمريكية في الاستقرار ، والمساواة ، والديموقراطية(١٣) .

وفي الصين ، كانت ثورة التايبنغ قائمة أساساً على عداء الأقليات الأثنية الصينية في جنوب الصين لعائلة المانشو الحاكمة « الأجنبية » ومقاومة انتهاكات الصينيين المهاجرين من الشمال . والعصيان الشيوعي في الملايو بعد الحرب العالمية الثانية ، وحركة حرب العصابات المعاد تشكيلها في ماليزيا بعد ١٩٧١ ، قامت بتجنيد الانصار بشكل صغير تقريباً من الأقليات الاثنية المحلية ، خاصة الصينيين الملاويين . والشيوعيون في ڤيتنام تلقوا ايضاً دعماً قوياً من الجماعات الاثنية غير الڤيتنامية ، بما في ذلك اقلية الثو ونشاط حرب العصابات في تايلند بعد ١٩٦٥ كان قائماً بشكل كبير على غير التايلنديين اثنياً ، بما في ذلك الماليزيين والصينيين . وفي الستينات وأوائل السبعينات ،

---

(13) Lieberson and Silverman, 1965, Baskin et al., 1972.

قام العرب بتنظيم صفوفهم مقابل السود في زنجبار والسودان ، والسود مقابل الهنود الشرقيين في ترينيداد ، وقبائل الهاوسا وليوروبا مقابل الايبو في نيجيريا ، وقبائل الهوتو مقابل التوتسي في بروندي . كما أن الانقلابات التي حدثت في سيراليون في ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، و ١٩٧١ انما تعكس العداء بين قبائل الليمبا والتيمني . وكذلك فإن اليهود والأقليات السلافية ذات الاتجاه الروسي في أوروبا الشرقية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كانوا ممثلين بنسبة أعلى من أعدادهم في المراتب الانتخابية وفي العضوية Membership للأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية[١٤] .

إن الاستقلال السياسي من نير سلطة استعمارية ، والتطور الاقتصادي ، والنمو السكاني ، وأي واحد من معجلات الثورة المناقشة في الفصل السابق عادة ما توسع من رقعة الانقسام بناءً على العنصر او الاثنية وبالتالي تزيد من امكانية المجتمع الثورية . وسواء كانت انقسامات المجتمع الثقافية تأخذ شكل اضطرابات مدينية ، عنف ريفي ، حرب أهلية ، حرب عصابات ، أو انقلابات فان ذلك يعتمد على العديد من العوامل وليس من السهولة دائماً التنبؤ بها. لذلك فإننا يجب أن نقنع أنفسنا في هذه اللحظة بمحاولة فهم شروط العنف السياسي والعملية الثورية بناءً على الانقسام الثقافي .

إلا أن الانقسام العنصري أو الاثني ليس الأساس الثقافي الأوحد للصراع السياسي . فالانقسام **اللغوي** أيضاً كان سبباً للمجابهة وعدم الاستقرار ، وليس فقط في العديد من البلدان الأقل تطوراً في آسيا وأفريقيا . فالأقليات الناطقة بالألمانية بين شعوب أوروبا الشرقية السلافية ، والباسك والكاتالونيون في اسبانيا ، والبلجيكيون الناطقون بالفلمنكية والفرنسية ، كل هؤلاء كانوا مصدراً لمصالح متعارضة ومطالب غير قابلة للنقاش وضعت قيوداً قاسية على نسيج الحكومة . وفي فرنسا ، قام الانفصاليون الناطقون بالبريتانية (من بريتانيا) والمدعون تمثيل تطلعات الاستقلال الثقافي ل ٣,٣ مليون بريتاني بتفجير أكثر من مائتين قنبلة في ممتلكات للحكومة الفرنسية بين ١٩٦٦ و ١٩٧٨ ، بما في ذلك قنبلة أدت الى أضرار مقدارها مليون دولار في قصر فرساي .

وحيث تعزز الانقسامات العنصرية واللغوية بعضها البعض ، أو خلال انقسامات أخرى ـ بما في ذلك الدينية ، والاقتصادية ، أو الايديولوجية ـ فان الشروط تكون مهيأة لنمط من السياسة متفجر بشكل خاص . فالمشاعر القومية للثيوانيين الخاضعين لموسكو ، والكرواتين المعادين لبلغاريا ، والباسك المقاتلين لمدريد ، والأرمن في تركيا ، تزداد حدة عن طريق الفروق الدينية ، اللغوية ، والاقتصادية التي تعقد الخريطة الثقافية لهذه المجتمعات ، وفي كثير من الأحيان كانت تظهر بأشكال مختلفة من العنف السياسي .

فعلى سبيل المثال ، قبل انشاء بنغلاديش عام ١٩٧١ ، كان معظم الباكستانيين الغربيين مسلمين ويتكلمون الأوردو . وكذلك فإن معظم الباكستانيين الشرقيين كانوا من

(14) Burks, 1961.

المسلمين ، الا انهم كانوا يتكلمون البنغالية وكان لديهم ارتباطات ثقافية وطيدة مع البنغاليين الهندوس في الهند ، وبينما كان ٦٠ في المائة من الباكستانيين يعيشون في الشرق ، فإن الباكستانيين الغربيين كانوا هم المسيطرين سياسياً واقتصادياً . والأقلية الكاثوليكية في ايرلندا الشمالية ، مقارنة مع الأغلبية البروتستانتية ، مغبونة اقتصادياً وأقل تمثيلاً سياسياً والانفصاليون الناطقون بالفرنسية تلقوا الدعم الأكبر من السكان الكاثوليك في كويبك حيث الكنديون الناطقون بالانجليزية ذوي الأصول البروتستانتية هم النافذون اقتصادياً ـ وذلك في مونتريال وليس في مدينة كويبك أو الريف الكويبكي .

من ناحية أخرى ، فإنه يبدو أن الفدرالية في كندا ، الهند ، وسويسرا قد قللت من الصراع الاجتماعي الواضح بين الجماعات الثقافية وذلك عن طريق تحديد تفاعلهم الاجتماعي والاقتصادي . وحيث لا تعزز الانقسامات الدينية واللغوية بعضها بعضاً . بل عوضاً عن ذلك تتداخل (كما في سويسرا) ، أو حيث تتقاطع خطوط الانقسامات الثقافية مع تطور الطبقات الاقتصادية نتيجة التصنيع (كما في هولندا) ، فإن فرص المجتمع في تجنب صراع قتل الأخ لأخيه تتزايد .

إن الدين يستحق انتباهاً خاصاً لأنه قادرعلى زيادة وتخفيض إمكانية المجتمع للعنف وقد أدرك تروتسكي بحق أن « المؤمنين القدامى » ـ ربع سكان روسيا المسيحيين في ١٩١٤ ـ كانوا مصدراً هاماً للدعم الثوري وذلك لأن عداءهم للكنيسة الأرثوذكسية الروسية يترافق مع معارضة حادة للدولة الروسية . وفي أوائل السبعينات ، أدت الهجرة المتزايدة للفلبينيين المسيحيين الى الجزر الخارجية للفلبين الى اثارة السكان المسلمين ودفعهم الى أعمال حرب عصابات ، وخلال أوائل الثمانينات ، وسع الانفصاليون المسلمون من صراعهم الى الجزر الرئيسية والعاصمة حيث اثبتت عمليات اغتيال رجال الدولة وأعمال الارهاب الأخرى عن التزام المسلمين بالاستقلال الثقافي (وكذلك السياسي) عن الحكومة المسيحية في مانيلا . وقيام الباكستان في ١٩٤٧ إنما كان يعكس الصراعات غير القابلة للتسوية بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية وذلك بعد الاستقلال عن بريطانيا العظمى . والصراعات العنيفة المتكررة بين الكاثوليك والبروتستانت منذ عهد الاصلاح تجعل من الواضح أن الانقسامات الدينية بنفسها من الممكن أن تكون مصدراً ملتهباً للصراع الاجتماعي ، خاصة عندما يعتبر كل دين من الأديان المتنافسة نفسه الطريق الصحيح الوحيد للتنوير الالهي والخلاص الروحي .

من ناحية أخرى ، فإنه عندما لا يكون هنالك انقسامات دينية ، فإن دين المجتمع قد يعزز قيم السلطة السائدة وبالتالي يقلل من امكانية الصراع وفق خطوط انقسام أخرى . وهذا صحيح على وجه الخصوص بالنسبة للكونفوشية والهندوسية ، واللتين تتضمنان نظماً موسعة تصف التنظيم الأنسب للحياة الاجتماعية والسلوك الانساني. وبذلك فإن الفروق الكبيرة في الأوضاع الاجتماعية والثروة تكتسب شرعية عن طريق التعاليم الدينية ،

ومن المحتمل أنه ليس نظام الطوائف الهندوسي منهاراً[١٥] . إن خضوع الفرد للسلطة القائمة ، والذي يبدو واضحاً أيضاً في المسيحية البروتستانية ، يساعد على تفسير السلبية النسبية للطبقات الاجتماعية الدنيا ، وخاصة فيما يتعلق بالسود في جنوب الولايات المتحدة . كذلك يبدو أن عدم الثقة التقليدي للكاثوليكية تجاه السلطة السياسية العلمانية والمؤسسات الجمهورية قد ادى الى زيادة امكانية ظهور حركات سياسية متطرفة وخاصة مختلف الاتجاهات الفاشية ، حتى عندما تكون ثقافة المجتمع الدينية متجانسة نسبياً (كما في ايطاليا) . من ناحية أخرى ، فإن الكنيسة الكاثوليكية في ايرلندا قاومت وبشدة تنظيم حركات سياسية، بما في ذلك أولئك المعارضين السيطرة البريطانية ، وذلك خوفاً من تخفيض تأثير الكنيسة على السكان الايرلنديين . وجزء من تفسير نجاح كاسترو كان الضعف النسبي للكنيسة الكاثوليكية في كوبا ، والتي كانت تقليدياً أقل ميلاً الى سلطة الكنيسة عنها في بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى ، بما في ذلك المناطق التي أخفقت فيها الحركات الكاستروية .

كما انه من الممكن إن يعمل الدين كقوة اجتماعية في سبيل الاستقرار وذلك عن طريق تقديم قنوات بديلة للتعبير عن الاستياء . فنمو طائفة الميثوديست والبروتستانتية الانجليزية الخارجة كان مرافقاً للتصنيع الصاعد في انجلترا (بين ١٧٩٠ و ١٨٥٠) وكان المعتنقون للحركة الجديدة أساساً من تلك الطبقات الدنيا الأكثر استعداداً لنقل التنظيمات السياسية الراديكالية . فالتبشير والعضوية في كنائس محلية كانت تمنح المركز والتضامن الاجتماعي للأفراد الذين اجتثوا من جذورهم التقليدية وأسلوب الحياة الريفي نتيجة التصنيع . ان الشرط الجلي للانشقاق الديني هو دولة علمانية تتسامح مع الاختلاف الديني ، الا أن المعتقدات والفرق الدينية الجديدة تقلل من فرص تسامحهم كلما ابتعدوا أكثر عن المعتقدات والممارسات الدينية السائدة[١٦] .

فقد كان اشتداد استغلال فرنسا الاقتصادي للجزائر في العشرينات والثلاثينات مترافقاً أيضاً بصحوة اسلامية كانت مُشجعة من الفرنسيين كبديل للتململ السياسي بين السكان الجزائريين . وعقب استعمار التخوم الغربية من قبل المستوطنين البيض والاضطهاد العسكري ، اتجه الهنود الأمريكيون الى أشكال جديدة من التجربة الدينية ، بما في ذلك استعمال الصبّار كمخدر للهلوسة . وفي الولايات المتحدة انحدر التيار الديني بعد الحرب العالمية الأولى، وأخذ ينمو باضطراد خلال الكساد، وانحدر مرة أخرى مفسحاً الطريق لشكل آخر من التعبير في الستينات . وبالنسبة بشكل خاص للشباب الأمريكي غير المقتنع بسياسة الولايات المتحدة الداخلية والخارجية والذي تنقصه القدرة السياسية ، فإن الدعوة الدينية والتنظيمات الاجتماعية الداعية لحياة مشتركة يبدو أنها كانت جزءاً من

---

(15) Zagoria, 1971; Scalapino, 1964, pp. 94-95.
(16) Élie Halévy, **A history of English Peoples in the Nineteenth Century.** Vol. 1, 1960.

رد فعل وقتي على القيود الاجتماعية المرحلية . بهذا المعنى ، فإن الدين يخدم كبديل أو كبديل وظيفي للمشاركة السياسية . وثوار الأمس من الممكن بسهولة أن يتحولوا الى « دعاة يسوع » اليوم . وبالتالي فإننا من الممكن أن نفترض بأن ظهور الصحوة الدينية والتيار الديني يشير الى وجود شروط ثورية ، الا انها تقلل فعلاً من امكانية المجتمع الثورية . ومن المرجح أيضاً أن الحركة الدينية تكون اقوى كلما كانت قوى القمع مُدركة على أنها جزء لا يتجزأ من السلطة التي يصعب الاطاحة بها فعوضاً عن محاولة تغيير المجتمع ، فإن المتحمسين الدينيين يختارون هجر المجتمع وذلك في سبيل أسلوب حياة أطهر وغير فاسد[١٧] .

ملاحظة أخيرة يجب أن تضاف الى هذا المقطع حول العلاقة بين الثقافة والامكانية الثورية ، وهي قائمة على أساس المقدمة المنطقية بأن العنف المتكرر في مجتمع ما لفترة طويلة من الزمن انما يمثل خاصة ثقافية أو ثقافية فرعية بنفسها ولنفسها . فبمثل ما تكون الانقلابات في أمريكا اللاتينية غير موزعة بشكل عشوائي زمنياً (مشيرة بذلك الى « اثر المحاكاة ») ، فانها غير موزعة بشكل عشوائي بناءً على الجغرافيا السياسية . فمن الخمسة والتسعين انقلاباً ناجحاً في عشرين بلداً أمريكياً لاتينياً بين ١٩٠٧ و ١٩٦٦ ، كان النصف تقريباً (٤٨ في المائة) مركزاً في خمسة بلدان فقط : الأرجنتين ، بوليفيا ، الايكوادور ، هايتي وبيرو[١٨] . وقبل القرن العشرين بكثير والثورات في روسيا ، الصين ، فيتنام ، كوبا ، والمكسيك ، كانت الأنماط السائدة للحياة السياسية في هذه البلدان تتضمن الاغتيال ، التنظيمات السرية ، تمرد الفلاحين ، واشكال أخرى للعنف السياسي . إن العنف المتكرر في الماضي ، وخاصة عندما يؤدي الى نتائج ايجابية ، يميل الى اعطاء الشرعية للعنف في الحاضر والمستقبل والناس المعتادون على التغير السياسي من خلال العنف والاجراءات غير الدستورية من غير المحتمل أن يكنوا احتراماً كبيراً لمعايير المساومة والتسوية ذات القيمة الأساسية للديموقراطية والاستقرار السياسي[١٩] .

انظمة ملكية الأرض

جزء من تعريف المجتمع الزراعي هو ان معظم الناس في المجتمع يعتمدون مباشرة على الأرض في سبيل معيشتهم . وبسبب ان ملكية الأرض هي المقياس الاساسي للثروة والمركز ، فإن الفروق الاقتصادية ـ الاجتماعية اكثر وضوحاً في مجتمع زراعي منها في مجتمع صناعي . وبالتالي فإنه بالتأكيد ليس من الصدق ان كل الحركات الثورية تقريباً في التاريخ الحديث انما وقعت في مجتمعات زراعية تميزت بتوزيع غير متساوي جداً للأرض .

---

(17) Hobsbawm, 1959, pp. 128-30; Smelser, 1963, pp. 15-16, 198 , and 326-28; Gusfield, 1963; and Lipset, 1970, pp. 218-19.
(18) Gurr, 1970, p. 219 and pp. 176-77.
(19) Lapalombara and Weiner, 1966, p. 420.

ففي مقابلات مع اربعمائة من مقاتلي الهوك السابقين في الفلبين في الخمسينات تبين ان الاغلبية انضمت الى التمرد نتيجة عدم توفر القدر اللازم من الأرض لحاجات عائلاتهم . وقد دفعت ايديولوجية الهوك المقاتلين الى التعميم انطلاقاً من ظروفهم الشخصية ، وبين ٩٥ في المائة منهم ان « السبب الاساسي للقتال كان للحصول على اراضي للفلاحين » . وقد قام معظم الذين جرت معهم المقابلات بذكر وعد الحكومة الفليبينية بأراضي مجانية كدافعهم الاساسي للخروج من الحركة(٢٠) . كما ان الصراع المشتد بين المسلمين والمسيحيين في الجزر الجنوبية للفلبين ، خلال السبعينات والى الثمانينات ، كان محدداً بالانقسام الديني ، الا ان السبب الاساسي للصراع من الممكن ان يكون ايضاً ندرة الأرض ـ والتي ازدادت مع هجرة المستوطنين المسيحيين من الشمال الى الجنوب .

وكذلك فإن المعلومات المتجمعة عن العديد من البلدان تؤكد العلاقة الايجابية بين عدم المساواة في توزيع الارض والامكانية الثورية . ففي فرنسا قبل ١٧٨٩ ، كان ثمانون بالمائة من السكان من الفلاحين ، وبينما كان الفلاحون يمتلكون اربعين بالمائة من الأرض كذلك كان اقل من اثنين بالمائة من السكان (بما في ذلك النبلاء ، العائلة المالكة ، والكنيسة يملكون نفس النسبة) . وكما في روسيا ، كان الفلاحون في فرنسا يشعرون ايضاً بأنه من الواجب ان يحصلوا على حق قانوني على الأرض التي يعملون عليها ، والتي تتجاوز الاربعين في المائة التي يملكون . وبعكس ما حدث في انجلترا ، لم يؤد تسييج الأراضي العامة في روسيا الى اختفاء الطبقة الفلاحية من خلال هجرة الريف ـ المدن والتصنيع . فثمانون بالمائة من الشعب الروسي بقيت على الأرض كأقنان او ، بعد ١٨٦١ ، كأحرار قانونياً ولكن فلاحين مديونين بشكل كبير . وقبل ثورة ١٩٠٥ الروسية ، كانت العشرة ملايين عائلة فلاحية تملك من الأرض ليس اكثر مما يملك اكبر ثلاثمائة الف مالك ـ وذلك لا يتضمن القيصر ، الكنيسة ، والأديرة والتي كانت حقوقها النسبية في الأرض اعلى بكثير .

وفي المكسيك سنة ١٩٠٠ ، كان واحد بالمائة من مجمل السكان يملكون سبعة وتسعين في المائة من الأرض وفي ولاية تشنهواهوا الشمالية ، حيث كانت جيوش بانشو فيلا نشطة ، كانت سبع عشرة عائلة تملك اربعين في المائة من اجمالي اقليم الولاية . وفي شمال الصين في الثلاثينات من هذا القرن ، كان ثلث السكان يملكون اكثر من ثلثي الأرض ، وفي الجنوب ، كان اقل من خمسة بالمائة من السكان يملكون ما بين ٣٠ و ٥٠ بالمائة من الأرض . وقبيل الثورة الصينية الشيوعية، كان ثمانون في المائة من السكان فلاحين ، وكان عشرون بالمائة فقط من مجمل السكان ملّاك اراضي .

وفي منطقة تونكن في فيتنام الشمالية قبل الحرب العالمية الثانية ، كان خمسمائة من ملاك الأراضي الكبار يسيطرون على عشرين في المائة من الأرض . وكان المستعمرون

(20) Molnar, 1965, pp. 78-85.

الفرنسيون يملكون عشرين بالمائة من كل الأراضي المزروعة في فيتنام ، وستين بالمائة من كل العائلات الفيتنامية كانت لا تملك اي ارض على الاطلاق . وفي فيتنام الجنوبية ، الغيت الاصلاحات الزراعية التي قام بها الشيوعيون خلال صراعهم مع الفرنسيين وذلك من قبل حكومة دييم بعد ١٩٥٤ . وفي بوليفيا قبل ثورة ١٩٥٢ . كان عشرة في المائة من السكان الزراعيين يملكون تقريباً خمسة وتسعين في المائة من الأرض . وفي كوبا قبل ١٩٥٩ ، كان عشرة في المائة من مجمل السكان يملكون ، ثلثي الأرض ، بينما ثلثا السكان كانوا من المستأجرين ، والمشاركين في المحصول (مرابعين) ، او واضعي اليد عديمي الملكية وبدون اي حق قانوني على الأرض التي يعملون عليها . وقد تكون الثورة الاثيوبية في ١٩٧٤ حدثت نتيجة التضخم المتصاعد ، والطلاب المتظاهرون ، والجيش المندهش من إقدامه ، الا أن شروط الثورة تضمنت نظاماً من الاقطاع وقنانة حيث تسعون بالمائة من الأرض كانت مملوكة من قبل عشرة في المائة من السكان ـ والعديد من الملاك كانوا غائبين (بما في ذلك امبراطور اثيوبيا والكنيسة الارثوذوكسية)(٢١) .

ان عدم المساواة هو الحالة الاقتصادية ـ الاجتماعية لمعظم الجنس البشري ولكل المجتمعات . وانه لمن المهم مرة اخرى فحص فرضياتنا بالرجوع الى مستويات مختلفة للعنف السياسي وفي مجتمعات لم تمر بمرحلة ثورة . وقد قام رايموند ثانتر ومانوس مدلارسكي بمقارنة مدى عدم المساواة في توزيع الأراضي لعشرة بلدان خبرت تجربة الثورة بين ١٩٥٥ و ١٩٦٠ وذلك بمثل مقياس عدم المساواة في توزيع الارض لأربعين بلداً مستقراً ولنفس الفترة الزمنية ؛ وقد توصلا الى نتيجة مؤداها ان « الثورات انما حدثت في تلك المجتمعات ذات الدرجة العالية من عدم المساواة في توزيع الأرض(٢٢) . وكان من الممكن لمقاييسهما الاحصائية للفروق ان تبين حتى علاقة اقوى بين عدم المساواة في توزيع الأرض والثورة لو ان فرنسا ، ذات الدرجة المنخفضة نسبياً في عدم المساواة في توزيع الأرض ، لم توضع ضمن التصنيف الثوري (وعلى الأرجح ان قليلين يميلون الى الموافقة على ان احداث ١٩٥٨ في الجزائر العاصمة وباريس تمثل « الثورة») . وبمقارنة مدى عدم المساواة في توزيع الأرض مع المعلومات حول عدم الاستقرار السياسي . (حوادث الموت الناتجة عن عنف سياسي) في المراحل الفاصلة ، وجد بروس روسيت ان هنالك عـامل ارتباط مقداره ٠,٤٦ لسبعة واربعين بلداً بين ١٩٤٥ و ١٩٦٢ . بالإضافة الى ذلك فإنه بالتحكم في مستوى التطور الاقتصادي فإنه كان من الممكن الحصول على نتائج تفسر نسبة مئوية اعلى للتفاوت : فمن الثمانية عشر بلداً غير شيوعي وحيث اكثر من خمسين في المائة من قوتها العاملة في الحقل الزراعي ، ثلاثة عشر منها خبرت حادثة عدم

---

(21) Palmer, 1956; Russett, 1964; Melotti, 1965; Wolf, 1969; and Beals, 1970. Also see Hobsbawm, 1959, p. 75.

(22) Tanter and Midlarsky, 1967, p. 277.

استقرار رئيسية واحدة على الاقل وذلك في مرحلة ما بعد الحرب ، وثمانية من هذه البلدان تقع على مستوى عال في سلم روسيت لعدم المساواة في توزيع الأرض[٢٣] .

ومن ذلك نخلص الى ان عدم المساواة العالي في توزيع الأرض غالباً ما يزيد من امكانية المجتمع الثورية تحت ظروف اقتصاد قبل ـ صناعي . وبإمكاننا اضافة بعض المتغيرات المتدخلة الأخرى التي تعزز من الأثر الاجتماعي والسياسي لعدم المساواة في توزيع الأرض وذلك في مجتمع زراعي . وحيث تلعب المصالح الاجنبية دوراً اقتصادياً اساسياً ، سواء من خلال الاستثمار الدولي (كما في الصين ، المكسيك ، وكوبا) او من خلال سيطرة سياسية جلية (كما في فيتنام والجزائر) ، فإن العداء الناتج عن عدم المساواة في الأرض من الممكن ان يُربط بقضية معاداة الاستعمار ، وبالتالي زيادة امكانية المجتمع الثورية الى درجة عالية جداً .

ومن الممكن ايضاً ان يتفاقم عدم المساواة في توزيع الارض عن طريق ملكية الغائبين ، سواء كانوا من الاجانب او اوليغاركية الأرض المحلية . فكثيراً ما يقال ان الفلاحين في فرنسا قبل ١٧٨٩ كانوا افضل حالاً من اندادهم في معظم بقية اوروبا ، الا ان حالة الغياب كانت في فرنسا اعلى منها في اي مكان آخر ايضاً . كذلك فإن مسألة الغياب رُبطت ايضاً بالتمرد الفلاحي في الصين (خاصة بعد ثورة ١٩١١ ، ومرة اخرى في الثلاثينات مع الاحتلال الياباني) ، وفي فيتنام (خاصة في منطقة دلتا نهر الميكونغ) ، وفي روسيا ، اثيوبيا ، كوبا ، وفي بوليفيا قبيل ١٩٥٢ .

ان القضية ، من ناحية اخرى ، ليست مجرد غياب مالك الأرض عن عقاره بقدر ما هي **التضامن الاجتماعي وقوة انماط السلطة التي تتخلل الفئات الاجتماعية المختلفة في الريف** . فبالرغم من عوزهم ، كان الفلاحون في الهند واليابان مندمجين بشكل جيد نسبياً في البنى الريفية الاجتماعية لمجتمعاتهم ـ كما في الهند من خلال نظام الطوائف ، الذي جعل الكاهن ومالك الأرض جزءاً وظيفياً مهماً في حياة القرية[٢٤] . ولم يكن الفلاحون الالمان العاملون على عقارات اليونكر البروسيين اقل شوقاً للأرض من الفلاحين في فرنسا وروسيا قبل الثورة . الا ان اليونكر كانوا يعيشون على اراضيهم وحافظوا على علاقات وطيدة نسبياً مع فلاحيهم ، الذين بالتالي شاركوهم في نظرتهم المحافظة . من ناحية اخرى ، كان العديد من النبلاء الروس ينظرون الى عقاراتهم الريفية على انها منتجات يلجأون اليها من منازلهم في المدن ، وحتى عندما يكونون في الريف فإنهم يتصرفون بأخلاق مختلفة ، وفي كثير من الأحيان كانوا يتكلمون لغة مختلفة (الفرنسية) ، وكانوا يعيشون وفق اساليب كانت تبعدهم عن الفلاحين العاملين على اراضيهم . لقد كانت مركزية الحياة السياسية والاجتماعية في البلاط الفرنسي في فرساي تعني نسبة مئوية

---

(23) Russett, 1964, Table, 1.
(24) Moore, 1966, pp. 469-70.

عالية نسبياً لملاك الأرض الغائبين في معظم مناطق فرنسا وعبئاً اقتصادياً اثقل على كاهل النبلاء . وقد أدت عودة النبلاء الى تحصيل الالتزامات الاقطاعية الى مجرد توتير احساس الفلاحين باللامساواة . وقد كانت « الرجعة الاقطاعية » في فرنسا خلال القرن الثامن عشر غير محتملة اطلاقاً نتيجة ان طبقة النبلاء لم تعد تمارس تلك الوظائف السيـاسية والاقتصادية التي كانت في يوم ما تبرر ادعاءها السلطة على الفلاحين[٢٥] .

التطور الاقتصادي

ان جهود طبقة النبلاء لاعتصار طبقة الفلاحين اكثر ، غالباً ايضاً ما تتوافق مع تغير اقتصادي اساسي لا تستطيع طبقة النبلاء ـ وذلك في القارة اكثر منه في انجلترا ـ ان تسايره . من ناحية اخرى فإن طبقة النبلاء عادة ما تستجيب لتطور الزراعة الراسمالية وللضرائب المتصاعدة المفروضة من قبل الملك ،والذي يقع اشباع مطالبه في مزيد من المال من النبلاء على الفلاحين في نهاية الأمر . وبذلك فإن الطبقات الاساسية للمجتمع الاقطاعي تجد نفسها في قبضة تحول اجتماعي ـ اقتصادي جذري من الممكن ان يوصف على أنه نمو اقتصاد السوق ، الذي يكون اثره الأكبر والمباشر على انتاج وتوزيع السلع الزراعية .

كما ان نهاية زراعة الاستهلاك الذاتي تعبر ايضاً عن تغير اساسي في البنية الاجتماعية الاقتصادية للمجتمعات الاقل نمواً والمستعمرة ، بغض النظر عن المدى الذي تميز به تاريخها وفق الخصائص الشكلية للاقطاع . ان الاراضي العامة التي كان من الممكن ان تكون متاحة للفلاح في وقت اسبق « تُدمج في نظام معين للملكية الخاصة . وانشاء الطرق التي تخدم سوقاً اقليمية متسعة انما يدعمها عمل الفلاحين والضرائب الجديدة التي تقع على كاهل الفلاحين المحليين . فالاقتصاد القائم على النقود انما يحل محل النظام التقليدي القائم على التبادل وفق مقايضة السلع ، الزراعية بشكل اساسي . وتفرض الضرائب بناءً على الفلاح الفرد وليس بناءً على القرية . فلمعظم الفلاحين ، يعني الاقتصاد النقدي وتركز الملكية في المقام الأخير الاقتراض وفق معدلات فائدة عالية ومديونية متصاعدة . وتتفتت البنية الجماعية للمجتمع الفلاحي كنتيجة لتقسيم الطبقة الفلاحية الى اقلية من الفلاحين الاغنياء ، واقلية كبيرة من الفلاحين « المتوسطين » ، ولغالبية نامية من الفلاحين « الصغار » ، حيث تحول العديد منهم الى عمال يومية زراعية او مهاجرين الى المدن بعدما استوعبت اراضيهم من قبل الطبقات الفلاحية الجديدة الأثرى . بهذا المعنى ، فإن التقدم الاقتصادي الناشيء عن التطور الرأسمالي يعني ازدياد عدم المساواة الاجتماعي والاقتصادي . فنمو اقتصاد السوق في المجال الزراعي يجلب معه دمار القيم الاجتماعية التقليدية وانماط السلطة المميزة للعلاقات بين الفلاح والسيد ،

---

(25) Richter, 1966, p. 108, and Moore, 1966, p. 63.

والانسان والمجتمع ، وتأفل السلطة السياسية للنخب التقليدية واخلاق الالتزام الاجتماعي التقليدية كلما افسح المجتمع الزراعي الطريق لمجتمع تجاري وكلما اصبحت قيمة الفرد تقاس بالمال .

بناءً على ذلك ، فإن احد شروط الثورة الاساسية ليس مجرد بؤس الفلاحين (او العمال) ، ولكن التغير الاقتصادي الذي يهدد الأمن النسبي والوضع التقليدي لمن يعيش وفق معايير وعادات تصبح بشكل مضطرد خارج اطارها التاريخي . فشرارة النشاط الثوري في الصين انطلقت بالقرب من كانتون وشنغهاي ، وفي فيتنام بالقرب من هانوي وسايغون ، حيث كان الفلاحون يعتبرون اما بين البروليتاريا الصناعية الحديثة او اكثر انخراطاً في الآليات الجديدة للسوق الراسمالية في الزراعية(٢٦) . وكان الفلاحون الثوريون في فرنسا سنة ١٧٨٩ متركزين في تلك المناطق حيث كان تفسخ المؤسسات الاقطاعية متقدماً اكثر،بينما عكست الثورة المضادة في الفيندي سنة ١٧٩٣ استيعاب اولئك الفلاحين لخطر اعمال الحكومة الثورية الممثلة للملكية الخاصة والزراعة التجارية(٢٧) . وقد وُصف نشاط حرب العصابات وارهاب الماو ماو في كينيا بعد ١٩٥٢ بأنه « رد فعل سلفي قبلي » على خطر التحديث(٢٨) . كما ان الخسائر الكبيرة في الأرواح وتدمير الممتلكات في كولومبيا من ١٩٤٦ وخلال الخمسينات ، حيث تعرف هذه المرحلة وبكل بساطة بمرحلة العنف ، فُسرت بشكل اساسي على انها « دفاع النظام التقليدي المقدس ضد الاتجاهات التحديثية العلمانية المدمرة للنظام »(٢٩) . يلخص العالم الانثروبولوجي ايريك وولف دراساته المفصلة للثورات الفلاحية في المكسيك ، روسيا ، الصين ، فيتنام ، الجزائر ، وكوبا بالقول أن الشرط المشترك لكل هذه الثورات كان « الانتشار والتوسع العالمي لنظام ثقافي معين ، ذلك هو رأسمالية شمال الاطلسي »(٣٠) .

بالإضافة الى ذلك فإن امكانية ثورية اعلى من الممكن ايضاً ان تنتج عن الخيارات السياسية الواعية للنخب الحاكمة ، والتي يغنيهاولعها بالامكانيات الاقتصادية والعسكرية الحديثة عن رواية الآثار الاجتماعية والسيكولوجية للتحديث . ففي ايران ، مثلاً ، كانت « ثورة الشاه البيضاء » التي قام بها « العرش » في الخمسينات وازداد معدلها في اوائل الستينات ، مخططة على أساس تحييد او القضاء على نخب الأرض التقليدية المعارضة لبرامج الشاه التحديثية . لقد كان ذلك هو الهدف الحقيقي وراء ادعاء الشاه بالإلتزام بإعادة توزيع الأرض على فلاحي ايران . غير انه بالتأكيد لم ينل اكثر من خمسة عشر بالمائة من فلاحي ايران شيئاً من الأرض من خلال البرنامج،بينما مُزقت بشكل

(26) McColl, 1967.
(27) Smelser, 1963, p. 61. Regarding the Vindée, see Moore, 1966, pp. 92-101.
(28) Davies, 1963, p. 354.
(29) Weinert, 1966, p. 340; and Booth, 1974.
(30) Wolf, 1969, p. 276; Migdal, 1974; Hobsbawm, 1959, pp. 2, 67-68, and 80; Birnie, 1962, Chap. 2; Landsberger, 1968; Lemarchand, 1968; Huntington, 1968, p. 296; and Scott, 1976.

كبير الأنماط التقليدية في الزراعة واشكال التنظيم الاجتماعي الزراعي . وبحلول اواسط السبعينات ، انخفض الانتاج الزراعي الاجمالي لإيران ، وقضي على نظام الحصص الذي بمقتضاه يخصص جزء من الأرض لفريق من الفلاحين سنوياً ، ودمجت الأراضي العامة ذات الملكية المشتركة بين فلاحي القرية في نظام متسع جديد للزراعة الخاصة ، وبزغت طبقة وسطى جديدة من ملاك الأرض مـقرضي المال ، وابتدأ الفلاح الايراني يعيش في ظروف غير مستقرة اكثر من قبل ، وفي النهاية ضعفت او دمرت الانماط التقليدية في الولاء وعلاقات الاعتماد والمسؤولية . وقد كانت نخب ايران الدينية هي الأكثر معارضة لهذه الاتجاهات ، والأكثر التزاماً ايديولوجياً لصد شرور التحديث ، والأفضل استعداداً لملء الفراغ السياسي الناشيء عن سقوط الشاه . ان التغير الاقتصادي الذي استهله الشاه كان عوناً لفئة رجال الدين الرجعية المصممة على مقاومة الشاه .

من ناحية أخرى ، عندما يكون اقتصاد السوق في التبادل الزراعي قائماً بشكل جيد قبل رحيل الاستعمار او في مستهل التحديث ، فإن الامكانية الثورية للفلاحين تكون منخفضة نسبياً . ويكون حظ المجتمع في الانتقال من مجتمع تقليدي الى مجتمع متطور اقتصادياً مع اقل قدرٍ من الصراع الاجتماعي اكبر اذا طال امد عملية التحديث الزراعي والتصنيع لفترة اطول نسبياً من الوقت . بذلك فإن مؤسسات الدولة تملك الفرصة لتطوير وظائف التكامل والرفاه التي كانت تُنفذ من قبل البُنى التقليدية في وقت سابق (العائلة ، القرية ، القبيلة ، الطائفة ، الكنيسة ، والنبلاء) . وتكون فرص الاستقرار جيدة بشكل خاص عندما تشعر الاغلبية من المواطنين بالتهديد من دولة اجنبية وذلك خلال المراحل الحرجة من التحول الاقتصادي : فخطر اوروبا النابليونية على بريطانيا العظمى ، مثلاً ، ساعد على اضفاء التماسك على المجتمع البريطاني في خلال سنوات التصنيع غير المستقرة نسبياً وذلك في مستهل القرن التاسع عشر(٣١) . كما اننا من الممكن ايضاً ان نفترض ان التهديد الاسرائيلي ساهم في استقرار الشرق الأوسط ، وخاصة في مصر ، اكثر مما كان متوقعاً ، بالنظر الى التغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية في المجتمعات العربية منذ اوائل الخمسينات .

من ناحية اخرى ، فإن الامكانية الثورية تزداد عند ترافق تحويل الزراعة الى زراعة تجارية مع التصنيع ، كذلك عندما تسير عملية التمدين بمعدل اسرع من التطور الصناعي ، وعندما يكون التصنيع سريعاً نسبياً وجيزاً زمنياً . فحركات الطبقة العاملة اليسارية الاكثر راديكالية في اوروبا انما تطورت وبشكل دقيق حيث كان التصنيع متأخراً وحيث ، عندما ابتدأ ، اخذ في التقدم بمعدل متسارع(٣٢) . وحيث كان التصنيع سائراً بشكل جيد الا ان اشكال المجتمع الزراعي التقليدي باقية ، فإن الأسس كانت قائمة لحركات فاشية قوية ،

---

(31) Palmer, 1956, p. 401.
(32) Lipset, 1963, pp. 53-57; Kornhauser, 1959, p. 154; and Avineri, 1969, p. 151.

ويبدو ذلك بشكل واضح في المانيا وايطاليا ، وايضاً في اسبانيا ، النمسا ، وفي البلدان الأكثر تطوراً صناعياً في امريكا اللاتينية[٣٣] .

تكون امكانية عدم الاستقرار الأجتماعي والسياسي عالية بشكل خاص عندما تتداخل « أزمات التنمية » بدل ان تحدث بشكل متعاقب زمنياً : الاصلاح الزراعي الاساسي الذي يحطم الطبقات المالكة للأرض وذلك لصالح طبقة فلاحية متوسطة نامية ؛ احلال اقتصاد السوق في الزراعة محل زراعة الاستهلاك الذاتي ؛ التصنيع والتمدين ؛ التكامل القومي لثقافات فرعية سابقة ضيقة او مناطق سياسية ذات استقلال نسبي ؛ علمنة المجتمع وذلك من خلال الفصل بين الكنيسة والدولة والتقليل من الدور الاجتماعي والسياسي للدين ؛ التنظيم والتكامل السياسي للجماهير المعبأة حديثاً في المجتمع السائر على طريق التحديث . في اسبانيا خلال الثلاثينات ، كل ازمات التنمية هذه حدثت في نفس الوقت ، مقيمة القواعد لحرب اهلية مدمرة اشد الدمار[٣٤] .

هذا يشير الى علاقة بين الامكانية الثورية والتطور الاقتصادي او « التحديث » بكل تفرعاته الاجتماعية والسياسية وتتضح من خلال المنحى في الشكل ١١ ـ ١ . فالإمكانية الثورية منخفضة في المجتمعات التقليدية وذلك لانخفاض معدل التغير الاقتصادي الذي بالتالي يثير قدراً ضئيلاً من الضغط للتكيف على المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة . فالإمكانات الثورية تزداد مع تطور اقتصاد السوق في الانتاج الزراعي ، مع التمدين والتصنيع ، وبناءً على معدل التغير الاقتصادي ، ومدى السيطرة الاجنبية ، وترافق او تزامن ازمات التنمية الملازمة للتحديث . وتنخفض الامكانية الثورية بعد ذلك عندما تقام انماط سلطوية جديدة ، ومؤسسات رفاه عام ، والمعايير الاجتماعية المتعلقة بالتحديث وذلك في مرحلة متقدمة من التطور الاقتصادي[٣٥] .

وقد فحصت هذه الفرضية بشكل نظامي اكثر بناءً على معلومات مقارنة حول عدد كبير من البلدان . ففي احد الدراسات ، وجد ان تسعة مؤشرات للتغير في الظروف المادية للحياة كانت متزامنة مع العديد من احداث عدم الاستقرار وذلك في ستة وتسعين بلداً ، مبينة انه « كلما كان معدل التغيير في المؤشرات مرتفعاً ، كلما كانت الزيادة في عدم الاستقرار اكبر» . وباستخدام الدخل القومي كمعيار بالنسبة لمستوى التطور الاقتصادي ، وجدت الدراسة نفسها ايضاً بأنه كلما كان معدل النمو في الدخل القومي بالنسبة للمجتمعات المتقدمة اقتصادياً اعلى ، كلما كان الاستقرار السياسي اكبر[٣٦] .

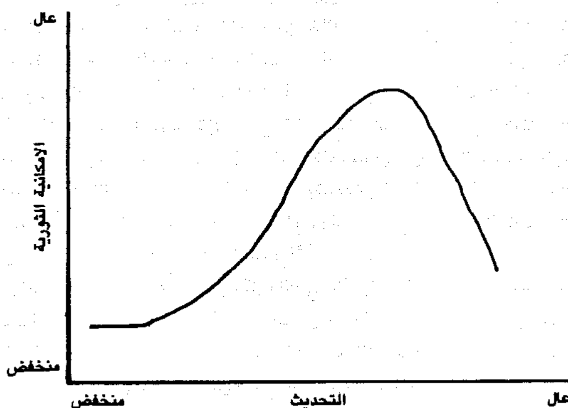
هذه النتائج تدعم الفكرة التي قدمتها سابقاً بأن المرحلة الكلاسيكية للحركات الثورية

---

(33) Schoenbaum, 1967, pp. 28 and 34; Moore, 1966, p. 445; Organski, 1969, pp. 19-20.
(34) Linz, 1968, pp. 5-6; and Huntington, 1968, p. 399.
(35) Alker and Russett, 1964, pp. 306-7; Pye, 1964, pp. 163-64; Olson, 1963; and Lerner, 1958; and Huntington, 1968, p. 41.
(36) Feieraband and Feieraband, 1966, pp. 263-68. Also see Banks and Textor, 1963.

قد انتهت مع رحيل الاستعمار والتطور الاقتصادي المتقدم . الا ان الحرب ، الكساد ، الآثار غير المتوقعة للإبتكارات التقنية ، التغيرات الفجائية في الاتجاهات الديموغرافية ، او القيم الاجتماعية المتغيرة قد تزيد مرة اخرى من امكانية الثورة في العديد من المجتمعات في ارجاء العالم . نخلص من ذلك الى ان هنالك الكثير مما يجب ان نتعلمه عن الامكانية الثورية وفق بعض المتغيرات الاساسية **الغير** اقتصادية ، بما في ذلك القدرة التكيفية للحكومات المواجهة لتغيرات اساسية ، في مجتمعاتها . ولا بد أن القارىء الفطن قد لاحظ انه ليس مجرد التطور الاقتصادي هو المؤشر على الامكانية الثورية بقدر ما هي الاساليب التي تستجيب فيها بنى المجتمع السياسية والاجتماعية لتحدي التطور الاقتصادي . ولذلك فإن المقاطع الختامية لهذا الفصل حول الشروط الثورية تركز على هذه المتغيرات الحاسمة .

شكل ١١ ـ ١ : الامكانية الثورية والتحديث : علاقة منحنى



التكيّف السياسي

اثبتت البنية السلطوية المغلقة للكنيسة الكاثوليكية عدم قابليتها للإستجابة لمطالب الاصلاح المؤسساتي فيها ، وادت هزيمة الاكونسيليريست ذوي الاتجاه الاصلاحي في منتصف القرن الخامس عشر الى فتح الطريق للإصلاح البروتستانتي وذلك مع بداية القرن السادس عشر . لو كانت الكنيسة قادرة على اصلاح نفسها ، لكان من الممكن الا تحدث ثورة دينية او حروب اهلية في اوروبا قائمة على الفروق الدينية .

وقد كان كل من صن يات ـ سن في الصين ، فيدل كاسترو في كوبا ، فرانسيسكو

ماديرو في المكسيك ، جبهة التحرير في الجزائر ، والقادة النهائيون لمحاربي عصابات الهوك في الفلبين يحاول انتزاع ، اصلاحات اساسية من خلال القنوات الدستورية وذلك من الاوليجاركيات الضيقة المهيمنة على مجتمعاتهم في القرن العشرين.معظمهم رشح نفسه لمنصب سياسي ، شجع تطور احزاب معارضة ، دعى الى تغيير اساسي من خلال السلطتين التنفيذية والقضائية، أو حث النخب الحاكمة على القيام بالإصلاح المطلوب . وكما في حالة الكونسيليريست ، اخفقت جهودهم واتجه كل منهم من السياسة الدستورية الى العمل الثوري .

كذلك فإن التقييم المنخفض الإمكانية التكيفية للمؤسسات السياسية يميز ايضاً الطبقات الوسطى الصاعدة الحديثة (انجلترا آل ستيوارت او فرنسا آل بربون) او النخب العسكرية (الشرق الأوسط المعاصر) المواجهة لأوتوقراطيات ملكية معارضة للتحديث وقائمة على قيم مجتمع تقليدي . وهنالك العديد من الأمثلة التي يمكن الرجوع اليها لتبيان ان الامكانية الثورية ذات علاقة عكسية مع القدرة التكيفية للحكومة . وقد اضاعت بعض الدراسات للثورة ، او خصائص الاستقرار السياسي بشكل عام ، الفرصة للتوسع في هذا التعميم الجلي(٣٧) .

هذا الوضوح ، من ناحية اخرى ، يوحي بأن التعميم قريب بشكل خطير الى ان يكون نوعاً من ترديد المعنى عوضاً عن ان يكون فرضية معينة . فإذا كان الانقسام الديني في المسيحية او الثورة في فرنسا ، روسيا ، الصين ، او اي بلدٍ آخر عبارة عن مؤشر للقدرة التكيفية المنخفضة للمؤسسات السلطوية ، فإن العلاقة العكسية بين هذين المتغيرين صحيحة بالتعريف . وإذا اخفقت الثورة او اذا لم تظهر حركة ثورية ، فإننا قطعاً نستنتج بأن مؤسسات الحكومة كانت في نهاية الأمر مستجيبة للمطالب المطروحة على النظام . الا ان هذا لا يوسع من نطاق معرفتنا للعملية الثورية ، وعلى ذلك فإننا وبكل وضوح نحتاج بعض مؤشرات التكيف السياسي المستقلة عن العديد من مظاهر العنف السياسي .

يعني التطور الاقتصادي التعبئة الاجتماعية ـ زيادة الوعي الاجتماعي والسياسي بين الفئات الجديدة للسكان الذين تزداد مطالبهم للتمثيل والمشاركة السياسية نتيجة ازدياد اعتمادهم على السوق(٣٨) . فالبنى السياسية العتيقة القائمة على أوليجاركية ضيقة في المجتمع يجب عليها أن تُجبر على استيعاب مصالح الطبقات الاجتماعية المعبأة حديثاً ، ومن بين أفضل المؤشرات للقدرة التكيفية هنالك الاصلاح في حق الاقتراع ، جعل أنشطة نقابات العمال عملاً شرعياً ، وقيام الدولة بتوفير الخدمات العامة .

أن الامكانية الثورية منخفضة ليس فقط حيث يكون التطور الصناعي بطيئاً نسبياً ،

---

(37) C. Johnson, 1966, esp. Chap. 4; Almond and Powell, 1966, p. 234; Brinton, 1965, pp. 36-39 and 51-64; Smelser, 1963, pp. 240 and 330; and Pettee, 1966, and Friedrich, 1966. Also see Eisenstadt, 1966, and Huntington 1968, pp. 4, 79, and 266.

(38) Deutsch, 1961.

ولكن حيث يمنح الحق في التصويت تدريجياً الى كافة المواطنين . وعلى ذلك فإن اصلاح التمثيل السياسي لديه الفرصة لأن يسبق أو يرافق التغير الاقتصادي ، التعبئة الاجتماعية ، وتطور مؤسسات سياسية جديدة (الأحزاب السياسية على وجه التحديد) وذلك في النطاق الشرعي للنظام السياسي الأشمل (على سبيل المثال ، الملكية والبرلمان) . ففي بريطانيا العظمى سنة ١٨٢٠ ، انتخب أقل من خمسمائة شخص ، معظمهم أعضاء في مجلس اللوردات ، اغلبية أعضاء مجلس العموم . فوثيقة اصلاح ١٨٣٢ وسعت من حق الاقتراع ليشمل ١٢ في المائة من كل الذكور البالغين . وفي عام ١٨٦٧ ، حصل ثلاثون في المائة من جميع الذكور البالغين على حق الاقتراع ، وفي ١٨٨٤ ، خمسة وسبعون منهم ، وفي ١٩١٨ منح جميع الذكور البالغين والنساء اللاتي تجاوزن سن الثلاثين حق الانتخاب . ولكن حيث وسّع حق الانتخاب بشكل متزايد ، كما في فرنسا سنة ١٨٤٨ وفي جمهورية ڤيمار في المانيا ، فإن النتيجة كانت عدم استقرار سياسي وسياسات سلطوية authoritarian : وهذا نتيجة ادخال مؤسسات سياسية ديموقراطية تتجاوز تطور ثقافة سياسية مساندة للمعايير الديموقراطية ومعايير المشاركة في الحياة السياسية(٣٩) .

بعد عام ١٨٧٠ ، كان هنالك عنف عمالي متصاعد في الولايات المتحدة ، مع تغير في مستوى العنف ، والذي بقي بالرغم من ذلك عالياً نسبياً وذلك حتى الثلاثينات من القرن العشرين حيث أعطت اصلاحات حكومة روزڤلت الشرعية لتنظيمات نقابات العمال والمساومة الجماعية ووسعت من خدمات الدولة . نتيجة ذلك انخفض العنف العمالي مع تزايد العضوية في النقابات وذلك مع احساس العمال بالتمثيل السياسي القومي .

وفي انجلترا ، لم تساهم العقود المضطربة الأولى للقرن التاسع عشر في توسيع البرلمان لحق الاقتراع سنة ١٨٣٢ فقط . حق تنظيم نقابات العمال مُنح أيضاً ابتداءً من ١٨٢٥ ، والغيت القيود على هجرة العمال المهرة ، وقُلصت التعسفات السيئة ضد العمال في المصانع والمناجم ، وخُفضت التعريفات وذلك لخفض تكاليف الطعام ، والغيت عقوبة الاعدام كعقاب على أكثر من مائة جريمة بسيطة (عادة ماتتهم بها الطبقات الدنيا) .

وفي فرنسا ، من ناحية أخرى ، لم يُعترف قانونياً بنقابات العمال حتى عام ١٨٨٤ . الا أن التحرر من القيود على تنظيم نقابات العمال وادخال نظام المساومة الجماعية بين العمل والادارة لم يتلقيا المصادقة الحكومية وذلك الى ما بعد الانتصار الانتخابي للجبهة الشعبية في ١٩٣٦ . وقد نمت العضوية في نقابات العمال مباشرة بعد ذلك من مليون الى خمسة ملايين في ١٩٣٦ ، عاكسة بذلك امكانية اقامة نقابات العمال التي نجحت الحكومات السابقة في كبحها . وبالنسبة لمسؤولية الدولة عن القيام بالخدمات العامة فقد اعترف بها في انجلترا عام ١٦٠١ (١٨٩٣ في فرنسا) ، وقد كانت الخدمات العامة في انجلترا أكبر

---

(39) La palombara and Weiner, 1966, pp. 430-31, and Lipset 1963, pp. 227-28.

منها في فرنسا على الدوام[٤٠] .

لقد كانت الاتجاهات السياسية للطبقة العاملة في فرنسا ، ايطاليا ، واسبانيا دائماً أكثر تطرفاً منها في انجلترا ، الأراضي المنخفضة ، واسكنديناقيا ، وفي المجموعة الأولى كانت الطبقة العاملة (والمثقفون) تتمتع تقليدياً بالقليل من حرية المشاركة في المؤسسات السياسية والقليل من النفوذ على السياسة العامة . ففي المانيا ، كانت قيود بسمارك على تنظيمات الطبقة العاملة مرافقة لاصلاحات اجتماعية مكثفة ، مما ساعد على جعل الديموقراطية الاجتماعية الألمانية قوة سياسية معتدلة ، وحتى محافظة . ولكنها لم تكن من قبيل المصادفة أن التعبير الأكثر تطرفاً للاشتراكية الألمانية انما كان في بروسيا ، حيث (على خلاف جنوب المانيا) أقصيت الطبقات العاملة من عملية الاقتراع وذلك حتى ١٩١٨ . وقبل ثورات القرن العشرين في روسيا ، كان حق الاقتراع محدوداً الى حد كبير ، وكانت الاضرابات الصناعية محرّمة ، وكانت نقابات العمال غير قانونية ، وكذلك كانت الخدمات العامة التي تقدمها الدولة غير موجودة تقريباً .

بالنسبة للمقاييس الأخرى للقدرة التكيفية للمؤسسات السياسية فإنها تشمل تعدد الجمعيات في المجتمع ، النسبة المئوية للسكان المنتمين الى تنظيمات ، ومدى تجنيد الأحزاب السياسية ونقابات العمال والجماعات الأخرى لأعضاء من مختلف قطاعات المجتمع . كل من هذه المتغيرات ذو علاقة عكسية مع الامكانية الثورية . فتطور الجماعات الوسيطة بين المواطنين والنخب يساعد على تخفيض النزاع الاجتماعي وذلك عن طريق دمج المواطنين في البنية الاجتماعية القائمة والنظام السياسي ، وبالتالي تشجيع فض النزاعات عن طريق المساومةوالتسوية[٤١] .

الا أن معظم البلدان قليلة التطور ، بما في ذلك بوليڤيا قبل وبعد ثورة ١٩٥٢ ، ونيجيريا قبل حرب ١٩٦٦ الأهلية ، وكولومبيا خلال مرحلة العنف ، كانت تفتقر الى الجمعيات الاجتماعية وبُناها القادرة على اختراق الفئات الثقافية والاقتصادية المختلفة في هذه المجتمعات . ففي الملايو بعد الحرب العالمية الثانية ، شجعت بريطانيا العظمى قيام نقابات العمال ، الأحزاب السياسية ، والمؤسسات الحكومية التمثيلية وذلك بما يكفل ضم كافة جماعات الملايو الاثنية . هذا وقد ساهم تحديث مؤسسات الهند السياسية ، وذلك قبل وبعد الاستقلال عن بريطانيا العظمى ، في تجنيد المواطنين من مختلف الفئات لمجتمع مجزأ بشكل كبير ، كما أنه أيضاً كان متقدماً على التعبئة الاجتماعية البطيئة نسبياً الناتجة عن تطور الهند الاقتصادي البطيء بشكل معادِل . وقد كانت الخاتمة السعيدة وغير المتوقعة نظاماً سياسياً مستقراً نسبياً ، والذي تعززت شرعيته فيما بعد خلال استمرارية

(40) Birnie, 1962, Chaps. 9 and 12-14.
(41) Kornhauser, 1959, and Dahrendorf, 1959.

السلطة السياسية لحزب المؤتمر الحاكم والزعامة الكاريزمية الطويلة لنهرو[٤٢] .

وعلى الطرف النقيض للهند نجد ايران ، حيث تجاوز المعدل المتسارع للتحديث بعد الخمسينات وبشكل كبير تكيف النظام السياسي مع القوى الاجتماعية الجديدة ، وكذلك القوى الاجتماعية القديمة المعبأة حديثاً (رجال الدين) . (انظر الجدول رقم ١١ ـ ١) فقد ابتدأ انتاج النفط الايراني في الثلاثينات ، الا أن سيطرة حكومة معينة على عشرة في المائة من الاحتياطي المعروف للنفط في العالم أجبرها على تكثيف استغلالها لمصدر طبيعي مربح بشكل متزايد . وبحلول السبعينات ، كان ٧٥ في المائة من سكان ايران لا يزالون يعيشون على الزراعة ، بينما ٨٠ في المائة من دخل ايران القومي كان يأتي من مداخيل النفط . وقد تأكد الصدام بين التقليدي والحديث أيضاً من خلال التغيرات في الريف الايراني (انظر ما تقدم تحت عنوان « التطور الاقتصادي ») ، ومن خلال التغيرات في اسلوب حياة أهل المدن ، ومن خلال الرفض الصارم للشاه التخلي عن أية سلطة سياسية . بل على العكس ، كانت أية ايحاءة تجاه الاصلاح انما تؤكد أوتوقراطية النظام .

فمثلاً ، بناءً على مبادرة الشاه ، نُظم حزب سياسي قومي وانتُخب المرشحون في برلمان ذي مجلسين . الا أن المرشحين كان يجب أن يوافق عليهم من قبل الشاه ، فنصف الستين عضواً في مجلس الشيوخ يجب أن يعينوا مباشرة من قبل الشاه ، أما أعضاء المجلس الادنى فكانوا يتمتعون بسلطة استشارية فقط . وقد كانت الحكومة ، أو السلطة التنفيذية ، مسؤولة أمام الشاه (وليس البرلمان) ، كما أن الشاه كان قادراً على عزل الحكومة وحل أحد أو كلا مجلسي البرلمان دون الرجوع الا الى ارادته الشخصية ، أما المعارضة السياسية المنظمة فقد كانت غير قانونية . فالمعارضون المشتبه بهم لنظام الشاه ـ ونتكلم هنا على الأرجح عن ١٠٠,٠٠٠ (مائة الف شخص) وذلك خلال أواسط السبعينات ـ كانوا يعتقلون ، ويسجنون ، ويعذبون ، وكثيراً ما يعدمون دون أن يحاكمون . أما عائلات الضحايا فلم تكن تملك حق الاستئناف أيضاً . فقد كان هنالك قانون واحد ألا وهو قانون الشاه .

---

(42) Huntington, 1968, p. 84.

جدول رقم ١١ ـ ١ الشروط الثورية في ايران : مؤشرات التغير الاجتماعي والاقتصادي في ايران ومصر .

	ايران	مصر
الزيادة المئوية في الانتاج الصناعي ١٩٦٠ _ ١٩٧٥	١٣٧٣	٣٥٢
الزيادة المئوية في متوسط الدخل الفردي	(١٩٦٠ _ ١٩٧٤) ٦٣٦	(١٩٦٠ _ ١٩٧٣) ٩٩
المعدل المتوسط السنوي للتضخم ١٩٧٠ _ ١٩٧٦	٢٥,٢	٥,٢
الزيادة المئوية في سيارات الركاب المستخدمة ١٩٦٦ _ ١٩٧٤	٣١٥	٧٦
الزيادة المئوية في أجهزة التلفاز لكل ١٠٠٠ من السكان ١٩٦٤ _ ١٩٧٥	٩٢٠	٨٩

المصدر : لمعدل التضخم السنوي ، انظر Information Please Almanac ، ١٩٧٩ (نيويورك Please Information Publisling ، ١٩٧٨) . كل المعلومات الأخرى جمعت من United Nations Statistical yearbook للاعوام ١٩٧٠ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ومن Inc United Nations Compendijum of social Statistics, 1967

وبذلك فإن الحكم المطلق للشاه أصبح نقيضاً للقوى المعبأة نتيجة التغير الاجتماعي ـ الاقتصادي . وقد كان الصراع بين المجتمع الايراني ودولة الشاه متوقعاً أكثر وذلك بأخذ نفوذ دين ايران القومي (الاسلام الشيعي) وعداء رجال الدين الصلب لآثار التحديث في الاعتبار . فلو سمح الشاه بالمعارضة بإعطائها الاطار القانوني ، وقلص سلطات بوليسه السري، وقام بتفويض سلطات فعالة الى المؤسسات الحاكمة الواقعة في أسفل مستوى المؤسسة الشانشاهية ، وشجع على قيام أحزاب سياسية قادرة على تمثيل مختلف مصالح قطاعات المجتمع الايراني ، لكان من الممكن للشاه أن يحيد نفوذ رجال الدين وينقذ عرشه . ولكن ذلك يعني أن الشاه ما كان ليكون الشاه .

وفي البلدان الأكثر تطوراً سياسياً وصناعياً ، فإن المؤسسات المكتلة للمصالح يبدو أنها ذات فعالية بشكل خاص حيث تكون الانتخابات بين الأحزاب المتنافسة منظمة بناءً على دوائر العضو الواحد ، وبالتالي دفع الأحزاب والجماعات المؤيدة لها الى الاتجاه الى مختلف الفئات الاجتماعية وذلك في سبيل تحقيق نصر انتخابي . على العكس من ذلك ، نجد أن الانتخابات القائمةعلى أساس التمثيل النسبي تميل الى تعزيز الانقسامات القائمة

في المجتمع . كما أنها أيضاً تشعب التمثيل السياسي بحيث تصبح المؤسسات الحاكمة ، كما في جمهورية ڤيمارالألمانية ، غير قادرة على الاستجابة سواء للمشكلات القديمة أو الأزمات الحديثة (بما في ذلك الكساد الاقتصادي) . فالفاشية ، في حقيقة الأمر ، فسرت بشكل كبير على أنها محاولة لمواصلة التطور الاقتصادي مع المحافظة على الاستقرار الاجتماعي وذلك عن طريق الاقلال من المشاركة السياسية الفعالة لطبقات المجتمع المعبأة حديثاً[٤٣] .

كذلك فإن مؤسسات الدولة السياسية قادرة أيضاً على تحسين قدرتها التكيفية عندما تكون جماعات المعارضة ذات تنظيم جيد واستعداد على مبادلة ممارسة السلطة مع نخب سياسية أخرى . ففي المكسيك ، قد تكون البركة الباقية للثورة هي تحديد مدة الرئاسة (ست سنوات) ، الذي ساهم في الاستقرار السياسي وذلك على الأقل عن طريق خلق وهم بدوران النخب في الحياة السياسية المكسيكية .

هذه النتائج تساعد على تفسير الاستقرار النسبي للدول المتقدمة صناعياً . فمستوى تطورها الاقتصادي العالي غالباً ما يكون مرافقاً لنظام متماسك من الجماعات والمؤسسات السياسية التي تسهل حل الخلافات الاجتماعية والاقتصادية بناءً على معايير المنافسة السياسية السلمية . ولكن حتى في الدول المتقدمة صناعياً فإن الاحتجاج السياسي اللاعنفي غالباً ما يرتبط بخصائص النظام السياسي المعين . فقد تبين من دراسة للتظاهرات واشكال اخرى للاحتجاج الجماعي في ثلاث وأربعين مدينة أمريكية سنة ١٩٦٨ أن معدل الاحتجاجات كان أقل في المدن ذات المعدل المرتفع في « بُنى اتاحة الفرص » (مقاسة بمتغيرات مؤسساتية وسوسيولوجية) ، وأعلى في المدن ذات المزيج من الخصائص[٤٤] . هذه النتائج تشيرالى علاقة يمكن وضعها على شكل منحنى بين الاستقرار السياسي ومقاييس الخصائص البنيوية للسياسة والمجتمع : يزداد عدم الاستقرار كلما تجاوزت المطالب الناتجة عن التطور الاقتصادي والتعبئة الاجتماعية قدرات الاستجابة للمؤسسات القائمة ، وتنخفض فقط كلما أصبح المواطنون النشطون منظمين واثبتت المؤسسات السياسية قدرة على الاستجابة لمطالبهم .

الأوضاع الاجتماعية

تترافق القدرة التكيفية المنخفضة للمؤسسات السياسية وبشكل ثابت تقريباً مع تلك البنى الاجتماعية ذات التقسيم الطبقي الصارم. انه مما يزيد من الامكانية الثورية هو التغير الاقتصادي الذي يُعقّد التقسيم الطبقي الاجتماعي في المجتمع ، وذلك بفرض مطالب جديدة على مؤسسات عتيقة مناسبة أكثر للبنى الاجتماعية لمرحلة سابقة . وبذلك فإن خصائص نظام توزيع الأوضاع الاجتماعية انما يمثل تلخيصاً للعديد من المتغيرات المعينة

---

(43). Silvert, 1970; and Halpern, 1966.
(44) Eisinger, 1973.

المتعلقة بالامكانية الثورية .

إن كلمة « وضع » تشير الى الشرف « والمقام الممنوحين للأفراد أو الجماعات بناءً على المراكز التي يتبوأون أو الدور الذي يلعبون في المجتمع . فإذا كان كل واحد مساوي في المقام والشرف للآخرين في كل انماط العلاقات الاجتماعية ، فإنه لن يكون هنالك « وضع » . وعلى ذلك فإن المصطلح يتضمن اللامساواة في واحد أو العديد من أبعاد الحياة الاجتماعية ، كما أن تراتبية الوضع تُعبر خصيصة أساسية لكل التنظيمات الاجتماعية الانسانية كما أنها لوحظت حتى بين العديد مِنَ الحيوانات الاقل ذكاءً من النوع الانساني(٤٥) .

هنالك جانبان للوضع الاجتماعي يهماننا في هذا المقام : تعارض الأوضاع وحركيتها . يؤشر « تعارض الأوضاع » (بعض الأحيان يدّعى « تضارب » أو « تنافر » الأوضاع) .

تقسيم المجتمع مفاهيمياً الى عدة أقسام : السياسي ، الاقتصادي ، والاجتماعي . يعني تضارب الأوضاع في مجالنا هذا عادة وضعاً عالياً نسبياً في العلاقات الاقتصادية للمجتمع ولكن وضعاً منخفضاً نسبياً في نظمه الفرعية السياسية والاجتماعية . «حركية الأوضاع » تشير الى زيادة أو انحدار الوضع في أي أو كل النظم الاجتماعية الفرعية . ايضاح هذه التجريدات المحيرة وعلاقاتها الوظيفية المتداخلة في الواقع الاجتماعي هو هدف النقاش التالي .

من الممكن أن نبدأ بالمجتمع الاقطاعي المثالي ideal - Type حيث لا يوجد تعارض للأوضاع أو حركية . فالنبلاء يتمتعون بوضع عالٍ في كل النظم الاجتماعية الفرعية ، بينما لا يملك الفلاحون لا ثروة ، ولا القاب ارستقراطية ، ولا نفوذ سياسي . هذا المجتمع غالباً ما يكون متمتعاً بدرجة عالية من الاستقرار طالما أن الأباء يورثون الأوضاع كاملة وبلا معارضة الى أبنائهم : فالأوضاع ـ هنا تورث أو تحرز عن طريق « النسب » . وتزداد امكانية تعارض الأوضاع عندما تتحول ملكية انتخابية سابقة الى وراثة وعندما يحاول الملك مركزة السلطة السياسية على حساب النبلاء . كذلك فإن وضع النبلاء يتعرض للخطر أكثر بنحو طبقة تجارية ـ برجوازية مكونة من حرفيين مدينيين ، من فلاحين أكثر اقداماً ، ومن الممكن من بعض النبلاء ـ تزيد من ثروتها وذلك مع تطور التبادل النقدي واقتصاد السوق . وبينما يبقى وضع النبلاء عالياً في النظام الاجتماعي الفرعي ، إلا أن وضعهم ينحدر اقتصادياً وسياسياً . كذلك فإن تضارب الأوضاع يميز أيضاً البرجوازية النامية ، والتي لا تتماشى ثروتها المتزايدة مع وضعها الاجتماعي ونفوذها السياسي . فالبرجوازية عادة ما تمثل وتدعو الى توزيع الاوضاع بناءً على معايير « الانجاز » وليس معايير النسب(٤٦) .

---

(45) Berelson and Steiner, 1964, p. 253.
(46) Bendix, 1970.

وفي نقطة معينة من هذه العملية يتوجب على مؤسسات المجتمع السياسية وطبقاته الاجتماعية أن تجابه مشكلتين حاسمتين . الى أي مدى يتوجب توسيع النفوذ السياسي لشمل البرجوازية (وبعد البرجوازية كما رأينا سابقاً ، ليشمل البروليتاريا) ؟ وإلى أي مدى سيحاول النبلاء الابقاء على أوضاعهم الاجتماعية وذلك عن طريق مقاومة التغير السياسي وتحول أسس ثروة المجتمع ؟

ففي انجلترا ، أثبت النبلاء أنهم يميلون أكثر الى « الاندماج » منهم الى « الانعزال » . فقد كان حق البكورية يعني أن لقب الأب الارستقراطي وأراضيه تورث للأبن الأكبر فقط . وهذا يعني بالتالي أنه كان هنالك العديد من أبناء الأسر الارستقراطية الانجليزية الذين لايملكون لقباً ولا ثروة موروثة ، وفي أحيان كثيرة فإنهم كثيراً ما يقيمون تحالفات اجتماعية (عن طريق الزواج) واقتصادية (عن طريق الأعمال) مع البرجوازية النامية . وقد تيسرت العلاقات الحميمة بين طبقات انجلترا الاجتماعية عن طريق تحول أوليغاركية الأرض الى الرعي ، وتربية الأغنام ، وإنتاج الصوف ، مما جعل ملّاك الأرض شركاء في ثورة انجلترا التجارية . وبذلك فإنهم اثبتوا انهم اكثر تقبلاً لدخول معايير الانجاز ، وخاصة في النظم الفرعية الاقتصادية والسياسية للمجتمع . وحيث لم تكتسح الطبقات الارستقراطية بالثورة أو برفضها التكيف مع التغير الاقتصادي ، فإنها كانت قوة هامة في تلطيف آثار الراسمالية الصناعية على البروليتاريا النامية . وبالتوسط بين برجوازية جشعة وطبقة عاملة ذات اتجاه اعتمادي على الدولة فيما يختص بأمور الخدمات العامة ، فإن الارستقراطية ساعدت أيضاً على غرس احساس بشرعية المؤسسات القائمة في اذهان العمال[٤٧] .

من ناحية أخرى ، في روسيا ، فرنسا ، بروسيا ، وفي معظم بلدان أوروبا القارية ، كانت الألقاب الارستقراطية تنتقل الى كل الورثة في العائلة ، وكانت الثروة الارستقراطية لا تزال تقاس بملكية الأرض ـ وكانت الأرض بشكل دائم مكرسة لانتاج الحبوب . وهذا بدوره غالباً ما ساهم في بقاء القنانة ، وذلك حتى بعد الغاء القنانة قانونياً وحلول التقسيم الطبقي القاسي محلها وحتى في محيط من ضغوط الحركية الناتجة عن التطور الاقتصادي . وبالتالي فإن الصراع السياسي أصبح اكثر توتراً ايديولوجياً وتميز بشكل اكبر بالانقسام الاجتماعي أكثر من الاتفاق. وحيث قاومت الارستقراطية مطرقة الحركية التصاعدية البرجوازية مغامرة ، فإن الارستقراطية كانت تكتسح (كما في فرنسا) ، وتبقى البرجوازية طبقة اجتماعية ضعيفة نسبياً ، متحركة تصاعدياً في المجال الاقتصادي ولكنها ضعيفة في المجالين السياسي والاجتماعي . وبذلك في المجتمعات الأكثر تطوراً صناعياً فإن الأسس قد وضعت لقيام الفاشية ، ومن الممكن أن ينسب الفضل الى الاشتراكية الوطنية الألمانية في دمقرطة بنية المانيا الاجتماعية وذلك من خلال التصنيع المتسارع (في سبيل

---

(47) Schumpeter, 1947, pp. 134-39; Birnie, 1962, p. 186; Lipset, 1967, pp. 279-81.

الحرب) ، الهزيمة العسكرية ، والقضاء الناتج عن ذلك على تلك الطبقات الاجتماعية المناهضة للديموقراطية الممثلة بجمهوريتي ڤيمار وبون[٤٨] .

ولكن حيث كانت الطبقة الاجتماعية الاساسية في المجتمع طبقة فلاحية جائعة للأرض ، وحيث كانت طبقة وسطى مجابهة باوليغاركية أرض متشبّثة ، فإن الأسس تكون قد وضعت لحركة ثورية يسارية . وقد كان هذا صحيحاً بشكل خاص في المجتمعات المستعمرة حيث النُخب المتعلمة المحلية مبعدةً عن احراز الأوضاع (المراكز) السياسية والاقتصادية المتفقة مع انجازاتها التعليمية والاجتماعية . وقد كانت الحياة السياسية للعديد من الدول في كافة أرجاء المعمورة مضطربة نتيجة أعمال الطلاب والاقليات المتعلمة التي يتبين تضارب أوضاعها من خلال عملهم دون مستوى مؤهلاتهم وذلك في الأعمال اليدوية أو الكتابية ذات الوضع المنخفض . وقد كان هؤلاء المثقفون ذوو الاتجاه الغربي (بمعنى ذوو الاتجاه نحو التحديث) بالضبط هم من تبين في روسيا وأجزاء من آسيا وأمريكا اللاتينية ، كون الفلاحين قوة متفجرة في سبيل التغير الثوري .

وقد كان البدء بالثورة ايسر حيث تحتكر نخبة أجنبية مراكز المجتمع العليا ، جاعلة من معاداة الاستعمار قضية ليس فقط في سبيل تقرير المصير الوطني ولكن في سبيل حركية الأوضاع بناءً على معايير المساواة والانجاز . ففي ڤيتنام ، على سبيل المثال ، كانت البرجوازية الڤيتنامية الغرة مهضومة الحقوق في التجارة ، وأعمال البنوك ، والتصنيع ، وكان المثقفون مبعدين عن المراكز العليا في التراتبية الاستعمارية الفرنسية . ففي عام ١٩٤٣ ، كان هنالك ما يقارب ٤٠٠٠٠ (أربعون الفاً) ڤيتنامي ممن حصلوا على تعليم عالٍ ، الا أن واحداً بالمائة من هذه النخبة المتعلمة فقط حصــل على موقع في الادارة المدنية . وقبل الحرب العالمية الثانية ، كان خمسون في المائة من أعضاء الحزب الوطني الڤيتنامي الثوري (VNQDD) مجندين من هذه الأقلية الضئيلة من الموظفين المدنيين الڤيتناميين . وقد قام الاحتلال الياباني برفع القيود عن نظام الخدمة المدنية الڤيتنامي وخلق تنظيمات هدفها فتح الطريق لارتقاء المواطن الڤيتنامي ، الا أن عودة السلطة الاستعمارية الفرنسية بعد الحرب اعادت القيود مرة أخرى على ارتقائهم في التراتبية السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وفي عام ١٩٤٥ ، كان هنالك ستمائة وأربعون الفاً من الڤيتناميين المتعلمين ، الا أن ٢٥٥٠ (الفان وخمسمائة وخمسون) منهم فقط حصلوا على الجنسية الفرنسية ـ وهذا يشكل مقياساً هاماً للوضع الاجتماعي في ڤيتنام[٤٩] .

كذلك فإنه قد لوحظ أن وجود طبقة وسطى ضعيفة في محيط مجتمع متطور اقتصادياً الا أنه زراعي بشكل كبير هو أحد شروط الثورة في روسيا ، الصين ، المكسيك ، وكوبا . بهذا المعنى ، فإن الظواهر السياسية والاجتماعية الحديثة انما تؤكد مقولة ارسطو حول ضرورة وجود طبقة وسطى كبيرة وذلك في سبيل كل من الاستقرار السياسي والمؤسسات

(48) Schoenbaum, 1967, Chap. 8, esp. pp. 239-43; and Moore, 1966, pp. XV-XVI.
(49) McAlister, 1971, pp. 74-75; Wolf, 1969, p. 180.

الديموقراطية نسبياً(٥٠) .

اذن ، ففي مجال تعارض الأوضاع فإن قابلية الترقي تزيد من امكانية المجتمع الثورية اليسارية . من ناحية أخرى فإنه خطر قابلية الانحدار مرتبط بشكل وثيق مع الامكانية الثورية اليمينية المتزايدة . فالحركات الفاشية تحصل على أقوى دعم من تلك الطبقات الاجتماعية التي تشعر بالخطر من قابلية ترقي العمال أو الاقليات الاثنية المهضومة الحقوق . فالنازيون في المانيا ، والفاشيون في ايطاليا ، واسبانيا ، والنمسا ، وبلدان أوروبية أخرى خلال سنوات الحرب ، **والساموراي** في اليابان في سبعينات القرن التاسع عشر وثمانيناته ، والبوجاديست في فرنسا في منتصف الخمسينات ، والمستوطنون الفرنسيون في الجزائر بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ ، والكوكلسكلان وعناصر من « اليمين الراديكالي » في الولايات المتحدة ، كل هؤلاء كانوا يقدمون أنفسهم كممثلين لقلق المواطنين المهددة أوضاعهم بقابلية الانحدار . فرهبة الثروة القديمة من التغير الاجتماعي والاقتصادي ، وخوف الثروة الجديدة من نتائج التعبئة الاجتماعية للطبقات الدنيا ، وكذلك خوف القطاعات الليبرالية التقليدية من برجوازية صغيرة مغامرة ، كل ذلك قد يبني ميلاً نحو الدعوات الديماغوجية المركزة على النظام الاجتماعي ، والسلطة السياسية ، والوحدة الوطنية ضد عدو أجنبي أو أقلية اثنية محلية(٥١) .

غير أنه بالنسبة لأنصار الحركات الثورية سواء اليساري منها أو اليميني، فإن المشاركة والعضوية التنظيمية في الحركة من الممكن أن تمنح العضو الوضع الذي يفتقر اليه في النظام الاجتماعي القائم . حتى مخططو الانقلابات اللاثورية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأوسط انما يأتون عادة من صفوف ضباط الوسط حيث الاحساس بعدم القدرة على تغيير أوضاعهم غالباً ما يكون أكبر منه في حالة ضباط الصفوف العليا ذوي المصلحة في بقاء الحالة الراهنة . كذلك فقد لوحظ أيضاً أن حركات حرب العصابات في الصين وجنوب شرق آسيا كانت ذات امكانية تحركية أعلى مقارنة بالبنى السياسية والاجتماعية القائمة . كذلك فإن الفلاح أو المثقف المديني الذي لم يعط وضعاً اجتماعياً مكافئاً لقدراته غالباً ما يكون نصيراً جاهزاً للحركات الثورية التي تعد بالقضاء على النخبوية وادخال معايير الانجاز فيما يتعلق بعملية توزيع المراتب(٥٢) .

اذن ، فالامكانية الثورية تزداد مع التطور الاقتصادي ، التعبئة الاجتماعية ، والقدرة التكيفية المنخفضة للمؤسسات الناتج عن تطور هيراركية مراتب جديدة: العامل الأخير يزيد

---

(50) See Book V, 1221-22, of Aristotlés **Politics;** Lipset, 1970 p. 170; Kort, 1952; and Moore, 1966, p. 418.

(51) Lipset, 1970, pp. 274-75; Carsten, 1967, p. 232; Berelson and Steiner, 1964, pp. 487-88; Iglitzin, 1972, pp. 59-60; and Bell, 1963. Also see Scalapino, 1964, pp. 98 and 106.

(52) Huntington, 1968, pp. 198-208; Pye, 1956, pp. 128-35; Molnar, 1965, pp. 5, 78, 274, and 116; and Rolph, 1971, p. 21.

من احتمالية تعارض الأوضاع ويرفع من اهتمام الفرد أو الجماعة بحركية الأوضاع . من ناحية أخرى فإن الامكانية الثورية تنحدر عندما تشعر الطبقات العليا والوسطى بعدم التهديد من الطبقات الدنيا ، وعندما تحصل الطبقات الدنيا على الثمرات المادية للتصنيع المتقدم ، وعندما يقل وضوح رموز الفروق في الرتب، وعندما يحس معظم المواطنين بأن النظام القائم يمنحهم الأمن الاقتصادي ، التمثيل السياسي ، وفرص تغيير أوضاعهم .

إن التركيز هنا على **الاحساس** يشير الى افتراضات بعيدة المدى من الأفضل لها أن تُعالج في مجال بناء النظرية وذلك فيما يتعلق بدراسة الحركات الثورية ـ وهذه فكرة أساسية في كل الكتاب يجب علينا معالجتها .

للفحص

بعض الافتراضات

الامكانية الثورية منخفضة في هذه المجتمعات :

١ ـ المنعزلة جغرافيا ،

٢ ـ المستقلة سياسياً ،

٣ ـ المتطورة اقتصادياً ،

٤ ـ المتجانسة عنصرياً ودينياً ولغوياً ،

٥ ـ حيث لا تكون مراكز التعليم والقوة الاقتصادية والحكومة متواجدة في نفس المنطقة الجغرافية ،

٦ ـ حيث تتيح التخوم و/ او الهجرة الى الخارج فرصاً جديدة للأفراد الأنشط في المجتمع ،

٧ ـ حيث يقوم الدين والهوية القومية والثقافة الشعبية (بما في ذلك الرياضة) بتحويل انتباه الناس عن القضايا السياسية والاجتماعية ـ الاقتصادية ،

٨ ـ حيث يسبق تحويل الزراعة الى السوق عملية التصنيع .

٩ ـ حيث لا تتزامن ازمات التطور بل تحدث تدريجياً ،

١٠ ـ حيث تكون الحكومة الديموقراطية ومعايير المشاركة انماطاً قائمة للتنظيم والسلوك السياسيين .

بعض الفرضيات

تزداد الامكانية الثورية :

١ ـ عندما يتجاوز نمو السكان الموارد المادية ،

٢ ـ عندما يفاقم نمو السكان من اللامساواة القائمة في توزيع الثروة (بما في ذلك ، خاصة ، الارض) .

٣ ـ عندما تكون ملكية الأرض (في المجتمعات الزراعية) مركزة في أيدي نُخب لا توازن بين استغلالها لعمل الفلاح والخدمات الاساسية التي تقدمها للفلاحين ،

٤ ـ عندما تتجاوز معدلات التطور الاقتصادي والتحديث ، بشكل عام ، القدرات التكيفية للنظام السياسي .

٥ ـ عندما يكون تقسيم الأوضاع الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية متضارباً (عوضاً عن أن يكون منسجماً) ،

٦ ـ عندما تكون فرص الترقي منخفضة (بدلاً من أن تكون عالية) ،

٧ ـ عندما تشعر الطبقات الوسطى بالخطر من ترقي الطبقات الدنيا .

الفصل الثاني عشر

في سبيل البحث عن نظرية للثورة

النظرية(١)

عادة ووفق المعرفة المألوفة ينظر الى « النظرية » و « النظري » على انهما شيء عكس « الواقعة » و « العملي » . فالمشتغل في النظرية ما هو الا شخص غارق في التجريد ومن المحتمل أن يجد نفسه عاجزاً عن ربط حذائه أو ادارة مقبض باب . الا أن المشكلة مع الفئة المألوفة أنها غارقة جداً في المألوف وبعيدة جداً عن المعرفة .

إذا توخينا الدقة ، ليست « النظرية » نظرية إلا إذا كانت قائمة على ارض الواقع . فيجب أن تكون النظرية قابلة لأن تفحص فحصاً تجريبياً (امبيريقياً) . الا ان النظرية ، وهنا تكون المفارقة ، غير قابلة لأن تُفحص ، على الأقل ليس مباشرةً . الفرضيات فقط (وكذلك الافتراضات) هي القابلة لأن تفحص . وبالتالي فإن نظرية ما تبقى وتستمر أو تسقط بناءً على صحة الفرضيات التي تقدمها .

اذن ، فالنظريات ما هي الا تعميمات قائمة على خصوصيات . النظريات تفسر وتتنبأ . (أما « النماذج » Models فإنها تتنبأ فقط ،وتنبؤها قد يكون صحيحاً ولكن بأسباب خاطئة) النظريات عبارة عن ايجاز للوقائع ، ايجاز يمنح الوقائع تماسكاً منطقياً . شكلياً ، « النظرية » عبارة عن تعميم تستنتج منه سلسلة من الفرضيات المترابطة منطقياً والقابلة للفحص . يتبين من ذلك بوضوح أن « النظرية » ليست عكس « الواقعة » ، بل انها تجعل الوقائع ذات معنى .

من الواقعة الى الفرضية

خذ في الاعتبار « وقائع » الثورة كما نظمت وقُدمت في فصول الكتاب السابقة . فالتسلسل التاريخي للأحداث الثورية في ستة بلدان والتي نوقشت في الفصل الثالث

---

(١) نستحث القارىء هنا ان يعود الى الاستشهادات المثبتة في اول هذا الكتاب وخصوصاً الاستشهاد الماخوذ من امرسون .

يتضمن مئات الوقائع حول الثورة . كما أن وقائع أكثر أضيفت في الفصول اللاحقة ، وقائع استخرجت من العديد من المجتمعات وخلال فترة طويلة من الزمن ، وقائع متعلقة بمجتمعات ذات امكانية ثورية مرتفعة ومنخفضة وبحركات ثورية ناجحة وفاشلة .

أول المشكلات هي كيف تُصنف مثل هذه الوقائع . تشير عناوين الفصول من الرابع الى الحادي عشر وكذلك العناوين الفرعية لهذه الفصول الى النموذج التصنيفي والمتبع فيما يتعلق بموضوع الكتاب .

أما الخطوة التالية فإنها تتعلق بتجميع الوقائع على شكل متغيرات ، ومن ثم اقامة علاقة بين متغيرين أو أكثر وذلك وفق العلاقات السببيــة الظاهرة . وبذلك تكون الفرضيات والافتراضات الناتجة ، بما في ذلك الواردة في خواتم الفصول من الرابع الى الحادي عشر ، ايجازاً مختصراً لنتائج الكتاب الأولية حول خصائص العملية الثورية . وحتى اذا أثبتنا بطلان افتراض أو فرضية معينة ، فإننا نكون قد تعلمنا شيئاً هاماً (ذلك أن العلاقة المتوقعة بين المتغيرات **غير** قائمة) . ان التفكير بناء على الافتراضات والفرضيات طريقة ملائمة في سبيل شحذ ملكات العقل الذهنية ودمج الكثير من المواد في حيز صغير . ومن دراسة الافتراضات والفرضيات المذيلة للفصول السابقة ، فإن القارىء اليقظ سيكون مدركاً للفرق بين الافتراض Proposition والفرضية Hypothesis : فالفرضية تتكون من متغيرات تتغير وفق الدرجة وتُقاس بناءً على أكثر ـ أو ـ اقل ، أما متغيرات الافتراض فانها تقاس بناءً على اما ـ او .

إن السؤال الذي يجابهنا الآن يتعلق بامكانية ربط العديد من هذه الافتراضات والفرضيات مع بعضها البعض وذلك في سبيل خلق نظرية للثورة .

نظرية ام لغو (تحصيل حاصل) ؟

ليس من التوافق بمكان ان المتغيرات المذكورة في الفصول السابقة اصبحت اكثر صعوبة لأن تحدد اجرائياً Operationalize وان تفحص ، حتى مع ما يبدو من اننا تقدمنا نحو فهم اوفى لأسباب وخصائص الثورة . فكلما كان تنظيمنا المفاهيمي للمعلومات « ابعد مدى » ، كلما كان فحصنا للفرضيات (والافتراضات) اكثر صعوبة ، اذ يصبح قبولها مسألة دلالة ذاتية Self- evidence إلى حد أكبر ، بل وحتى مسألة جمالية ، اكثر من كونها مسألة توافق مع الواقع . ويكون خطر اللغو اكثر وضوحاً بشكل خاص عندما نناقش الامكانية الثورية وفقد مفاهيم **الإدراك الحسي** لتضارب الأوضاع وفـرص الحركية (المتغيرات المذكورة في خاتمة الفصل السابق) .

كيف نعلم ، على سبيل المثال ، ان البرجوازية الفرنسية في ١٧٨٩ ، او الفلاحين والمثقفين الصينيين والفيتناميين في القرن العشرين ، انما ثاروا نتيجة ان قدرتهم على الترقي في واحد او اكثر من النظم الفرعية لمجتمعهم كانت معاقة ؟ او ان الطبقة الوسطى ـ

الدنيا والطبقة العاملة في انجلترا والولايات المتحدة لم تثورا في القرن العشرين نتيجة احساسهما بتوفر فرص اقتصادية كافية ، وتمثيل سياسي ، وقدرة على الترقي اجتماعياً ؟

نحن نفترض العلم بكل ذلك من خلال حقيقة تصرفهم الثوري او اللاثوري . الا ان هذا لا يعتبر تفسيراً للتغيرات في الامكانية الثورية ، والتي يجب ان تُقيّم من خلال مؤشرات مستقلة عن حادثة الثورة او العنف السياسي . وبذلك فإن ما افترضناه ـ ما هو حقيقة الا لغو او تحصيل حاصل Tautology ، وذلك لأن كلا المتغيرين انما قيسا بناءً على نفس الظاهرة .

ان اللغو مشكلة منطقية تُميز بشكل خاص « نظرية الانساق » ، او نموذج التوازن في السياسة والمجتمع . وتتجلى نقاط الضعف المفاهيمية لهذا المنهج بشكل اكبر عندما يطبق على دراسة الثورة . ففرضية هذا المنهج تقول ان مختلف البُنى والعمليات والمعتقدات التي تكوّن المجتمع تنسجم مع بعضها البعض بشكل منطقي او وظيفي ، وتحدث الثورة نتيجة انهيار ما في موقع ما من النسق . ان المنطق الناتج والقائم على المقدمة الأولى عبارة عن دلالة ذاتية مُربكة . فعلى سبيل المثال :

يمثل المتمردون ... فشلاً ، صغيراً او كبيراً ، للنظام السياسي[٢] .

تحدث الثورات نتيجة ادارة غير ناجحة للتوتر ، وتنتج الحياة السياسية المسالمة عن ادارة ناجحة للتوتر[٣] .

لا يمكن ان يُطاح بحكومة من داخل حدودها الا عندما تفقد القدرة على الاستخدام الملائم لقواتها العسكرية والبوليسية[٤] .

... من الممكن دائماً تجنب الثورة لو ان بالمستطاع تحقيق القدرات الخلاقة للتنظيم السياسي .

طالما ان قيم المجتمع وحقائقه التي يجب عليه ان يتعامل معها في سبيل البقاء منسجمة مع بعضها البعض ، فإن المجتمع محصن من الثورة .

عندما يكون النظام قادراً على العمل بصفة اساسية ... ، فإن جهود التعبئة الزائفة سوف تحط على ارض يباب وتُرفض[٥] .

كل واحدة من هذه الجمل الرنانة صحيحة وفق التعريف . كذلك فإنه من المفترض ان تفسر خصائص المتغير المستقل (مثلاً ، التوازن الوظيفي او توازن المجتمع) وتتنبأ بالتغيرات في المتغير التابع (الثورة) ، الا انه في الحقيقة فإن السابق يُقاس باللاحق . ان هذا الاتجاه نحو اللغو في «نظرية الانساق» واضح جداً لدرجة ان تشالميرز جونسون، ممثلها البارز في مجال دراسة الثورة ، يوافق على وجود « هذا الاتجاه نحو اللغو في

(2) Kornhauser, 1964, p. 142.
(3) Feldma, 1964, p. 117.
(4) Brinton, 1965, p. 253.
(5) C. Johnson, 1966, pp. XIV, 60, and 162. pp. 22, 94, 96-98, and 102.

التطبيق العملي لنظرية الانساق »[٦] .

إذا كان « التطبيق العملي » يعني « فحص الفرضيات » ، فإن « نظرية الانساق » على ذلك فاشلة بناءً على تناقضاتها الداخلية الخاصة واللاملاءمة المفاهيمية. في مقابل هذه الصراحة ، قد يكون من الفظاظة بمكان ان يُسأل ، « إذاً لماذا التورط في المقام الأول ؟ » قد يكون دافعنا لأن نكون نظريين في خاتمة الأمر اشارة معينة الى حاجتنا الى توازن جمالي ونوع من الانسجام . فمثل فن العمارة الاغريقي ، قد تكون « نظرية الانساق » رائعة بنيوياً ، إلا انها محدودة وظيفياً (ومحدودة جداً)[٧] .

وعلى ذلك ، اذا اردنا ان نطور نظرية للثورة ، وجب علينا التأكد من فصل مؤشراتنا للإمكانية الثورية عن واقعة الثورة نفسها ، كما يتوجب علينا ايضاً ان نتذكر فحص فرضياتنا في مجتمعات نجحت فيها الثورة ، وحيث اخفقت فيها ، وحيث لم تظهر فيها بتاتاً ، وانه ليسعدني ان اكون اول من يبين ان النتائج والتفسيرات المعروضة في هذا الكتاب لا تستجيب دوماً لمعايير بناء النظرية وذلك فيما يختص بدراسة الثورة . الا ان هذا ايضاً ، فيما اعتقد ، تعليق موقظ على مشكلات تطوير نظرية للثورة .

لا قابلية الدحض

ان العبارات اللغوية ، بطبيعتها ، غير قابلة للدحض . ولذلك فإنها تفشل في اجتياز الامتحان الحقيقي لعملية التشكيل النظري : اذ تكون النظرية ذات طابع علمي ـ ليس عن طريق ما يبدو على انه تأكيد او اثبات لها من خلال فحص امبيريقي ـ ولكن اذا استطعنا فقط ان نتصور نتائج من الممكن ان تنفي النظرية . ان الافتراضات غير القابلة للدحض تملك مظهر النظرية العلمية ، الا انها منسقة مفاهيمياً (نتيجة الخطأ وليس التخطيط) لتعليل اي انحراف او تغير في المعلومات . لذلك فيما انها غير قابلة للنفي ، فإنها غير قابلة للدحض وبالتالي تفتقر الى الموقف العلمي[٨] .

ونجد ان الميل نحو افتراضات غير قابلة للدحض مُميز بشكل خاص لمحاولات تفسير الثورة بناءً على ابعاد سيكولوجية للسلوك الانساني . يتلخص الافتراض هنا بـأن نظرية الثورة لا تعتبر كاملة بدون ان تأخذ في حسابها الباعث الانساني ـ والذي في حقيقته مؤشر آخر لمحاولة بناء نظري بعيد المدى (وذلك على عكس متوسط وقصير المدى) . غالباً ما يساء فهم « مدى » النظرية على انه اشارة الى عدد الحالات ، او المدى الجغرافي الذي تتضمنه مشكلة البحث . ان « المدى » النظري يشير الى مدى بُعد الشقّة بين النظرية والمعلومات اللازمة لفحصها (او الفرضيات والافتراضات المشتقة منها) . وعندما تكون المعلومات استدلالية وليست قائمة على الملاحظة المباشرة ، فإن القضية حتماً تصبح بناءً

(6) C. Johnson, 1966, p. 120.
(7) Cohan, 1975, Chap. 6
(8) Karl R. Popper, the Logic of Scientific Inquiry (New York: Science Editions, 1961), esp. pp. 40-43.

نظرياً بعيد المدى تقريباً . ويبدو هذا واضحاً بشكل خاص في حالة دارسي الثورة الساعين الى تفسيرها بالرجوع الى الباعث الانساني او الدوافع الانسانية .

فعلى سبيل المثال ، يخلص جايمس س . دايفس ، وهو من المساهمين البارزين في هذا الحقل من الدراسة وباحث في « القوانين الطبيعية » للسلوك الثوري ، الى انه « في خاتمة المطاف فإن دراسة حالة العقل الثورية ، حيث كل شيء يبدأ ، ستقود مباشرة الى دراسة مدهشة للمخ ... »(٩) ويبين دايفد شوارتز موقفه بالقول ان « القلق النفسي ـ السياسي والذي ينتهي بالثورة انما يبدأ في النفس ... »(١٠) هذه الاطروحات وما شابهها حول الاسباب الاساسية للثورة عادة ما تجد تعبيرها النظري في الرأي القائل بأن « العدوان دائماً نتيجة الاحباط » ، وان « السلوك العدواني لتشكيلات مُدركة في العادة يمكن اقتفاء اثره دائماً الى بعض اشكال الاحباط التي تنتجه »(١١) .

هذه الاطروحات ، بنفسها ، صحيحة أيضاً بالتعريف . واتجاهها نحو اللادحض انما يكون في منهج فحصها ، والذي هو دائماً تقريباً على شكل منطق استدلالي . كيف نستطيع تحديد الباعث الانساني اللهم الا اذا استدللنا عليه من سلوك مُلاحظ ؟ وعلى ذلك فإن عملاً ثورياً يتضمن الاحباط ، بينما السلبية السياسية في وجه كل المؤشرات الموضوعية للثورة تشير الى إحباط غير كافي : فبمحاولة تفسير كل شيء ، نجد اننا ننتهي بتفسير لا شيء . الا اننا نفترض اننا قادرون على ازالة غموض السوسيولوجيا السياسية وذلك عن طريق الغوص في اعماق السيكولوجيا السياسية . وهذه من الممكن ان توصف بأنها قفزة ال « ماكرو ـ مايكرو » ، او الاستدلال على خصائص الفرد السيكولوجية من الظواهر الاجتماعية المُلاحظة .

فعلى سبيل المثال ، يلاحظ صموئيل هنتنغتون تكرارية النشاط الثوري للطلاب والمثقفين والطبقات الوسطى في المجتمعات السالكة لطريق التحديث ويستنتج ان :

> هذه المعارضة ليست ناتجة ، في معظم الحالات ، عن اي نقص مادي . بل انها معارضة ناتجة عن عدم الاستقرار النفسي ، الاغتراب والذنب الشخصيين ، والحاجة الطاغية الى احساس ثابت بالهوية(١٢) .

كما ان منظرين آخرين حاولوا تحديد مصدر السلوك الثوري في القلق النفسي الناتج عن عقدة اوديب او السلوك الجنسي المكبوت المرتبط بمعايير العائلة السلطوية(١٣) . وكما في حالة نظرية الانساق ، فإن اثبات او تأكيد هذه الافتراضات وغيرها المستمدة من مقدمات سيكولوجية يتطلب تطوير مؤشرات مستقلة عن السلوك العدواني . كذلك يتطلب

---

(9) Davies, 1971, pp. 4 and 317.
(10) D. Schwartz, 1971, p. 113.
(11) Dollard et al., 1971, p. 166.
(12) Huntington , 1968, p. 371.
(13) Wolfenstein and Hoffer, as summarized by Gurr, 1970, pp. 163-64; and Reich, 1946.

ايضاً ايضاح الظروف التي يُحدث فيها الاحباط عدواناً ، وذلك لأن السلوك العدواني لا يعدو ان يكون تعبيراً واحداً فقط من عدة تعابير ممكنة : هذه التعابير الأخرى تشمل الحماسة الدينية ، الابداع الفني ، التنافس الرياضي ، النشاط الاجرامي ، ادمان المخدرات او الكحول ، وحتى الانسحاب النفسي والسلبية (الطرف النقيض تماماً للعدوان) ـ المرتبط بإحباط طويل الامد او شديد[١٤] .

ولكن حتى لو حققت هذه المطالب النظرية بنجاح ، ليس هنالك ارضية لافتراض ان الوعي الانساني(او اللاوعي ؟) والبواعث الناتجة عنه تعمل بشكل مستقل عن البيولوجية او حتى البيئة الطبيعية : فليس هنالك ابداً طريقة لإثبات ان سبباً معيناً هو سببٌ نهائي . فإذا كان ولعنا بالتفسير الكامل يقودنا الى اختزالية Reductionism سيكولوجية ، فإنه من الممكن ايضاً ان يقودنا الى حلقة مفرغة من العلاقات السببية[١٥] .

اين يجب ان نرسم الخط ؟ من المحتمل عند النقطة حيث القياس لمتغيراتنا قائم بشكل اقل على السلوك الملاحظ منه على المنطق الاستدلالي . هذا الكلام لن يُقنع اولئك الذين يعتقدون ان القليل يُمكن انجازه خارج اطار نظرية بعيدة المدى . من ناحية اخرى فإن موضوع هذا الكتاب واسلوبه النظري ما هما الا محاولة لإثبات ان الفرضيات ذات المدى المتوسط من الممكن ان تدفع فهمنا لعملية سياسية واجتماعية معقدة الى الامام بشكل جدي ـ ويلاحظ القارىء الفطن انني كنت احاول (ليس دائماً بنجاح) تجنب التفسير السيكولوجي وذلك بالضبط بسبب طبيعته الاستدلالية ، والاتجاهات الناتجة عن ذلك نحو اللغو واللادحضية .

الحرمان النسبي

يمكن القول ان نظرية « الحرمان النسبي » هي اكثر نظرية بعيدة المدى للسلوك الثوري يُستشهد بها . وتعبر هذه النظرية ايضاً عن اتجاهات نحو اللغو واللادحضية . الا انها وعلى يد ثلة من الباحثين المتمرسين اثبتت انها اقدر من نظرية الانساق على انتاج فرضيات واكثر براعة « في محاولة سد الثغرة ما بين الماكرو والمايكرو ـ اذا كان في الامكان حقيقة استدلال انـماط سلوكية جماعية من الخصائص السيكولوجية والسلوكية للأفراد .

ويُعتبر تيد روبرت غور المُنظر البارز في هذا المجال من بناء النظرية ، والذي يمثل عمله تركيباً رائعاً للعديد من الفرضيات حول العنف السياسي ، مُدمجةً في اطار الحرمان النسبي . ولقد كان احد اهداف غور الرئيسية في الحقيقة تبيان كيف ان كل الفرضيات تقريباً والنظريات المتعلقة بالعنف السياسي من الممكن ان تُصنف تحت الحرمان النسبي .

---

(14) Corning, 1971, pp. 346-49; Stone, 1966, p. 169; Berelson and Steiner, 1964, p. 271.
(15) Gurr, 1970, pp. 12-14 and Chap. 2.

وتشمل متغيراته في هذا المجال : (١) المدى الذي عنده يحس الفرد بالحرمان في فئات حياته الاجتماعية والسيكولوجية ، و (٢) موقف الفرد تجاه ملاءمة وفعالية العنف السياسي[١٦] .

ان القيمة الأساسية لدراسة غور تتركز في المعلومات التي انتج وفي الفرضيات التي فحص ـ وهي بشكل ثابت تقع في **المستوى المتوسط** المدى للنظرية : مثال ذلك ، العلاقة بين الأجور المتوقعة والاجور المُستلمة من قبل العمال (كما حُددت عن طريق بحث ميداني في ايطاليا وفرنسا) كقياس جزئي لإمكانيتهم تجاه العنف[١٧] . هذا يساعد ايضاً على تبيان نقطة ان الاستدلال من المعلومات المتجمعة لا يفحص مباشرةً فرضية الحرمان النسبي[١٨] .

لذلك ، فإننا يجب ان نعتمد على المعلومات المتحصلة من البحث الميداني ـ مقابلات مباشرة مع الافراد ـ وذلك في سبيل تجنب الاتجاه اللادحضي المُلازم للمنطق الاستدلالي ، وخاصة في مستوى التحليل السيكولوجي . ولأسباب مفهومة ، فإن هذا الشيء لم يُحاول بشكل كثيف ، بل وحتى القيام بالبحث الميداني الضروري لا يعني ان احساسات الفرد بالحرمان النسبي من الممكن ان ترتبط بالحادثة الفعلية للسلوك العنفي .

دراسة واحدة تحقق هذه المتطلبات الا وهي دراسة هارلان هان (١٩٧٠) ، الذي قام ببحث ميداني لعينة محددة لـ ٢٧٠ ساكن اسود في منطقة الشغب من ديترويت وذلك عقِب اعمال الشغب فيها سنة ١٩٦٧ بوقت قصير . فئتان من المستجيبين اتضحتا ، المفضلين الاندماج العنصري في الولايات المتحدة والمؤيدين للإنفصالية السوداء . كذلك يتبين ان المجموعة الأخيرة (٢٢ في المائة من العينة) كانوا ايديولوجياً ايضاً اكثر اتجاهاً قتالياً واكثر نشاطاً الى حد بعيد خلال اعمال الشغب سنة ١٩٦٧ . ما الذي يمكن ان نتعلمه من نتائج هان حول علاقة الحرمان النسبي بالعنف السياسي ؟

ان صفة «النسبي» هي ما يُعقِّد مهمة تأكيد لادحضية الحرمان النسبي وبالتالي تحديد الموقف العلمي للحرمان النسبي كنظرية . فعلى سبيل المثال ، كان الانفصاليون السود في عينة ديترويت ، مقارنة مع الأقل اتجاهاً للعنف من الاندماجيين ، يتمتعون بمستوى اقل من الدخل كما كانوا لا ينتظرون التمتع بالملكية[١٩] . وبذلك فإننا نستطيع ان نستنتج ان احساس الانفصاليين بالحرمان كان اكبر من احساس الاندماجيين نتيجة امتلاكهم اقل. وهذه النتيجة تفسر لماذا كان الانفصاليون اكثر نشاطاً في اعمال الشغب سنة ١٩٦٧ في ديترويت : الحرمان النسبي .

كذلك فإن نتائج هان تشمل ايضاً ما يلي : كان الانفصاليون السود ، مقارنة مع

---

(16) Gurr, 1970, pp. 64-65.
(17) Feierabend and Feierabend, 1966.
(18) Hahn,970, Table, 1, p. 42.
(19) See Cantril, 1965.

الاندماجيين ، يتمتعون بمستوى تعليمـي اعلى . وبذلك فإننا نستطيع الاستنتاج ان احساس الانفصاليين بالحرمان ، مقارنة مع الاندماجيين ، كان اعظم وذلك لأن تعليمهم المتقدم عمل على رفع توقعاتهم . الحرمان النسبي . في الحقيقة ، ان مثل هذا التفسير يُميز الكتابات حول التحديث التي تدمج نتائجها في المقولات المفاهيمية للحرمان النسبي :

ولكن ماذا لو ان المعلومات اظهرت ان الانفصاليين ، مقارنة مع الاندماجيين ، كانوا :

١) يتمتعون بمستوى **اعلى** من الدخل ، ويتمتعون بملكية **اكبر** ، و (٢) يتمتعون بمستوى **اقل** من التعليم ؟ بكلمات اخرى ، ماذا لو ان المعلومات رسمت صورة مناقضة تماماً لما رسمته فعلاً؟

في هذه الحالة فإننا نستطيع الدفاع عن صحة نظرية الحرمان النسبي وذلك كالتالي : (١) جعل المستوى الاقتصادي الرفيع للانفصاليين السود منهم اقرب الى المستوى المعيشي **للبيض** في ديترويت ، وبالتالي زاد من احساس الانفصاليين بالحرمان (او احساسهم باللامساواة واللاعدالة كدالة للهوية العنصرية) ، و (٢) عزز المستوى التعليمي العالي **للإندماجيين** من امكانيتهم في الإيمان بقيم ومعايير المجتمع الابيض ، وبالتالي كان الاندماجيون اقل نشاطاً في مظاهرات ١٩٦٧ . الحرمان النسبي . ما هي النقطة هنا ؟ تستطيع نظرية الحرمان النسبي تفسير **اي تشكيلة من النتائج** . فهي تفسر سلبية وايجابية الفقراء والاغنياء . وبالتالى فهى غير قابلة للدحض .

من ناحية اخرى ، فإن الميزة الاساسية لدراسة هان هي انها ايضاً طلبت من المستجيبين ان يحددوا مواقعهم على « ميزان كانتريل » ، والذي من الممكن ان يعتبر اكثر فحص مباشر لإحساس الفرد بالحرمان النسبي[٢٠] . الا ان هان لم يكن قادراً على إيجاد اي فرق هام بين الاندماجيين والانفصاليين (وكذلك النضالية الايديولوجية والميل الى العنف) فيما يتعلق بالقياس المباشر للحرمان النسبي . ويختتم الكاتب دراسته بالقول ان « قبول الانفصالية السوداء كان مدفوعاً بشكل اقل بالإحباط المتعلق بالأوضاع الراهنة للسود في مجتمع ابيض منه برؤيا مثالية للمستقبل »[٢١] .

نفس الشيء عن تفسير يمكن ان يقال عن مفاهيم الاغتراب وتصويت الشيوعيين . فنتيجة عجزهم عن تفسير استمرارية التصويت الشيوعي و ظروف الحياة المتحسنة ، لجأ العديد من العلماء الاجتماعيين الى « الصندوق الاسود » للدوافع السيكولوجية . فقد يكون الناخبون الشيوعيون افضل حالاً مما كانوا عليه قبل عشرين عاماً ، او حتى عامين ، الا ان احساسهم بالإغتراب (او الحرمان النسبي ؟) ما زال حاداً وذلك يفسر اتجاههم الشيوعي المستمر . هذه الاختلافات في نظرية الحرمان النسبي قد تكون قادرة على تفسير لماذا ،

---

(20) Hahn, 1970, p. 43 .

(21) Samuel J. Eldersveld, The 1967 Indian Elections: Patterns of Party Regularity and Defection. Paper presented to the annual meeting of the American Political Science Association, New York City, Sept. 2-6 1969.

في بعض الحالات ، يصوت العمال الافضل اجوراً للشيوعيين بينما العمال الاقل مهارة واقل أجوراً يصوتون للأحزاب الاشتراكية او البرجوازية . ان احساس الشيوعيين بالحرمان النسبي اعلى . (في الحقيقة ، نفس مسألة الصندوق الاسود يتبناها الماركسيون عندما يُجبرون على تفسير لماذا لم تحدث الثورة الاشتراكية المُتنبأ بها في البلدان الراسمالية المتقدمة : «الوعي الزائف») .

ويمثل بحث صموئيل ايلدير سفيلد الميداني بعد الانتخابات الهندية سنة ١٩٦٧ ، جزئياً ، فحصاً مباشراً لفرضية الاغتراب . في هذه الدراسة ، قيّس مدى الاغتراب لدى الناخبين عن طريق الاستجابة الى اسئلة متعلقة بالكفاء السياسية ، الموقف تجاه الحكومة ، واحساس الناخب بالتحسن او الاضمحلال في وضعه الاقتصادي . هذه المتغيرات بدورها رُبطت بتفضيلات الناخب الحزبية . النقطة المهمة هنا هي : ليس هنالك اطلاقاً ارتباط بين الاتجاهات والمشاعر الحزبية والاغتراب . فمثلاً ، اولئك الذين كانوا مؤيدين ثابتين لحزب المؤتمر الحاكم (حزب الحكومة) كانوا ايضاً اكثر اغتراباً ـ تجاه الحكومة من اولئك الناخبين الذين ايدوا احزاب المعارضة الرئيسية . ومن بين احزاب المعارضة الرئيسية الثلاثة ، كان الشيوعيون الهنود يملكون اعلى نسبة مئوية للناخبين الذين بينوا تحسناً في اوضاعهم الاقتصادية . وكما في حالة الانفصاليين السود في ديترويت ، من الممكن فهم الناخبين الشيوعيين الهنود (والناخبين الشيوعيين في العديد من البلدان) بشكل افضل بناءً على ماذا يريدون عوضاً عن ماذا يعارضون . او ما يظن العلماء الاجتماعيون أنهم يعارضون .

المنفعة المفاهيمية

ما سبق يوضح ضعفاً مفاهيمياً اساسياً في تأويل التطرف السياسي او العنف بناءً على مفاهيم الاغتراب ، الاحباط ـ العدوان ، او الحرمان النسبي . فالتركيز على السلبي والايجابي اما الا يقدر حق قدره او يُتجاهل تماماً . فالثوار يُفهمون على انهم متمردون **على او ضد** عوضاً عن ان يكونوا متمردين **لأجل** . والمجتمع الذي يمر بمرحلة الثورة يُنظر اليه على انه يحتوي على فائض من الحرمان ، على انه غير صحي (في تشبيه كراين برنتون) ، وانه عاجز عن العمل (وفق رأي منظري الانساق) . وبالتالي يوصف الثوار بأنهم اشخاص يعوزهم التناغم ، عاجزين سيكولوجياً ، وبشكل او بآخر عاجزين عن التكيف والانسجام مع زمانهم ومكانهم . (من الممكن انهم كذلك ، ولكن وفق التعريف فقط) . اما السلوك الثوري النابع من القناعة الايديولوجية . من الالتزام بالعدالة والتوزيع الاكثر مساواة في الثروة والفرصة ، فإنه يُهمل لصالح تأويلات قيمية مستترة تتضمن تفضيلاً للحالة الراهنة والاستقرار السياسي .

ففي الحقيقة ، بدون الرجوع الى البُعد الايجابي للسلوك الثوري فإننا لا نستطيع بشكل واف تفسير تماسك الزعماء والانصار الثوريين المثابرين على السعي وراء اهدافهم

في التغيير الثوري في وجه الظروف التي لا تقهر تقريباً . ويبدو انه من الخطل التفريق بين الموسرين والمثقفين المتمردين وبين سكان الاحياء الفقيرة الهامدين وذلك عن طريق تصنيف السابقتين على انهم نسبياً اكثر حرماناً ، او بوصف الطلاب المقاتلين المتحدرين من اسر برجوازية على انهم نسبياً اكثر حرماناً من اندادهم اللانشطين المنحدرين من أسر عمالية والذين يعتمد تعليمهم على عملهم اليدوي أو المكتبي الخاص .

هنالك ايضاً منفعة مفاهيمية متدنية كلما صعدنا سلم النظرية البعيدة المدى بحثاً عن تعميم أشمل قادر على اخذ كل التغيرات في الامكانية الثورية في الاعتبار.فهل فهمنا لحركة ثورية معينة يتعزز بوضع كل المشاركين في الثورة في مقولة مفاهيمية واحدة ـ نظرية الحرمان النسبي على سبيل المثال : الفلاحون الساعون الى الأرض ، العمال الساعون الى امن وظيفي ، البرجوازي الساعي الى سوق حر ، الطلاب الساعون الى وضع مضمون ، والزعماء الثوريون الساعون الى السلطة وذلك في سبيل تصحيح التجاوزات القائمة او مجرد الوصول الى السلطة ؟ فكلما تصبح الفرضية او النظرية اكثر تعميماً ، كلما تصبح أكثر صعوبة لأن تُفحص امبيريقياً وكذلك فإنها ايضاً تفقد قدرتها على تبيان وتوضيح الخصائص الأكثر تميزاً ومعنى للعملية الثورية.

وهذا جزئياً نتيجة صعوبة اعطاء قيم مناسبة للمتغيرات العديدة التي تتضمنها بالضرورة النظرية البعيدة المدى . اذ كيف نستطيع ان « نزن » متغيرات تضارب الاوضاع ، الكثافة السكانية ، معدل التصنيع ، وجود سلطة استعمارية ، دور العنف الحكومي ، مدى عدم المساواة في ملكية الأرض ، وكل المتغيرات الأخرى التي عُولجت في هذه الدراسة ، عندما نحاول تفسير او التنبؤ بظهور ونجاح او فشل الثورة ؟ حقيقة اننا قد نحصل على مساعدة في هذا المجال بالذات من اساليب احصائية معقدة (على سبيل المثال ، تحليل النهج ، التردي المتعدد ، أو ، الى مدى أقل ، تحليل العوامل) . الا ان هذه الاساليب تعتمد على القياس الكمي ، وكيف نقيس كمياً الخصائص النوعية للزعامة ، قوة التنظيم ، او فعالية التحالفات المتداخلة بين انصار الثورة ؟ حتى القياس الانطباعي لمتغيرات معينة غالباً ما يختلف من مجتمع الى آخر وزمنياً بالنسبة لمجتمع معين ، وكذلك من باحث الى آخر . لذلك فإننا دائماً مرتبكون بغموض والطبيعة الاستدلالية لهذه المتغيرات التي يبدو انها ذات معنى اكبر مما دفعنا اساساً الى السير في طريق النظرية ذات المدى الواسع . وهذا شيء صحيح خاصة عندما نحاول التفريق ، وذلك عند المدى الواسع ، بين دور ما هو اقتصادي وما هو غير اقتصادي في العوامل المؤثرة في الدوافع الانسانية[٢٢] .

مشكلة اخرى من مشاكل النظرية ذات المدى الواسع هي افتراضها لعلاقات سببية

---

(22) For example, See Gurr, 1970, p. 148.

بين الاحداث او العمليات ذات المدى الزمني البعيد . فمع صعوبة برهنة السببية حتى في حالة الاحداث المرتبطة مباشرة تقريباً في الزمان والمكان ، فإنه من الصعوبة خاصة برهنة او اثبات (على سبيل المثال) ان ثورة ١٩١٠ المكسيكية كانت « النتيجة النهائية » لإدخال اقتصاد السوق في المجال الزراعي الى المكسيك في منتصف القرن التاسع عشر[٢٣] . وفي نفس الوقت فإن مثل هذه التعميمات تعتبر من بين التعميمات ذات المنظور الأكثر نفعاً مفاهيمياً والمتاحة في ادبيات الثورة ، بالرغم من مستواها المتدني نسبياً كنظرية . فليس من المصادفة على وجه الاحتمال ان النظرية الواسعة المدى الأكثر تعقيداً للسلوك الثوري ـ نظرية الحرمان النسبي ـ شديدة الضيق فيما يتعلق بالمدى الزمني لبناء متغيراتها وفحص فرضياتها . كما انها ايضاً مناسبة اكثر لتلك المجتمعات في تلك المراحل من التطور التي عندها تشكل الاهتمامات المادية القيم الاجتماعية السائدة .

من ناحية اخرى ، لا النظرية ذات المدى الواسع ولا الفرضية ذات المدى المتوسط قادرتين على تجاوز المشكلة النظرية « للعتبة » . فعلى وجه الدقة عند اية نقطة في تصاعد العنف الحكومي يُكبح النشاط الثوري عوضاً عن ان يُثار ؟ والى اي مدى يجب ان تكون بنية المجتمع « مغلقة » في مجال اتاحة الفرصة للترقي قبل ان تُنتج التعبئة الاجتماعية عنفاً جماعياً ؟ وما هو معدل التصنيع المولِّد لتطرف الطبقة العاملة ، والى اي مدى يمكن توسيع حق الانتخاب بدون تجاوز القدرة المؤسساتية ؟

مجرد ايراد هذه الاسئلة يساعد على تفسير لماذا يجب الا يُتوقع من عملية بناء النظرية في مجال دراسة الثورة الا تصل الى المستويات العليا المُميزة للعديد من حقول الدراسة في العلوم الاجتماعية . وعلى دارسي الثورة التعامل مع الاتجاهات والميول وليس اطلاقاً مع القياسات التي تُعبر عن تاكيد مطلق ، وان يتعاملوا بشكل نادر فقط مع افتراضات او فرضيات قائمة على احتمال احصائي . هذه القيود ، بحد ذاتها ، تجعل من المستحيل تطوير نظرية للثورة ـ وذلك ، شكلياً ، لأن النظرية ذات طبيعة استنتاجية بالضرورة (ومن المستحيل استنتاج افتراضات او فرضيات من عبارات قائمة على الميل او الاحتمال) .

كذلك فإن دارسي الثورة لا يملكون شبيهاً مفاهيمياً لمقاييس الاقتصاديين الكمية من الناتج القومي الاجمالي او التبادلات النقدية . كما اننا لا نملك المحيط المعملي المُتحكم به والمتاح لعلماء النفس الذين يتعاملون مع اعداد صغيرة من الموضوعات . وكذلك فإننا لا نملك عوامل الاختيار ـ المغلق التي ساعدت علماء السياسة في دراسة سلوك الناخبين والمشرعين والقضاة . فالسلوك الثوري انما يحدث خارج الاطار المؤسساتي القائم . فهو اختيار ـ مفتوح بمعنى ان كل فرد لديه العديد من الخيارات عندما يأخذ في الاعتبار البدائل السياسية . والعملية السلوكية للثورة غير تكرارية الطابع اساساً . فدراسة الثورة بالتالي تختلف بشكل واضح (مثلاً) عن دراسة السلوك الانتخابي ، حيث تكون العملية الانتخابية

---

(23) Wolf, 1969, p. 13;.

متكررة في مرحلة محددة من الزمن مع تغيرات طفيفة نسبياً في المتغيرات الرئيسية ، وحيث تكون خيارات الناخب محددة ومرسومة بوضوح في محيط مؤسساتي قائم .

وعلى ذلك اذا كانت «النظرية» تعني سلسلة من الفرضيات والافتراضات القابلة لأن تُفحص امبيريقياً والمُستنتجة منطقياً من تعميم ذي مدىً واسع وقابل للدحض ، فإنه ليس هنالك نظرية للثورة . وليس من المرجح ان يكون هنالك واحدة . ولكن اذا كان المقصود « بالنظرية » نموذجاً مفاهيمياً (او اطار) ذو مستوىً تجريدي كافياً لأن يشمل في منظوره العديد من الفرضيات ذات المدى المتوسط المستقلة اساساً ، فإن هنالك العديد من نظريات الثورة . ومن المرجح ان يكون هنالك اكثر طالما استمرت عملية دراسة الثورة . الا ان مزاياها وعدم مزاياها الخاصة انما هي عبارة عن وظيفة للدلالة الذاتية بدلاً من « الصحة الامبيريقية » ، كما ان منفعتها المفاهيمية على الأرجح ان تختلف بناءً على قيم الباحث والمجتمع المعين المراد دراسته .

لذلك يجب علينا الا نتوقع اجابة على كل الاسئلة التي يثيرها فضولنا النهم وفق مستوى وعينا . عوضاً عن ذلك يجب ان نُلزم انفسنا بالسير الخفيف مع بناء وفحص فرضيات ذات مدى متوسط ، متجنبين قدر الامكان الاعتماد على معلومات استدلالية ، مرتابين في ازدرائنا للغو . يجب علينا ان نسعى لتبيان وايضاح انماط الاطراد والاستمرار المرافقة للثورة وعدم توقع التفسير الوافي او التنبؤ الدقيق لأي من او كل الظواهر المرافقة للعملية الثورية . اذ ليس هنالك لحظة تجلي تكشف عن اسرار الثورة . فلو كانت دراسة الثورة قابلة للتحليل العلمي بقدر البيئة الطبيعية ، لكنا من زمن بعيد انتجنا اسحٰق نيوتن في هذا المجال .

هذا لا يعني انكار ان الجنس البشري يتوق بالطبيعة لأن يعرف ، او يعتقد انه يعرف . فالنظرية تشبع العقل ، كما تشبع العدالة النفس . ولكن البحث عن النظرية والعدالة عملية بلا نهاية ، وليس في الغالب أن يجد المفكر او الثائر ما يبحث عنه . ولكن البحث هو الذي يعطي للحياة معناها .

مراجع مختارة

ALKER, HAYWARD R., Jr., and BRUCE M. RUSSETT. 1964. "The Analysis of Trends and Patterns," in Bruce M. Russett et al., *World Handbook of Political and Social Indicators.* New Haven: Yale University Press.

ALMOND, GABRIEL A., and G. BINGHAM POWELL, Jr. 1966. *Comparative Politics: A Developmental Approach.* Boston and Toronto: Little, Brown and Company.

——, and SIDNEY VERBA. 1965. *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations.* Boston and Toronto: Little, Brown and Company.

ANDRESKI, S. L. 1969. "Some Sociological Considerations on Fascism and Class," in S. L. Woolf, ed., *The Nature of Fascism.* New York: Vintage Books.

ARENDT, HANNAH. 1965. *On Revolution.* New York: The Viking Press, Inc. First published in 1963.

AVINERI, SHLOMO. 1969. *The Social and Political Thought of Karl Marx.* Cambridge, England: Cambridge University Press.

BAIRD, LEONARD. 1970. "Who Protests: The Social Base of the Student Movement," in Julian Foster and Durward Long, eds., *Protest: Student Activism in America.* New York: William Morrow & Co., Inc.

BANKS, ARTHUR S., and ROBERT TEXTOR. 1963. *The Cross-Polity Survey.* Cambridge: The M.I.T. Press.

BASKIN, JANE A. et al. 1972. "The Long, Hot Summer?" *Justice Magazine,* I (Feb.), 6-21.

BEALS, CARLETON. 1970. *The Nature of Revolution.* New York: Thomas Y. Crowell Company.
BELING, WILLARD A. 1970. "Mobilization of Human Resources in Developing Nations," in Willard A. Beling and George O. Totten, eds., *Developing Nations: Quest for a Model.* New York: Van Nostrand and Co.
BELL, DANIEL, ed. 1963. *The Radical Right.* Garden City, N.Y.: Doubleday & Company, Inc.
BENDIX, REINHARD. 1970. "What is Modernization?" in Willard A. Beling and George O. Totten, eds., *Developing Nations: Quest for a Model.* New York: Van Nostrand and Co.
BERELSON, BERNARD, and GARY A. STEINER. 1964. *Human Behavior: An Inventory of Scientific Findings.* New York: Harcourt, Brace & World, Inc.
BERGER, PETER L., and RICHARD JOHN NEUHAUS. 1970. *Movement and Revolution.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, Doubleday & Company, Inc.
BILLIAS, GEORGE A., ed. 1970. *The American Revolution: How Revolutionary Was It?* New York: Holt, Rinehart & Winston.
BIRNIE, ARTHUR. 1962. *An Economic History of Europe, 1760-1939.* London: Methuen and Co., Ltd. First published in 1930. Seventh and revised edition published in 1957.
BLANKSTEN, GEORGE. 1958. "Revolutions," in H. E. Davis, ed., *Government and Politics in Latin America.* New York: The Ronald Press Company.
BLUMER, HERBERT. 1939. "Collective Behavior," in R. E. Park, ed., *An Outline of the Principles of Sociology.* New York: Barnes & Noble, Inc.
BOOTH, JOHN A. 1974. "Rural Violence in Colombia, 1948-1963," *The Western Political Quarterly,* 27(Dec.), 657-79.
BORKENAU, FRANZ. 1962. *World Communism: A History of the Communist International.* Ann Arbor: Ann Arbor Paperbacks, The University of Michigan Press. First published in 1939.
BOUDON, RAYMOND. 1971. "Sources of Student Protest in France," *The Annals of the American Academy of Political and Social Science* (May).
BOWDLER, GEORGE A. 1981. "The Downfall of Somoza, 1978-1979," *South Eastern Latin Americanist,* XXV (Dec.).
BRINTON, CRANE. 1965. *The Anatomy of Revolution.* New York: Vintage Books. First published in 1938.
BROGAN, D. W. 1966. *The Price of Revolution.* New York: Grosset and Dunlap, Inc., Universal Library Edition. First published in 1951.
BURKS, R. V. 1961. *The Dynamics of Communism in Eastern Europe.* Princeton: Princeton University Press.
BURTON, ANTHONY. 1976. *Urban Terrorism: Theory. Practice and Response.* New York: The Free Press.
BWY, DOUGLAS. 1968. "Dimensions of Social Conflict in Latin America," in Louis H. Masotti and Don R. Bowen, eds., *Riots and Rebellions: Civil Violence in the Urban Community.* Beverly Hills: Sage Publications, Inc.
CANTRIL, HADLEY. 1965. *The Pattern of Human Concerns.* New Brunswick, N.J.: Rutgers University Press.
CARSTEN, F. L. 1967. *The Rise of Fascism.* Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
CARTWRIGHT, DORWIN. 1971. "Risk Taking by Individuals and Groups: An

Assessment of Research Employing Choice Dilemmas," *Journal of Personality and Social Psychology*, XX(Dec.), 361–78.

CASSINELLI, C. W. 1976. *Total Revolution: A Comparative Study of Germany under Hitler, the Soviet Union under Stalin, and China under Mao.* Santa Barbarà, Calif. and Oxford, England: Clio Books.

COHAN, A. S. 1975. *Theories of Revolution: An Introduction.* New York: Halsted, Wiley.

COMPARATIVE POLITICS. 1976. "Special Issue on Peasants and Revolution," 8(April), 321–478.

CONVERSE, PHILIP E. 1964. "The Nature of Belief Systems in Mass Publics," in David E. Apter, ed., *Ideology and Discontent.* New York: The Free Press of Glencoe.

CORNING, PETER A. 1971. "The Biological Bases of Behavior and Some Implications for Political Science," *World Politics*, XXIII(April), 321–70.

DAHRENDORF, RALF. 1959. *Class and Class Conflict in Industrial Society.* Stanford: Stanford University Press.

DALLIN, ALEXANDER, and GEORGE W. BRESLAUER. 1970. "Political Terror in the Post-Mobilization Stage," in Chalmers Johnson, ed., *Change in Communist Systems.* Stanford: Stanford University Press.

DAVIES, JAMES C. 1962. "Toward a Theory of Revolution," *American Sociological Review*, XXVII(Feb.), 5–19.

——. 1963. *Human Nature in Politics: The Dynamics of Political Behavior.* New York: John Wiley & Sons, Inc.

——, ed. 1971. *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence and Revolution.* New York: The Free Press.

DEBRAY, RÉGIS. 1970. "Castroism: The Long March in Latin America," in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution.* New York: John Wiley & Sons, Inc. First published in 1965.

DEGALO, SAMUEL. 1976. *Coups and Army Rule in Africa.* New Haven: Yale University Press.

DEUTSCH, KARL W. 1961. "Social Mobilization and Political Development," *American Political Science Review*, LV(Sept.), 493–514.

——. 1964. "External Involvement in Internal War," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches.* New York: The Free Press of Glencoe.

DOLLARD, JOHN, et al. 1971. "Frustration and Aggression: Definitions," in James C. Davies, ed., *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence and Revolution.* New York: The Free Press. First published in 1939.

DOWNTON, JAMES V., Jr. 1973. *Rebel Leadership: Commitment and Charisma in the Revolutionary Process.* New York: The Free Press.

DUFF, ERNEST, and JOHN McCAMANT. 1976. *Violence and Repression in Latin America.* New York: The Free Press.

ECKSTEIN, HARRY, ed. 1964. *Internal War: Problems and Approaches.* New York: The Free Press of Glencoe.

——. 1965. "On the Etiology of Internal Wars," *History and Theory*, IV, 133–63.

——. 1966. *Division and Cohesion in Democracy: A Study of Norway.* Princeton: Princeton University Press.

EDWARDS, LYFORD P. 1971. "Advanced Symptoms of Revolution," in

Clifford T. Paynton and Robert Blackey, eds., *Why Revolution? Theories and Analyses.* Cambridge: Schenkman Publishing Co., Inc. First published in 1927 and in Edward's *The Natural History of Revolution.*

EISENSTADT, S. N. 1966. *Modernization: Protest and Change.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.

EISINGER, PETER K. 1973. "The Conditions of Protest Behavior in American Cities," *American Political Science Review*, LXVII (March), 11–28.

ELKINS, STANLEY M. 1971. "Slavery and Personality," in James C. Davies, ed., *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence and Revolution.* New York: The Free Press.

ELLUL, JACQUES. 1970. "The Psychology of A Rebellion: May–June 1968," in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution.* New York: John Wiley & Sons, Inc.

ELTON, GODFREY. 1923. *The Revolutionary Idea in France, 1789–1871.* New York: Longmans, Green & Co., Inc.

ENGELS, FRIEDRICH. 1971. "The Peasant War in Germany," in James C. Davies, ed., *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence and Revolution.* New York: The Free Press. Excerpted from Engels's *The Peasant War in Germany,* 1850.

FALL, BERNARD. 1965. "The Viet-Cong—Unseen Enemy," *New Society Magazine* (London), April 22.

FEIERABEND, IVO K., and ROSALIND L. FEIERABEND. 1966. "Aggressive Behaviors within Politics, 1948–1962: A Cross-National Study," *Journal of Conflict Resolution,* X (Sept.), 249–71.

FELDMAN, ARNOLD S. 1964. "Violence and Volatility: The Likelihood of Revolution," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches.* New York: The Free Press of Glencoe.

FISCHER-GALATI, STEPHEN. 1963. "The Peasantry as a Revolutionary Force in the Balkans," *Journal of Central European Affairs,* XXIII (March), 12–22.

FLACKS, RICHARD. 1970. "Who Protests: A Study of Student Activists," in Julian Foster and Durward Long, eds., *Protest: Student Activism in America.* New York: William Morrow & Co., Inc.

FRIEDRICH, CARL J. 1966. "An Introductory Note on Revolution," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution.* New York: Atherton Press.

GALLE, OMER R., WALTER R. GOVE, and J. MILLER McPHERSON. 1972. "Population Density and Pathology," *Science,* CLXXVI (April), 23–30.

GANN, LEWIS H. 1971. *Guerrillas in History.* Stanford: Hoover Institute Press.

GASSTER, MICHAEL. 1969. *Chinese Intellectuals and the Revolution of 1911: The Birth of Modern Chinese Radicalism.* Seattle and London: University of Washington Press.

GESCHWENDER, JAMES A. 1968. "Explorations in the Theory of Social Movements and Revolutions," *Social Forces,* XLII (No. 2), 127–35.

GIAP, VO NGUYEN. 1964. *People's War, People's Army.* New York: Frederick A. Praeger, Inc.

GIBB, CECIL A. 1966. "The Principles and Traits of Leadership," in A. Paul Hare, Edgar F. Borgata, and Robert F. Bales, eds., *Small Groups: Studies in Social Interaction.* New York: Alfred A. Knopf, Inc.

GOODSPEED, DONALD J. 1962. *The Conspirators: A Study of the Coup d'Etat.* New York: The Viking Press, Inc.

GOTTSCHALK, LOUIS. 1971. "Causes of Revolution," in Clifford T. Paynton and Robert Blackey, eds., *Why Revolution? Theories and Analyses*. Cambridge: Schenkman Publishing Co., Inc. First published in 1944.

GREENE, THOMAS H. 1971. "The Electorates of Nonruling Communist Parties," *Studies in Comparative Communism*, IV(July–Oct.), 68–103.

GURR, TED ROBERT. 1970. *Why Men Rebel*. Princeton: Princeton University Press.

GUSFIELD, JOSEPH R. 1968. "The Study of Social Movements," *International Encyclopedia of the Social Sciences*, Vol. 14, 445–52. New York: Crowell Collier and Macmillan, Inc.

HAGOPIAN, MARK N. 1974. *The Phenomenon of Revolution*. New York: Dodd, Mead & Company.

HAHN, HARLAN. 1970. "Black Separatists: Attitudes and Objectives in a Riot-torn Ghetto," *Journal of Black Studies*, I(Sept.), 35–53.

HALPERIN, S. WILLIAM. 1964. *Mussolini and Italian Fascism*. Princeton: An Anvil Original, D. Van Nostrand Co., Inc.

HALPERN, MANFRED. 1966. "The Revolution of Modernization in National and International Society," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution*. New York: Atherton Press.

HAMILTON, RICHARD F. 1967. *Affluence and the French Worker in the Fourth Republic*. Princeton: Princeton University Press.

HAYDEN, TOM. 1966. "The Politics of 'The Movement,' " *Dissent*, XIII (Jan.–Feb.), 75–87.

HOBSBAWM, E. J. 1959. *Primitive Rebels: Studies in Archaic Forms of Social Movement in the 19th and 20th Centuries*. New York: W. W. Norton & Company, Inc.

HOFFER, ERIC. 1951. *The True Believer: Thoughts on the Nature of Mass Movements*. New York: Harper and Brothers.

HOPPER, REX D. 1950. "The Revolutionary Process," *Social Forces*, XXVIII (March), 270–79.

HUIZER, GERRIT. 1972. *The Revolutionary Potential of Peasants in Latin America*. Lexington, Mass.: Lexington Books.

HUNTER, ROBERT. 1940. *Revolution: Why, How, When?* New York: Harper and Brothers.

HUNTINGTON, SAMUEL P. 1962. "Patterns of Violence in World Politics," in Samuel P. Huntington, ed., *Changing Patterns of Military Politics*. New York: The Free Press of Glencoe.

——. 1968. *Political Order in Changing Societies*. New Haven: Yale University Press.

IGLITZIN, LYNNE B. 1972. *Violent Conflict in American Society*. San Francisco: Chandler Publishing Co.

JAMESON, J. FRANKLIN. 1956. *The American Revolution Considered as a Social Movement*. Boston: Beacon Press. First published in 1926.

JANOS, ANDREW C. 1964. "Authority and Violence: The Political Framework of Internal War," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches*. New York: The Free Press of Glencoe.

JOHNSON, CHALMERS. 1966. *Revolutionary Change*. Boston: Little, Brown and Company.

JOHNSON, RICHARD. 1972. *The French Communist Party versus the Students*. New Haven: Yale University Press.

KAMENKA, EUGENE. 1966. "The Concept of a Political Revolution," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution*. New York: Atherton Press.

KATAOKA, TETSUYA. 1972. "Communist Power in a War of National Liberation: The Case of China," *World Politics*, XXIV(April), 410–27.
KAUTSKY, JOHN H. 1969. "Revolutionary and Managerial Elites in Modernizing Regimes," *Comparative Politics*, I(July), 441–67.
KECSKEMETI, PAUL. 1961. *The Unexpected Revolution: Social Forces in the Hungarian Uprising*. Stanford: Stanford University Press.
KELLY, GEORGE A. 1970. "The Contemporary French Doctrine of 'La Guerre Révolutionnaire,' " in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution*. New York: John Wiley & Sons, Inc.
——, and LINDA B. MILLER. 1970. "Internal War and International Systems: Perspectives on Method," in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution*. New York: John Wiley & Sons, Inc.
KENNER, MARTIN, and JAMES PETRAS, eds. 1969. *Fidel Castro Speaks*. New York: Grove Press.
KLING, MERLE. 1956. "Toward a Theory of Power and Political Instability in Latin America," *Western Political Quarterly*, IX(March), 21–35.
KOHL, AMES, and JOHN LITT. 1974. *Urban Guerrilla Warfare in Latin America*. Cambridge, Mass.: The M.I.T. Press.
KORNHAUSER, WILLIAM. 1959. *The Politics of Mass Society*. Glencoe, Illinois: The Free Press.
——. 1964. "Rebellion and Political Development," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches*. New York: The Free Press of Glencoe.
KORT, FRED. 1952. "The Quantification of Aristotle's Theory of Revolution," *American Political Science Review*, XLVI(June), 486–93.
KROEBER, ALFRED L., and CLYDE KLUCKHOHN. 1952. "Culture: A Critical review of Concepts and Definitions," *Papers of the Peabody Museum*, XLVII(No. 1a).
LANDSBERGER, HENRY. 1968. "The Role of Peasant Movements and Revolts in Development: An Analytical Framework." Ithaca, N.Y.: New York State School of Industrial and Labor Relations, Cornell University. Reprint Series No. 236.
LANE, DAVID. 1969 *The Roots of Russian Communism: A Social and Historical Study of Russian Social-Democracy, 1898–1907*. New York: Humanities Press, Inc.
——. 1971. *Politics and Society in the USSR*. New York: Random House.
LA PALOMBARA, JOSEPH, and MYRON WEINER, eds. 1966. *Political Parties and Political Development*. Princeton: Princeton University Press.
LASSWELL, HAROLD D., with RENZO SERENO. 1965. "The Fascists: The Changing Elite," in Harold D. Lasswell and Daniel Lerner, eds., *World Revolutionary Elites: Studies in Coercive Ideological Movements*. Cambridge: The M.I.T. Press.
LAWRENCE, T. E. 1962. *Seven Pillars of Wisdom*. New York: Dell Publishing Co., Inc. First published in 1926.
LE BON, GUSTAVE. 1971. "The Psychology of Revolutions," in Clifford T. Paynton and Robert Blackey, eds., *Why Revolution? Theories and Analyses*. Cambridge: Schenkman Publishing Co. Excerpted from Le Bon's book of the same title, first published in 1913.
LEGUM, COLIN, and MARGARET LEGUM. 1964. *South Africa: Crisis for the West*. New York: Frederick A. Praeger, Inc.

LEIDEN, CARL, and KARL M. SCHMITT. 1968. *The Politics of Violence: Revolution in the Modern World.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.

LEMARCHAND, RENÉ. 1968. "Revolutionary Phenomena in Stratified Societies: Rwanda and Zanzibar," *Civilisation,* XVIII(No. 1), 16–51.

LERNER, DANIEL. 1958. *The Passing of Traditional Society.* Glencoe, Illinois: The Free Press.

——, with ITHIEL DE SOLA POOL, AND GEORGE K. SCHUELLER. 1965. "The Nazi Elite," in Harold D. Lasswell and Daniel Lerner, eds., *World Revolutionary Elites: Studies in Coercive Ideological Movements.* Cambridge: The M.I.T. Press.

LEVY, SHELDON G. 1970. "Attitudes Toward Political Violence," in J. F. Kirkham, S. G. Levy, and W. J. Crotty, eds., *Assassination and Political Violence.* New York: Frederick A. Praeger, Inc.

LEWIS, JOHN W., ed. 1970. *Party Leadership and Revolutionary Power in China.* London: Cambridge University Press.

——, ed. 1974. *Peasant Rebellion and Communist Revolution in Asia.* Stanford: Stanford University Press.

LEWIS, OSCAR. 1965. *La Vida.* New York: Vintage Books.

LIEBERSON, STANLEY, and ARNOLD R. SILVERMAN. 1965. "Precipitants and Conditions of Race Riots," *American Sociological Review,* XXX (Dec.), 887–98.

LINZ, JUAN J. 1968. *From Falange to Movimiento-Organización: The Spanish Single Party and the Franco Regime (1936–1968).* Mimeograph.

LIPSET, SEYMOUR MARTIN. 1963. *Political Man: The Social Bases of Politics.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, Doubleday & Company, Inc. First published in 1960.

——. 1967. *The First New Nation: The United States in Historical and Comparative Perspective.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, Doubleday & Company, Inc. First published in 1963.

——. 1970. *Revolution and Counter-Revolution: Change and Persistence in Social Structures.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, Doubleday & Company, Inc.

LLERENA, MARIO. 1978. *The Unsuspected Revolution: The Birth and Rise of Castroism.* Ithaca: Cornell University Press.

LUNACHARSKY, ANATOLY VASILIEVICH. 1968. *Revolutionary Silhouettes.* New York: Hill and Wang. Translanted by Michael Glenny First published in 1923.

LUTTWAK, EDWARD. 1969. *Coup d'Etat: A Practical Handbook.* Greenwich, Conn.: Fawcett Publications, Inc.

LUXEMBURG, ROSA. 1967. *The Russian Revolution.* Ann Arbor: University of Michigan Press.

McALISTER, JOHN T., Jr. 1971. *Vietnam: The Origins of Revolution.* New York: Doubleday & Company, Inc.

McCOLL, ROBERT W. 1967. "A Political Geography of Revolution: China, Vietnam, and Thailand," *Journal of Conflict Resolution,* XI(No. 2), 153–67.

MALAPARTE, CURZIO. 1932. *Coup d'Etat: The Technique of Revolution.* New York: E. P. Dutton & Co., Inc. Translated by Sylvia Saunders.

MALLIN, JAY. 1966. *Terror in Vietnam.* Princeton: D. Van Nostrand Co., Inc.

MAO TSE-TUNG. 1970. "Problems of Strategy in China's Revolutionary War,"

in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution.* New York: John Wiley & Sons, Inc. First published in 1936.

MARCUM, JOHN A. 1969 and 1978. *The Angolan Revolution.* In two volumes. Cambridge, Mass. and London: The M.I.T. Press.

MARKUS, DAVID, and BETTY NESVOLD. 1972. "Governmental Coerciveness and Political Instability: An Exploratory Analysis," *Comparative Political Studies,* V(July), 231–42.

MELOTTI, UMBERTO. 1965. *Rivoluzione e Società.* Milan: Ed. La Culturale.

MELSON, ROBERT, and HOWARD WOLPE. 1970. "Modernization and the Politics of Communalism: A Theoretical Perspective," *American Political Science Review,* LXIV(Dec.), 1112–30.

MEYER, ALFRED G. 1971. "Political Change through Civil Disobedience in the USSR and Eastern Europe," in Edward Kent, ed., *Revolution and the Rule of Law.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.

MIDLARSKY, MANUS, and RAYMOND TANTER. 1967. "Toward A Theory of Political Instability in Latin America," *Journal of Peace Research,* IV, 290–327.

MIGDAL, JOEL S. 1974. *Peasants, Politics, and Revolution: Pressures toward Political and Social Change in the Third World.* Princeton, N.J.: Princeton University Press.

MILLER, NORMAN N. 1971. *Military Coup in Uganda.* Hanover, N.H.: American Universities Field Staff, Inc. East Africa Series, X(No. 3).

MILLS, C. WRIGHT. 1960. *Listen Yankee: The Revolution in Cuba.* New York: McGraw-Hill Book Company.

MOLNAR, ANDREW R. 1965. *Human Factors Considerations of Undergrounds in Insurgencies.* Washington, D.C.: Special Operations Research Office, The American University.

MOORE, BARRINGTON, Jr. 1966. *Social Origins of Dictatorship and Democracy: Lord and Peasant in the Making of the Modern World.* Boston: Beacon Press.

——. 1978. *Injustice: The Social Bases of Obedience and Revolt.* White Plains, N.Y.: M. E. Sharpe, Inc.

MURRAY, ROGER, and TOM WENGRAF. 1963. "The Algerian Revolution," *New Left Review,* No. 22, 14–65.

MYERS, DAVID G., and GEORGE D. BISHOP. 1970. "Discussion Effects on Racial Attitudes," *Science,* CLXIX(August), 778–79.

NEEDLER, MARTIN C. 1966. "Political Development and Military Intervention in Latin America," *American Political Science Review,* LX(Sept.), 616–26.

NEUMANN, SIGMUND. 1949. "The International Civil War," *World Politics,* I (April), 333–50.

NORDLINGER, ERIC A. 1977. *Soldiers in Politics: Military Coups and Governments.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.

NORTH, ROBERT C., with ITHIEL DE SOLA POOL. 1965. "Kuomintang and Chinese Communist Elites," in Harold D. Lasswell and Daniel Lerner, eds., *World Revolutionary Elites: Studies in Coercive Ideological Movements.* Cambridge: The M.I.T. Press.

OLSON, MANCUR, JR. 1963. "Rapid Growth as a Destabilizing Force," *Journal of Economic History,* XXIII(Dec.), 529–52.

ORGANSKI, A. F. K. 1969. "Fascism and Modernization," in S. J. Woolf, ed., *The Nature of Fascism.* New York: Vintage Books.

PAIGE, JEFFREY M. 1975. *Agrarian Revolution: Social Movements and Export Agriculture in the Underdeveloped World.* New York: The Free Press.

PALMER, ROBERT R. 1956. *A History of the Modern World.* New York: Alfred A. Knopf, Inc.

——. 1959-64. *The Age of the Democratic Revolution.* (In 2 volumes.) Princeton: Princeton University Press.

PARSONS, TALCOTT. 1951. "Personality and Social Structure," in Alfred H. Stanton and Stewart E. Percy, eds., *Personality and Political Crisis.* Glencoe, Ill.: The Free Press.

——. 1964. "Some Reflections on the Place of Force in Social Process," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches.* New York: The Free Press of Glencoe.

PEARSON, NEALE J., and RICHARD PERES. 1971. *The Failure of Cuban Revolutionary Strategy in Latin America.* A paper presented to the Annual Meeting of the Western Political Science Association, Albuquerque, New Mexico, April 8-10, 1971.

PETTEE, GEORGE. 1966. "Revolution: Typology and Process," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution.* New York: Atherton Press.

PICKLES, DOROTHY. 1947. *France Between the Republics.* London: Love and Malcomson.

PIKE, DOUGLAS. 1966. *Viet Cong.* Cambridge: The M.I.T. Press.

PINKNEY, DAVID H. 1964. "The Crowd in the French Revolution of 1830." *American Historical Review,* LXX(Oct.), 1-17.

PUTNAM, ROBERT D. 1967. "Toward Explaining Military Intervention in Latin American Politics," *World Politics,* XX(Oct.), 83-110.

PYE, LUCIAN W. 1956. *Guerrilla Communism in Malaya: Its Social and Political Meaning.* Princeton, N.J.: Princeton University Press.

——. 1962. *Politics, Personality, and Nation-Building: Burma's Search for Identity.* New Haven: Yale University Press.

——. 1964. "The Roots of Insurgency and the Commencement of Rebellions," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches.* New York: The Free Press of Glencoe.

RACE, JEFFREY. 1972. *War Comes to Long An.* Los Angeles and Berkeley: University of California Press.

RAPOPORT, DAVID C. 1966. "*Coup d'état:* The View of the Men Firing Pistols," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution.* New York: Atherton Press.

REDL, FRITZ. 1966. "Group Emotion and Leadership," in A. Paul Hare et al., *Small Groups: Studies in Social Interaction.* New York: Alfred A. Knopf, Inc. First published in 1942.

REICH, WILHELM. 1946. *The Mass Psychology of Fascism.* New York: Orgone Institute Press. Translated by Theodore P. Wolfe. First published in 1933.

RICHTER, MELVIN. 1966. "Tocqueville's Contributions to the Theory of Revolution," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution.* New York: Atherton Press.

RIDKER, RONALD G. 1962. "Discontent and Economic Growth," *Economic Development and Cultural Change,* XI(Oct.), 1-15.

RIVERO, NICOLAS. 1962. *Castro's Cuba: An American Dilemma.* Washington, D.C.: Luce.

ROLPH, HAMMOND. 1971. *Vietnamese Communism and the Protracted War.* American Bar Association.

ROSENAU, JAMES N. 1964. "Internal War as an International Event," in

James N. Rosenau, ed., *International Aspects of Civil Strife.* Princeton: Princeton University Press.
RUDÉ, GEORGE. 1959. *The Crowd in the French Revolution.* Oxford, England: The Clarendon Press.
RUMMEL, R. J. 1966. "Dimensions of Conflict Behavior Within Nations, 1946–1959," *Journal of Conflict Resolution,* X(March), 64–73.
RUSSELL, D. E. H. 1974. *Rebellion, Revolution, and Armed Force.* New York: The Academic Press.
RUSSETT, BRUCE M. 1964. "Inequality and Instability: The Relation of Land Tenure to Politics," *World Politics,* XVI(April), 442–54.
SANDERS, THOMAS G. 1970. *Rojismo: The Resurgence of Colombian Populism.* Hanover, N.H.: American Universities Field Staff, Inc. West Coast South America Series, XVII(No. 8).
SCALAPINO, ROBERT A. 1964. "Ideology and Modernization: The Japanese Case," in David E. Apter, ed., *Ideology and Discontent.* New York: The Free Press of Glencoe.
SCHOENBAUM, DAVID. 1967. *Hitler's Social Revolution: Class and Status in Nazi Germany, 1933-1939.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, Doubleday & Company, Inc.
SCHRECKER, PAUL. 1966. "Revolution as a Problem in the Philosophy of History," in Carl J. Friedrich, ed., *Revolution.* New York: Atherton Press.
SCHUELLER, GEORGE K. 1965. "The Politburo," in Harold D. Lasswell and Daniel Lerner, eds., *World Revolutionary Elites: Studies in Coercive Ideological Movements.* Cambridge: The M.I.T. Press.
SCHUMPETER, JOSEPH. 1947. *Capitalism, Socialism and Democracy.* New York: Harper and Brothers. First published in 1942.
SCHURMANN, FRANZ. 1967. *Ideology and Organization in Communist China.* Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
SCHWARTZ, BENJAMIN I. 1958. *Chinese Communism and the Rise of Mao.* Cambridge: Harvard University Press. First published in 1951.
SCHWARTZ, DAVID C. 1971. "A Theory of Revolutionary Behavior," in James C. Davies, ed., *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence and Revolution.* New York: The Free Press.
SCOTT, JAMES C. 1976. *The Moral Economy of the Peasant: Rebellion and Subsistence in Southeast Asia.* New Haven: Yale University Press.
SILVERT, KALMAN H. 1970. *Man's Power: A Biased Guide to Political Thought and Action.* New York: The Viking Press.
SIMMEL, GEORG. 1955. *Conflict and the Web of Group Affiliations.* Glencoe, Ill.: The Free Press. Translated by Kurt H. Wolff. First published in 1908.
SINGER, DAVID. 1970. *Prelude to Revolution: France in May 1968.* New York: Hill and Wang.
SKILLING, H. GORDON. 1970. "Group Conflict and Political Change," in Chalmers Johnson, ed., *Change in Communist Systems.* Stanford: Stanford University Press.
SKOCPOL, THEDA. 1979. *States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia, and China.* Cambridge, England: Cambridge University Press.
SMELSER, NEIL J. 1963. *Theory of Collective Behavior.* New York: The Free Press of Glencoe.
SNOW, EDGAR. 1971. "Genesis of a Communist: Childhood," in James C. Davies, ed., *When Men Revolt and Why: A Reader in Political Violence*

and Revolution. New York: The Free Press. Excerpted from *Red Star Over China*, first published in 1938.
SOROKIN, PITIRIM A. 1970. "Fluctuations of Internal Disturbances," in George A. Kelly and Clifford W. Brown, Jr., eds., *Struggles in the State: Sources and Patterns of World Revolution*. New York: John Wiley & Sons, Inc. Excerpted from *Social and Cultural Dynamics* (4 volumes), 1937–1941.
STEPAN, ALFRED. 1971. *The Military in Politics: Changing Patterns in Brazil*. Princeton, N.J.: Princeton University Press.
STONE, LAWRENCE. 1966. "Theories of Revolution," *World Politics*, XVIII (Jan.), 159–76.
TANTER, RAYMOND, and MANUS MIDLARSKY. 1967. "A Theory of Revolution," *Journal of Conflict Resolution*, XI(No. 3), 264–80.
TAYLOR, CHARLES LEWIS. 1970. "Turmoil, Economic Development and Organized Political Opposition as Predictors of Irregular Government Change." Paper presented to the Sixty-sixth Annual Meeting of the American Political Science Association, Los Angeles, September 8–12, 1970.
THOMPSON, SIR ROBERT. 1966. *Defeating Communist Insurgency*. New York: Frederick A. Praeger, Inc.
THORNTON, THOMAS PERRY. 1964. "Terror as a Weapon of Political Agitation," in Harry Eckstein, ed., *Internal War: Problems and Approaches*. New York: The Free Press of Glencoe.
TILLY, CHARLES. 1964. *The Vendée*. Cambridge: Harvard University Press.
——. 1978. *From Mobilization to Revolution*. Reading, Mass.: Addison-Wesley.
——, and JAMES RULE. 1965. *Measuring Political Upheaval*. Research Monograph No. 19, Center of International Studies, Woodrow Wilson School of Public and International Affairs, Princeton University.
TROTSKY, LEON. 1957. *The History of the Russian Revolution*. Ann Arbor: University of Michigan Press. Translated by Max Eastman. First published in 1932.
VON DER MEHDEN, FRED R. 1969. *Politics of the Developing Nations*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.
——. 1973. *Comparative Political Violence*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc.
WEINERT, RICHARD S. 1966. "Violence in Pre-Modern Societies: Rural Colombia," *American Political Science Review*, LX(June), 340–47.
WOLF, ERIC R. 1969. *Peasant Wars of the Twentieth Century*. New York: Harper & Row, Publishers.
WOLFINGER, RAYMOND E., et al. 1964. "America's Radical Right: Politics and Ideology," in David E. Apter, ed., *Ideology and Discontent*. New York: The Free Press of Glencoe.
WOOLF, S. J. 1969. "Did A Fascist Economic System Exist?" in S. J. Woolf, ed., *The Nature of Fascism*, New York: Vintage Books.
ZAGORIA, DONALD S. 1971. "The Ecology of Peasant Communism in India," *American Political Science Review*, LXV(March), 144–60.
——. 1973. "Theories of Revolution in Contemporary Historiography," *Political Science Quarterly*, 88(March), 23–52.
ZEITLIN, MAURICE. 1967. *Revolutionary Politics and the Cuban Working Class*. Princeton: Princeton University Press.
ZINNER, PAUL E. 1962. *Revolution in Hungary*. New York: Columbia University Press.

قائمة المحتويات

الجزء الثاني : خصائص الحركات الثورية ٦١

٣٠٠٠/٨٦/١٠٤٨

الثورة . . . كلمة ذات بعد عاطفي معين خاصة عند مثقفي العالم الثالث المعانين للضغوط السياسية والاجتماعية والمعايشين بشكل يومي لاختلاف الواقع المرير عن الحلم اللذيذ .

هذا البعد العاطفي لكلمة مثل الثورة يعني ان هنالك جذوراً مادية لمثل هذا البعد ولا لما نشأ اساساً . الا ان جزءاً من مشكلاتنا في العالم الثالث ، ونحن كعرب جزء منه ، اننا ننساق وراء هذا البعد العاطفي ناسين بشكل لا واع أو متجاهلين بشكل واع الجذور المادية ، أو ان شئت ، الواقعية لظاهرة تاريخية معاشة مثل ظاهرة الثورة . لذلك ، تجدنا ، وبشكل ايديولوجي بحت ، أما مع أو ضد الثورة بعمومها أو ثورة بعينها غير عابئين ولا مكترثين بجذورها الاجتماعية ومسارها التاريخي ونتائجها واثر مثل تلك النتائج .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت